مكتبة ياسمين

ميكو كاواكامي

كلُّ العُشّاق في اللّيل

ترجمة: أحمد جمال سعد الدّين

مكتبة ياسمين

كلّ العشّاق في الليل
ميكو كاواكامي / روائيّة يابانيّة
الطبعة الأولى عام 2024
ISBN 978-9953-89-765-3
Copyright © 2011 by Mieko Kawakami
Original Japanese title: Subete mayonaka no koibitotachi
Original Publisher: Kodansha Ltd

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

دار الآداب للطباعة والنشر

للمزيد من المعلومات عن دار الآداب الرجاء زيارة موقعنا:
www.daraladab.net

يمكنكم التواصل معنا على البريد الإلكتروني:
info@daraladab.net
rana.adab@gmail.com

أكان على الليل أن يكون بهذا الجمال؟

أسير في الليل، وأتذكّر كلام ميتسوتسوكا. «لأنّ نصف العالم فحسب هو الذي يبقى». أعدُّ الأضواء. كلُّ ضوءٍ منها. يرتجف الضوء الأحمر عند التقاطع كأنّه مبتلّ، لكنّها لا تُمطر. عمود إنارةٍ تلو الاخر. مصابيح سياراتٍ خلفيّةٍ تذوي، واحدةً تلو الأخرى، على امتداد البصر. الوهج الناعم من النوافذ. هواتف في أيدي أشخاصٍ وصلوا لتوّهم إلى البيت، وأشخاصٌ على وشك الذهاب إلى مكانٍ ما. لماذا الليل بهذا الجمال؟ ولماذا يتألّق على هذا النحو؟ ولماذا يتألّف بالكامل من ضوء؟

تملؤني الموسيقى التي تنساب إلى السمّاعتين، تُحيطني من كلِّ الاتّجاهات. تهويدةٌ للنوم، تهويدةٌ رائعةٌ على ألحان البيانو. أيُّ موسيقى رائعةٍ هذه؟! إنّها كذلك حقًّا. مقطوعتي المفضّلة لشوبان. هل تحبّينها أنتِ أيضًا يا فويوكو؟ نعم. وكأنّ الليل يتنفّس. وكأنّه صوت الضوء الذائب.

ما يميّز ضوء الليل هو أنّ ضوء النهار الغامر قد رحل عنّا، ويستنفر النصف الباقي كلَّ ما لديه كي يُبقي العالم مضيئًا.

أنت على حقٍّ يا ميتسوتسوكا. لا يعني هذا أيّ شيء. لكنّه جميلٌ إلى درجةٍ تدفعني إلى البكاء.

مكتبة ياسمين

ـ 1 ـ

«هل وصلت الصناديق؟».

عندما اتّصلت هيجيري إيشيكاوا، كنتُ قد انتهيتُ للتوّ من عملي النهاريّ، ووقفتُ أملأ أحد الأواني بالماء لتحضير بعض السباغيتي للغذاء.

«نعم، بالأمس، لكنّني لم أفتحها بعد».

وضعتُ الإناء على الموقد، ونقلتُ الهاتف المستقرّ بين فكّي وكتفي إلى يدي اليسرى، ثم عدتُ إلى الحجرة الأخرى، وجلستُ على الأرض أمام اثنين من الصناديق الكرتونيّة التي وصلت الليلة الماضية. دفعتُ أحدهما دفعةً بسيطة، لكنّ شيئًا لم يتحرّك داخله.

«لا داعي للاستعجال. هناك الكثير في الداخل. لديكِ ما يكفي من الوقت قبل موعد التسليم، لكن لا يزال أمامكِ الكثير».

«لا تقلقي، اعتدتُ هذه الأمور».

قالت هيجيري معابثة: «حقًا؟ تكونين على ما يُرام في بعض الأحيان، ثم يأتي الغد فتتغيّر الأمور تمامًا».

ضحكتُ: «نعم، أعرف ذلك، لكنّني أشعر بأنّ كلّ شيءٍ تحت السيطرة. ربّما لأنّني لم أفتح أيّ شيءٍ بعد».

«لماذا يستعينون دائمًا بكلّ هذه المصادر؟ ألا يستطيع هؤلاء الناس كتابة أيّ شيءٍ اعتمادًا على أنفسهم؟ أظنّهم جميعًا كذلك، لكنّ هذا الشخص

مكتبة ياسمين

بالذات يعتمد على الاقتباسات بالكامل، أليس كذلك؟ لم يكتب المؤلّف إلّا أقلّ من نصف الكتاب على الأرجح».

على الطرف الآخر من الخطّ، سمعت هيجيري وهي تضحك من أنفها.

«واجهتُ صعوبةً حقيقيّةً في إيصال كلّ شيءٍ إلى مكتب الاستقبال. بصراحة، شعرتُ بالقلق من احتماليّة أنّهم لن يعطوني تعويضًا لو تضرّر ظهري».

قلت: «لكنّنا محظوظتان، لا أصدّق أنّ كلّ الكتب التي احتجنا إليها كانت موجودةً في مكانٍ واحد. كأنّني أحلم».

ضحكتْ هيجيري وقالت:

«أنتِ على حقٍّ في هذا. بالمناسبة، سمحتُ لنفسي بالنظر في المسوّدات الأولى».

أفرغتُ كيسًا من مَرَق اللحم الدافئ على السباغيتي، وتناولتُ غذائي. عندما انتهيت، لممتُ شعري إلى الخلف، وأمسكتُ قلمي الرصاص بيدي اليمنى، ثم جهّزتُ مسند الكتب المرتَجل (وهو لوحُ رسمٍ كبير، اشتريته من متجر فنونٍ في شينجوكو، وأبقيته مستندًا بزاويةٍ إلى قاموس اللغة اللاتينيّة المهمل وكتاب المفردات، وقلتُ لنفسي إنّ هذا الوضع سيكون حلًّا موقّتًا حتى أشتري مسند كتبٍ حقيقيًا، ومرّت أربع سنواتٍ منذ ذلك الوقت)، وحرّكته إلى الأعلى أمام بطني، كما هي العادة، لأضمن بقاءه ثابتًا، ونظرتُ أمامي إلى الصفحات. بدأتُ العمل على المسوّدة، بينما أتأمّل كلّ عنصر من

مكتبة ياسمين

عناصرها، واحدًا تلو الآخر.

عندما يصيبني التعب، أقوم لأداء بعض تمرينات الإطالة. أحرّك رقبتي وذراعيّ بطريقةٍ دائريّة، ثم أذهب إلى المطبخ لأحضّر بعضًا من الشاي الساخن، وأتركه يبرد وأنا أشرب منه ببطء.

أشعر وكأنّني قادرةٌ على الجلوس أمام المكتب والعمل لِما يلزم من الوقت، لكنّني أعرف أنّني لو لم آخذ فتراتِ راحةٍ منتظمةً من وقتٍ إلى آخر، فسأبدأ في إغفال الأشياء عند المواضع المهمّة التي لا أتوقّع فيها حدوث ذلك إطلاقًا. لذا حرصت على أخذ فترةِ راحةٍ كلّ ساعتين. وبعد أن أشعر بالاسترخاء لفترة، أعود ثانيةً إلى المكتب، وأكرّر العمليّة نفسها، مرّةً تلو الأخرى.

أستخدم في عملي جدولًا مرجعيًا، أُبقيه إلى يسار المسوّدة، يلخّص لي العلاقات الشخصيّة، ومسارات الأحداث، والحبكة، في لمحةٍ سريعة، للتحقُّق من أيّ انعدامٍ في الاتّساق بينه وبين ما تقوله شخصيّة الرواية فعليًا في سلسلة الحوار المحموم. بدأت قراءة هذه الرواية منذ يومين، وهي تقدّم عددًا كبيرًا من الشخصيّات على امتداد عددٍ من السنوات، بأسماء كثيرةٍ يصعب حصرها. وحيث إنّ القصّة تجري في قصرٍ كبير، فقد وضعت أمامي كذلك مخطّطًا هندسيًا للمبنى.

اسم الكورسيّة. ما إن كان للبلوميريا أزهارٌ بيضاء. هل تشارلز ديكنز هو فعلًا تشارلز ديكنز؟

أستعين بالإنترنت وبقواميسي لأتأكّد من الأسماء

مكتبة ياسمين

والوقائع التاريخيّة. أمرّ على النصّ مرّاتٍ عديدة، لأتأكّد فحسب من أيّ شيءٍ لا يبدو في مكانه، مهما كان بسيطًا. وأثناء ذلك، أجد أخطاء كتابيّةٍ متنوّعةً فأصحّحها بقلمي الرصاص، وأترك علامة استفهامٍ على كلٍّ منها.

كانت تواجهني دائمًا جُملٌ تستعصي على الفهم. وعندما أجد نفسي أمام شيءٍ كهذا، لا أعرف ما إذا كان مقصودًا أم إنّه خطأ من المؤلّف، فإنّني أرسل رسالةً إلكترونيّةً إلى هيجيري وأطلب نصيحتها. وفي الأوقات التي نعجز فيها كلانا عن حلّ المشكلة، أترك ملاحظةً للمؤلّف بخطٍّ صغير، أطلب فيها التوضيح.

قبل ثلاث سنوات، في نهاية شهر نيسان/أبريل، استقلتُ من الشركة التي كنتُ قد بدأتُ العمل فيها بعد تخرّجي من الجامعة مباشرة.

كانت دارَ نشرٍ صغيرةً لم يسمع بها أحد، تنشر كتبًا تثير في نفسي تساؤلاتٍ عن نوعيّة الأشخاص الذين قد يقرأون هذه الأشياء. الشيء الوحيد الجيّد في تلك الشركة كان شمعتها.

في عالم النشر، تتفاوت متطلّبات أيّ وظيفةٍ بدرجاتٍ طفيفة، اعتمادًا على نطاق عمل كلّ شركةٍ وشخصيّتها، لكنّ الأمر كلّه يتعلّق في النهاية بإنتاج الكتب وبيعها. ولتحقيق ذلك الهدف، فإنّ واحدةً من هذه الوظائف المختلفة تتطلّب قراءة، وإعادة قراءة، الجمل الكثيرة التي تؤلّف في النهاية كتابًا، وكذلك البحث عن أيّ هفواتٍ أو أخطاء في اللغة أو

مكتبة ياسمين

الوقائع. بعبارةٍ أخرى: التدقيق(1). هذا هو ما كنتُ أفعله في تلك الشركة الصغيرة. كنتُ مدقِّقة، أقضي كلّ لحظةٍ في يومي، من الصباح إلى المساء، أصطاد الأخطاء.

لستُ متأكّدةً حتى الآن من سبب شعوري بأنّه توجّب عليّ ترك المكان، رغم أنّني لم أستقل من الوظيفة إلّا بعدما فكّرتُ في الأمر من كلّ النواحي الممكنة. أشعر بأنّني على درجةٍ من الحماقة حين أقول إنّني تعبتُ من التعامل مع الناس. لكنّني حين أفكّر في الأمر بصدق، أشعر بعدم وجود طريقةٍ أخرى للتعبير عمّا حدث.

منذ أن كنتُ صغيرةً وأنا غير قادرةٍ على إجبار نفسي على الانخراط في محادثة، مثلَ أيّ شخصٍ طبيعيّ، ناهيك عن التواصل مع الناس أو الخروج معهم. لم أستطِع أبدًا التأقلم مع أجواء ذلك المكتب الصغير بالذات. في البداية، دعاني زملاء العمل للخروج معهم لتناول العشاء أو الشرب، لكنّني كنت أرفض دائمًا، متهرّبةً بسلسلةٍ من الأعذار الواهية. في مرحلةٍ ما توقّفوا عن دعوتي، وسريعًا ما تركوني وحدي تمامًا. لم يعُد أحدٌ يتحدّث معي إلّا إذا كان بحاجةٍ إلى شيءٍ ما. وحين يأتي البسكويت أو الحلويات خلال يوم العمل، يمرُّ الصندوق بجواري دائمًا، منتقلًا إلى مكتبٍ آخر. كان الأمر ليختلف لو أنّ الآخرين تركوني وشأني فحسب، لكنّ لامبالاتهم مع الوقت كشفت ملامح من المرارة، تتّضح في صمتهم ونظراتهم، إلى درجةٍ أصبح معها الذهاب

مكتبة ياسمين

إلى العمل أمرًا صعب الاحتمال.

بمجرّد أن بدأت قضاء وقتي كلّه وحدي، من دون الحديث إلى أيّ إنسان، بدأت أسمع همسات الناس عنّي في أوقاتٍ غريبةٍ من اليوم. حتى إنّ بعض زملاء العمل كانوا يستخدمون لغةً سرّيّة، ظنًّا أنّني لا أفهمها، في الحديث عنّي، أمامي، والسخرية منّي. وبعد أن أصبح هذا كلّه اعتياديًا، بدأوا يسألونني كلّ أنواع الأسئلة المتطفّلة التي لا علاقة لها بالعمل. ألن تتزوّجي؟ لِمَ لا؟ ماذا تفعلين في أيّام إجازاتكِ؟ أبقى في المنزل. ضحكوا، بل شخروا وهم يضحكون، كي أكون دقيقة. ماذا ستفعلين بكلّ المال الذي تدّخرينه؟ على هذا المنوال، سؤالًا بعده سؤال. وإن بقيت صامتة، أحاول التفكير فيما يجب عليّ أن أقوله، فإنّني أنتبه إلى الفتيات اللواتي يجلسن بجواري وهنّ يطرطقنَ آذانهنَ، محاذراتٍ أن ينظرن بعيدًا عن شاشات الكومبيوتر، ويحاولن إبقاء شفاههنّ مطبقةً بينما يضحكن من دون صوت.

جاءت أغلب الأسئلة من امرأةٍ خمسينيّة، بدت كأنّها زعيمة المجموعة. كانت من نوع الأشخاص الذين يعكس سلوكهم تفاخرًا هائلًا بنجاحهم في تأسيس عائلة، إلى جانب حياتهم المهنيّة، وتحديدًا تربية طفلين رائعين في حالتها. منذ يومي الأوّل في الشركة، صادف مكان جلوسي في المكتب إلى جوارها (ولو لم أستقل، فأنا متأكّدةٌ من أنّ هذا لم يكن ليتغيّر حتى يوم تقاعدها). لم تكن تخجل أبدًا من التصريح بما تفكّر فيه، منتظرةً الأوقات التي يخلو فيها المكتب إلّا منّا. وقد شعرت على ما

مكتبة ياسمين

يبدو بالإهانة لما رأته فيّ من امرأةٍ عزباء منغلقةٍ على نفسها، لم تفعل شيئًا في حياتها إلّا العمل، ولذلك أخذتْ على عاتقها، عبر حديثٍ مطوّلٍ تقطعه تنهّداتٌ عميقة، ألّا أنسى أبدًا كم بذلت من جهدٍ لتحافظ على استقرار حياتها، وكيف أنّ الأمور سهلةٌ جدًا بالنسبة إلى أشخاصٍ مثلي. لم تكن تتحدّث مع الفتيات الأخريات بهذه الطريقة أبدًا. اختارت استهدافي لتحظى برضاهنّ.

ازدادت أوقات صمتي في العمل مع ازدياد الفترات التي أقضيها في الشركة، وزاد مع ذلك شعوري بالسوء لوجودي هناك. في أحد الأيام، سمعتُ من دون قصدٍ اثنتين من الفتيات الجديدات، أصغر منّي بعشر سنواتٍ تقريبًا، وهنّ يقلن إنّني أدّعي اللطف لأنّه لا يوجد عندي مكانٌ آخر للذهاب إليه، وإنّه لا بدّ أنّ عندي حساسيّةً من المتعة، وكأنّني الملامة على أنّني لم أرفض مهمّة عمل، أو أتأخّر عن موعد تسليم. أربكني هذا للغاية. ما نوع المتع التي يُفترض بي أن أحظى بها؟ لو طُلِبَ منّي أداء مهمّةٍ معيّنة ولم أكن أرغب في ذلك، فما هي الطريقة الصحيحة لرفضها؟ عندما أفكّر في الأشياء لفترةٍ طويلةٍ بما فيه الكفاية، أجدني أتوه دائمًا وسط مشاعري، وبالتالي لا يكون عندي أيّ خيارٍ إلّا الاستمرار فيما أفعله عادة، من دون أن أفعل شيئًا لتغيير الوضع. ربّما كانت الفتيات على حقّ في أنّه ليس عندي مكانٌ اخر أذهب إليه، وأنّه لا يوجد أيّ شيءٍ ممتعٍ في حياتي.

عندها اتّصلت بي كيوكو.

مكتبة ياسمين

«استقال الشخص الذي كانوا يتعاملون معه فجأة، وهم يبحثون عن آخر يحلُّ محلّه على الفور».

لم أكن قد رأيث كيوكو منذ سنوات. كانت هذه هي المرّة الأولى التي تتّصل فيها بي، لهذا لم أفهم في البداية ما الذي يحدث. لكن على كلّ حال، ولأنّها أصرّت على أنّ هناك أمرًا عاجلًا تريد أن تتحدّث فيه معي، وافقث على أن نلتقي في نهاية الأسبوع.

عملت كيوكو محرّرةً في الشركة لسنوات، لكنّها استقالت بعد سنواتٍ قليلةٍ من بدئي العمل فيها لتؤسّس عملها الخاصّ. وصفث ما تفعله بأنّه: إنتاجٌ تحريريٌ.

«بدأث بقبول عددٍ من الأعمال الإضافيّة، وأصبح عندي الآن فريقٌ من الأشخاص الذين يعملون لصالحي. نقوم بأعمال التصوير، والتحرير، والتصميم، ومشاريع الكتابة. لم أعُد أعرف نوع العمل الذي أديره بصراحة».

فتحث فمها على اتّساعه، ثم ضحكت. عَلِقث ضحكتها في ذهني لأنّها كانت ملفتةً للنظر قليلًا، بالإضافة إلى الطريقة الغريبة التي نطقت بها اسمي الأخير: آيري. شعرثُ بالنوستالجيا.

ازداد وزن كيوكو كثيرًا، إلى درجة أنّني لم أعرفها حينما دخلث المقهى. لكنّ بشرتها النضرة، التي كانت أوضح ما يكون في وجهها، الذي وضعث عليه مساحيق التجميل بعناية، جعلتني أشعر بأنّها تبدو أصغر بكثيرٍ من آخر مرّةٍ التقينا فيها. حينما بدأث العمل في الشركة كان عمري اثنتين وعشرين سنة،

مكتبة ياسمين

وأنا واثقةٌ من أنّ عمرها وقتها كان اثنتين وثلاثين، ما يجعلها الآن فوق الأربعين. صحيحٌ أنّ وجهها اكتسى بتجاعيد طبيعيّةٍ في مثل سنّها، لكن كان بالإمكان تمييز نوعٍ من الحيوية فيها.

ثنت كيوكو أكمام السترة السوداء الرقيقة، فظهر تحتها قميصٌ أبيض ناعم. نظرتْ إليّ مباشرة، وقالت إنّ الجوّ حارٌّ أكثر ممّا توقّعتْ. نظرتُ إلى عينيها ولم أعرف كيف أردّ. تسلّلت نظراتي إلى حيث يلتقي ذقنها بجلد رقبتها، وأنا أهزُّ رأسي على فتراتٍ متقطّعة، وأسمع ما جاءت لقوله.

«لا أعرف كيف هي الأحوال عندكِ، لكن هل لديكِ وقتٌ لعملٍ جانبيّ؟».

تعمل كيوكو مع دار نشرٍ كبيرة، وهم يبحثون عن مدقّقٍ يعمل معهم بالقطعة، فخطرتُ على بالها. للمفارقة، لم نجلس أنا وكيوكو لتناول الغذاء إلّا مرّةً واحدة، وكان معنا عدّة أشخاصٍ من الشركة، لكنّنا لم نُجرِ وحدنا أبدًا ما يمكن أن أسمّيه «محادثة». صحيحٌ أنّنا عملنا في المكتب نفسه، لكنّني بالكاد كنتُ أتحدّث مع أيّ شخصٍ هناك. كنتُ أؤدّي عملي فحسب، ولم يكن لي أيّ تواصلٍ معها بالتأكيد. لهذا لم أكن سعيدةً بقدر ما أنا مستغربة، بل مرتابةٌ بعض الشيء من كونها قد فكّرت فيّ أنا تحديدًا بعد كلّ هذه السنوات.

«باستطاعتي إسناد الأمر إلى شركتي طبعًا، لكنّني متردّدةٌ قليلًا من تضخّم حجم فريقي أكثر ممّا هو عليه. وعلى كلّ حال، هم يبحثون عن شخصٍ يملك

مكتبة ياسمين

الخبرة».

كانت كيوكو تعبث بخاتمٍ فضّيٍ سميكٍ في سبّابتها وهي تتحدّث. نتأ جلد إصبعها فوق محيط الخاتم. نظرتُ إلى يدها، وشربتُ من كوب الشاي الأسود أمامي، ثم زممتُ شفتيّ وأومأتُ برأسي عدّة مرّات. كان الشاي فاترًا، مُرّ الطعم، وله مذاقٌ شبيهٌ بالمسحوق.

«أعرف أنّكِ مشغولةٌ في المكتب، ولا أريد أن أضغط عليكِ. لكنّها شركةٌ كبيرة، ولن تقلقي بعد ذلك أبدًا من فكرة أن يكون العمل متقطّعًا. بالإضافة إلى ذلك، هم مرنون تمامًا. فكّري في الأمر وكأنّه وظيفةٌ بدوامٍ جزئيّ. إذا استطعتِ اقتطاع القليل من الوقت...».

كرّرتُ الكلمات الأخيرة في جملة كيوكو داخل رأسي. اقتطاع القليل من الوقت. بعد أن بدأتُ العمل في الشركة، واعتدتُ طبيعة العمل، توقّفتُ عن مشاهدة التلفزيون، إذ لم أغدُ قادرةً على تحمُّل شعور الضيق الذي ينتابني حين أشاهد أخطاء لا أستطيع تصحيحها في النصّ أسفل الشاشة. لم أكن أقرأ الكتب أو أستمع إلى الموسيقى في العادة. لم يكن عندي أصدقاء أخرج معهم لتناول الطعام، أو أقضي ساعاتٍ معهم على الهاتف. وباستثناء مرّاتٍ معدودة، نتيجة ضغط العمل، لم أضطرّ إلى الذهاب إلى المنزل ومعي ما يجب إكماله هناك. كنتُ قادرةً على أداء جميع المهمّات الموكلة إليّ، بما فيها البحث، أثناء ساعات العمل. وفي موعدٍ أقصاه

الثامنة، كنتُ أعود إلى البيت دائمًا، في الوقت المناسب لإعداد وجبة عشاءٍ بسيطة، ليس عندي ما أفعله بعدها.

كيف كنتُ أقضي تلك الساعات الممتدّة، ليلةً بعد ليلة، قبل الذهاب إلى النوم؟ وبِمَ كنتُ أملأ مساحة الوقت الشاسعة تلك قبل بدء ساعات العمل؟

ذاكرتي فارغة. كلُّ ما استطعتُ تذكُّره هو الحروف اللانهائيّة التي تكوّن نصوصًا، مطبوعةً في سطورٍ ممتدّةٍ على كامل مساحة ورقةٍ بيضاء.

قلتُ بعد فترةٍ من الصمت: «يبدو هذا لطيفًا».

عندما سمعتْ كيوكو هذه الكلمات، فتحتْ عينيها على اتّساعهما، وابتهج كلُّ جزءٍ في وجهها.

«رائع!».

أومأتُ برأسي، وخفضتُ نظري إلى الزخرفة الورديّة في كوب الشاي الفارغ.

«أنا سعيدةٌ جدًّا بذلك. إن واجهتِ أيّة مشكلةٍ أرجوكِ أن تُخبريني مباشرة، مهما كان الوقت ومهما كانت المسألة».

أخرجتْ دفترًا من حقيبتها الجلديّة برتقاليّة اللون، وسألتني عن بريدي الإلكترونيّ وعنواني، ودوّنتْ ذلك بسرعةٍ بقلمٍ فضّيٍّ رفيع.

«سيتواصلون معك في أسرع وقت. شكرًا جزيلًا. لقد ساعدتني كثيرًا. أدينُ لك بهذا. سأتواصل معك قريبًا. حسنًا؟».

شربتْ كيوكو ما تبقّى من قهوتها، واقترحتْ أن

مكتبة ياسمين

نتحرّك، لهذا قمت وغادرث المقهى معها. حاولت أن أدفع نصيبي من الفاتورة، لكنّ كيوكو أوقفتني وابتسمت بطريقةٍ أظهرتها وكأنّها قلقةٌ بعض الشيء. اعتذرث وانحنيت، ثم أعدث محفظتي إلى حقيبتي القماشيّة المعلّقة بكتفي. التفتت إليّ، وكانت قد سبقتني، وقالت إنّها سعيدةٌ لأنّ أموري على خير حال، وضبطث إيقاع خطواتها على خطواتي، ثم أشارث إلى سيّارة أجرة. وقبل أن تُغلق الباب، تمنّت لي حظًّا جيّدًا، وأخبرتني بأن أتّصل بها لو احتجث أيّ شيء.

تعمل هيجيري إيشيكاوا في دار النشر التي قدّمتني كيوكو إليها، في قسم التدقيق بمكتبهم العملاق.

عملت هيجيري لفترةٍ طويلةٍ في التدقيق، لكنّ مهمّتها في الغالب كانت التنسيق بين المدقّقين بالقطعة والأشخاص المسؤولين عن الإنتاج الخارجيّ، الذين يرسلون المسوّدات النهائيّة، أو المخطوطات والملفّات.

لم تتطلّب الوظيفة أكثر من تبادل الرسائل الإلكترونيّة، وإرسال الطرود، وإجراء مكالماتٍ هاتفيّةٍ من وقتٍ إلى آخر، لتسير الأمور كما ينبغي. لكن بعد عدّة شهورٍ من انتهاء الشتاء الأوّل الذي قضيناه معًا، بدأث هيجيري تتّصل بي طول الوقت، عندما ترغب في السؤال عن شيءٍ ما، أو حتى من دون سبب، لتتابع سير الأمور فحسب.

قابلث هيجيري بعد وقتٍ قصيرٍ من بدئي العمل

مكتبة ياسمين

في هذه الوظيفة الجانبيّة التي رشّحتني إليها كيوكو. حضرنا حفلةً أقامتها الشركة بعد بدء السنة الجديدة، بهدف إتاحة فرصة تعارفٍ بين المدقّقين بدوامٍ كاملٍ وأولئك الذين يعملون بصورةٍ مستقلّة. بعد فترةٍ من التحديق في الدعوة التي أرسلتها لي كيوكو، قضيت ثلاثة أيّامٍ أفكّر فيما إذا كان عليّ الذهاب، قبل أن أحسم قراري في النهاية.

شعر هيجيري قصيرٌ إلى درجة أنّ بالإمكان رؤية أذنيها، تصبغه بدرجةٍ جميلةٍ من البنّيّ، وكان مكياجها مثاليًا. لم يسبق لي في حياتي أن رأيت مكياج وجهٍ بهذه الدرجة من الانتباه إلى التفاصيل، ليس في مجلّةٍ أو بوستر أو في التلفزيون، بل في الحقيقة. هناك هالةٌ فريدةٌ تحيط بها، وكأنّها طبقةٌ خاصّةٌ من الضوء، تسكب عليها هالةً ضوئيّةً تتجاوز المساحة المحيطة بها.

راودني إحساسٌ بأنّ هيجيري صريحةٌ مع الناس دائمًا، أيًا كان الشخص الذي تتحدّث إليه. قُرب نهاية الحفلة، انخرطت في نقاشٍ مع محرّرٍ يجلس بجوارها بخصوص تفصيلٍ هامشيّ، لكنّها أسكتته تمامًا في النهاية. ومن مكاني، على مسافة كرسيّين، راقبت النقاش بأكمله. أتذكّر أنّني شعرت بحماسٍ لم أعرف كيف أفهمه. شيءٌ ما في الطريقة التي أطلقت فيها تعبيراتٍ استفزازيّةً بكفاءةٍ فائقة، والثقة التي كانت تتحدّث بها. كيف أثبتت وجهة نظرها، وحافظت على هدوئها، حتى في اللحظات التي علا فيها صوت الرجل بطريقةٍ دفاعيّة، بينما هي تنظر حولها وتبتسم. بسرعةٍ شديدة، كانت

مكتبة ياسمين

قادرةً على استيعاب حالة الموقف، أيًا كان، مضيفةً مزحةً ذكيّةً هنا أو هناك، لإضحاك الناس. لم أستغرق إلّا ساعاتٍ قليلة لألاحظ أنّها امرأةٌ موهوبةٌ إلى درجةٍ تتجاوز كلّ ما يمكنني تخيّله، رغم أنّ هذه المواهب كانت غريبةً عنّي أنا نفسي.

كنّا أنا وهيجيري في العمر نفسه، وكلتانا من ناغانو، ولكن من مكانين مختلفين داخل المحافظة. وباستثناء هاتين النقطتين، وأنّنا فتاتان، لم أستطِع العثور على شيءٍ واحدٍ آخر نشترك فيه. لكنّها، لسببٍ ما، كانت طيّبةً معي للغاية.

أصبح التواصل منتظمًا بيني وبين هيجيري بعد وقتٍ قصيرٍ من حفلة كانون الثاني/يناير تلك، نتحدّث حول تفاصيل ما نعمل عليه في الوقت الحاليّ. كنتُ أحتاج إلى لقائها أحيانًا، لتسليم مخطوطٍ أو التأكّد من تفصيلٍ ما، الأمر الذي كان يصيبني على الدوام بحالةٍ من التوتّر الشديد. لكنّ هيجيري لم تكن تتعامل مع هذا القلق بجدّيّة، ما ساعدني على التخفّف منه في الواقع. وبالتدريج، بدأتُ أتطرّق في حديثي معها إلى مواضيع لا علاقة لها بالعمل. في الغالب، كنتُ أستمع إلى هيجيري وهي تتحدّث، لكنّها أصرّت على أنّني شخصٌ من الممتع التواجد معه، وكانت تضحك أيضًا لتُظهر لي أنّها تعني ما تقول. وعندما سألتُها ما هو الشيء الذي يجعل التواجد معي ممتعًا؟ ردّت ببساطة: شيءٌ واحد؟ كلُّ شيءٍ فيك. ثم ضحكت مرّةً أخرى بسعادة، من دون أن تقدّم لي إجابةً حقيقيّة. لم أعرف أبدًا كيف أردُّ على ذلك، لذا اكتفيتُ بالصمت

مكتبة ياسمين

ونظرتُ إلى الأرض. لكنّ هيجيري قالت لي بعدها: «لا تقلقي. عندما أقول لكِ إنّك شخصٌ ممتعٌ الوجود معه، فأنا أتحدّث عن شعوري. أعني أنّني أستمتع بصحبتكِ. لا داعي للقلق، حتى لو لم يكن هذا مفهومًا لك». ثم ابتسمتْ لي بدفء. لم أكن أتحدّث كثيرًا بالمقارنة مع هيجيري، لكن من وقتٍ إلى آخر. كنتُ أنسى الوقت، وألاحظ أنّني أحظى بوقتٍ ممتعٍ أنا أيضًا، مندهشةً من قدرتي على فعل شيءٍ كهذا.

بعد قرابة العام من بدء جلسات العمل تلك، وعقب واحدةٍ منها، سألتني هيجيري عن الأحوال في عملي النهاريّ.

بذلتُ أفضل ما عندي لأخبرها، بأكثر طريقةٍ غير مباشرة، كيف أنّني أجد العمل نفسه مفيدًا، وأنّه مجال العمل المناسب لي، لكنّ بيئة الشركة نفسها ليست أفضل ما يمكن. عندما انتهيتُ من إجابتي المراوِغة تلك، نظرتْ هيجيري إلى عينيّ وقالت: «فعلًا؟»، وصمتنا لفترةٍ من الوقت. بدا التعبير على وجهها وكأنّها تفكّر في شيءٍ ما. قلقتُ من أنّ صمتها يعني أنّها تظنّني شكّاءة. كان سؤالها عن العمل فحسب، عن طبيعة المسوّدات التي أعمل عليها الآن، أو ما الذي سيحدث قريبًا، لكنّني بدأتُ وصلةً بكائيّةً عن أجواء الشركة، وهو أمرٌ ليس له أدنى علاقةٍ بسؤالها، وليس أمرًا يهمّها بالتأكيد. شعرتُ بالذعر. خفتُ من أن أكون قد خيّبتُ أملها، بل أن أكون قد أهنتُها بإجابتي. لكنّني لم أعرف طريقةً أقول بها إنّني لم أقصد ذلك. لم تكن عندي شجاعة الحديث بوضوح، وكنتُ على يقينٍ من أنّني قد

مكتبة ياسمين

تحدّثت أكثر من اللازم بالفعل. لذا بقيت صامتة، لا أعرف ماذا أفعل. عندها تحدّثت هيجيري، وقالت إنّه ربّما عليّ التفكير في تغيير شكل عملي ليصبح حُرًا بالكامل.

«مفهومٌ أنّه عملٌ حُرَ، لكنّ هذا ليس بالوضع السيّئ. لا أعرف تفاصيل وضعك الحاليّ، فيما يتعلّق بالفواتير أو التأمين الصحّيّ، لكنّني واثقةٌ من أنّ شخصًا مثلكِ، يعمل بهذا الاجتهاد، يمكنه الانتهاء من أربعة كتبٍ في الشهر، بإجماليّ ثلاثمئة ألف ينّ. ستكون هناك تقلّباتٌ بالتأكيد، فتراتٌ أعلى من المعدّل وأخرى أقلّ منه. لكن بإمكانكِ توقُّع الحصول على هذا المبلغ تقريبًا».

نظرتْ هيجيري في عينيّ، وأكملت: «أظنُّ أنّ ذلك كلّه يعتمد على اجتهادكِ».

شعرتُ بالراحة لأنّني لم أضايق هيجيري، إلى درجة أنّني كدتُ أتنهّد بصوتٍ عالٍ، لكنّ بالي كان مشغولًا بما أسمع. عملٌ حُرَ. ثلاثمئة ألفٍ كلّ شهر. تقلُّبات. ناهيك عن تقييمها لي بالمجتهدة. بعض الكلمات التي قالتها تركتني في حالةٍ من الارتباك، غير قادرةٍ على الحديث.

سألتني: «حسنًا. ما رأيك؟».

بينما تتفحّصني بنظراتها، محاولةً استقراء ما أفكّر فيه، أومأتُ برأسي عدّة مرّات، وكرّرتُ ما قالته في رأسي. عملٌ حُرٌ مدقّقة للنصوص... طلبت منّي هيجيري أن أفكّر في الأمر. سيعني هذا أنّني سأستقيل من الشركة، وأمضي كلّ وقتي في هذا

مكتبة ياسمين

العمل الجانبيَ. لن أضطرّ للذهاب إلى مكتبٍ بعد ذلك، وسأستمرُّ فيما أفعل الآن، بالطريقة والإيقاع اللذين يناسبانني. هذا هو ما كانت هيجيري تقترحه.

سأكون قادرةً على العمل من المنزل بدايةً من الآن، وسيكون عملي مدقِّقة نصوصٍ حرّة. حاولت أن أردّد ذلك أكثر من مرّةٍ في رأسي. لا أظنُّ أنّني فكّرت أبدًا في الاستقالة من الشركة قبل هذه اللحظة، فضلًا عن العمل بصورةٍ مستقلّة، لكن بعدما سمعتُ هذه الفكرة منطوقةً بكلماتٍ واضحة، كلماتٍ أهمس بها لنفسي مرّةً أخرى في رأسي، اتّخذتِ الفكرة، بشكلٍ ما، وزنًا واقعيًا، وتردّد صداها في داخلي، إلى درجة أنّني بدأتُ أحسّ وكأنّ هذا الأمر هو الخيار الوحيد أمامي. منعطفٌ سعيدٌ للأحداث، أشعرني وكأنّ وجهي سيتورّد.

فكّرت في المكتب. الأجواء هناك. سألت نفسي ما المميّز في ذلك المكان، بعيدًا عن أنّه مكانٌ يمكنني الذهاب إليه كلّ يوم؟ صناديق حلوياتٍ من الكرتون الرقيق، معروضةً إلى جواري بشكلٍ واضحٍ على الرفّ. كوب شخصٍ ما. اللوحة البيضاء التي حال لونها إلى الرماديّ. شاشات الكومبيوتر. الألم الحادُّ الذي يتراكم في جانبي رأسي. الساعات الهادئة التي لا أتبادل فيها كلمةً مع إنسان، وكأنّها حلمٌ أسود لا يبدو له نهاية. عيون زملائي في العمل. نقرات لوحات المفاتيح. وسط هذه الصور كلّها، تظهر مسوّدةٌ بيضاء زاهية، ممتلئةٌ بنصّ حديث الطباعة ينتظرني لأقرأه، يشعُّ بدفءٍ ما. لكنّني حين رمشت، انزلق قوامه الزاهي إلى قبضة الصمت الذي عرفتُه

مكتبة ياسمين

جيّدًا.

راتبي السنويّ ثلاثة ملايين ومئتا ألف ينّ.

كانت هيجيري على حقّ، من اللطيف أن أحصل على راتبٍ لقاء إنهاء مهامّ بعينها. بدأت في النهاية أتقبّل الفكرة التي لم تعُد تبدو مستحيلة؛ أن أكسب عيشي من العمل بصورةٍ حُرّة، طالما أنّني أحصل على مهامّ عملٍ بصورةٍ منتظمة. كانت قد مرّت سنةٌ كاملةٌ منذ أن بدأت هذا العمل الجانبيَ، وعدد المخطوطات التي أُرسِلَت إليّ، وكذلك المبالغ التي حصلت عليها لقاء عملي، كانت مستقرّةً بدرجةٍ كبيرة. لكنّ فكرة العمل بخصوصيّةٍ في بيتي أنا، وحدي مع المخطوطات والنصوص، أمرّ ببطءٍ على كلّ كلمة، وكلّ جملة، هذه الفكرة تحديدًا ملأتني بالرضا. إنّه شعورٌ مختلفٌ عمّا يحدث حين أؤدّي العمل نفسه في المكتب.

وكأنّني أُحدّث نفسي، قلت: «سيكون هذا رائعًا». ثم ضحكت ضحكةً خفيضة. لم أقصد ذلك، لكنّني لم أعرف ما الوجه الذي يجب عليّ إبرازه، فبدأت أضحك بطريقةٍ غريبةٍ كشفت حقيقة أنّني اعتدت عيش حياةٍ مشوّشة، من دون إمعان التفكير في أيّ شيء. جاش صدري بدوّاماتٍ مُعتمة. مسحت أطراف أصابعي، مرّةً تلو الأخرى، بالفوطة المبلّلة على الطاولة.

قالت هيجيري مبتهجة: «في الواقع نحن نتعامل فعلًا مع الكثير من المدقّقين بنظام القطعة، بعضهم يعمل معنا منذ أكثر من عشرين سنة».

مكتبة ياسمين

تساءلت: «عشرون سنة؟».

قالت: «نعم، عشرون».

«... لكن ليس هناك... مم... ما يضمن... أنني سأحصل على عملٍ كلّ شهر...؟».

شعرتُ بالقلق من الطريقة التي ستنظر هيجيري بها إليّ لأنني سألت هذا السؤال. لكن كان يجب عليّ أن أسأل. كست الجدّيّة وجهها، وثبّتت نظرها عليَ، ثم خفّفت من مشاعري القلقة.

قالت وهي تومئ برأسها: «هذا سؤالٌ مهمٌّ جدًا، جدًا. فكّري في الأمر بهذه الطريقة. مثل أيّ دار نشر، لا يمرّ شهرٌ من دون أن نُصدِر كتبًا. لا أستطيع أن أعدكِ بأنّ كلّ شيءٍ سيسر حسب الخطّة، لكنّ مدير التحرير معجبٌ بعملكِ جدًا، وهو يشجّع دائمًا على أن تأخذي المزيد. بجدّ. لذا فلو قررتِ أن تعملي لحسابكِ بطريقةٍ حرّة، وكان بإمكانكِ استيعاب المزيد من مخطوطات الكتب، فإنّ هذا سيفيدنا كثيرًا. هذه هي الحقيقة بكلّ أمانة».

نظرتُ إلى هيجيري، مرتبكة بعض الشيء، وقلت: «فعلًا؟».

قالت بصوتٍ أعلى من اللازم قليلًا، وكأنّها تطرد مخاوفي: «فعلًا».

سألتها مرّةً أخرى: «فعلًا؟»، ثم أطلقتُ تنهيدة. استرخى وجهي كلّه، وكنت في هذه المرّة قادرةً على الضحك بصورةٍ طبيعيّة.

قالت هيجيري بعد توقُّف: «أحبّ أن أعمل مع

أشخاصٍ أثق بهم».

«تثقين؟».

ابتسمت هيجيري: «نعم، أثق. ولا أقصد هنا الاعتماد على شخصٍ ما. الأمر مختلفٌ فعلًا في الحقيقة. أقصد، أظنُّ أنّ الأمر كلّه يتعلّق بأنّ كلّ طرفٍ يعوّل على الطرف الآخر».

أومأت برأسي.

«كما يقولون... الثقة شارعٌ باتّجاهين. لكنّ الاعتماديّة قد تكون باتّجاهٍ واحد. هل تفهمين قصدي؟ جانبٌ يعتمد على الآخر. هذه ليست شراكة. ولهذا السبب فإنّ العلاقات التي تتأسّس على الاعتماديّة تكون غير مستقرّة. عقبةٌ صغيرةٌ في الطريق تكفي لينهار كلُّ شيء».

«صحيح».

«أيُّ خيرٍ يأتي من الاعتماديّة إذًا، في وقتٍ يمكن فيه لكلِّ شيءٍ أن ينهار لمجرّد أنّ تفصيلًا صغيرًا حدث، أو تغيّر شيءٌ ما؟ لا تكون الثقة هكذا، بالنسبة لي على الأقلّ. بوجود الثقة، فإنّني أعطي دائمًا مقابل ما آخذه. هناك توازن».

كانت هيجيري تهرش قفا أذنها وهي تتحدّث.

«وبمجرّد أن أثق بشخصٍ ما، لا تتلاشى هذه الثقة أبدًا».

أومأت برأسي بهدوءٍ وأنا أسمع هيجيري.

«هذا هو الأمر. وبالنسبة لي، فالثقة لا تأتي من مجرّد الإعجاب بشخصٍ ما، أو أن أحبّه حتى، بل

مكتبة ياسمين

تأتي من الطريقة التي يتعامل بها هذا الإنسان مع عمله».

سألت: «كيف يتعامل مع عمله؟».

«بالضبط. هذا هو المفتاح. بإمكانك معرفة الكثير عن شخصٍ ما من الطريقة التي يتعامل بها مع عمله. حسنًا، هكذا أرى الأمور على الأقلّ».

«هل تقصدين... مدى جدّيّتهم؟ أشياء كهذه؟».

قالت هيجيري: «ربّما». ولعدّة لحظاتٍ ثبّتت نظرها على السقف، كأنّها تفكّر. ثم أومأت عدّة مرّات.

«ربّما تكون هذه طريقةً أبسط من اللازم للتعبير عمّا أقصده. لا يهمُّ نوع العمل حتى. قد يكون عملًا منزليًا، أو على صندوق المحاسبة في السوبرماركت، أو المضاربة اليوميّة في البورصة، بل قد يكون عملًا بدنيًا حتى. أيُّ شيء. ولا يهمُّ محتوى العمل نفسه كذلك. ولا النتائج. فعندما يتعلّق الأمر بالنتائج، سواء أكانت جيّدةً أو لم تكن، كثيرًا ما يلعب الحظُّ الدور الأكبر. أشياء كهذه قد تتغيّر. بإمكانكِ جعل الناس يصدّقون ما تريدين. يمكنكِ خداعهم بمنتهى السهولة، لكن لا يمكنكِ خداع نفسكِ. صعبٌ جدًا. لذا فما يهمُّ فعلًا هي الطريقة التي تفكّرين بها في عملك، في حياتك أنت. إلى أيّ درجةٍ تحترمينه. كم تبذلين من المجهود في المحاولة، أو كم بذلت من مجهود. الأشخاص الذين أحترمهم هم الذين يبذلون أنفسهم في أعمالهم. أعرف أنّها طريقةٌ غبيّةٌ قديمةٌ للوصف، لكن هكذا أرى الأمور».

قلت: «حسنًا...»، هززتُ رأسي عدّة مرّات، ثم

مكتبة ياسمين

أكملتْ:

«كيف تعرفين ذلك؟».

قالت هيجيري وعلى وجهها ابتسامة: «حين أمضي قدرًا من الوقت مع شخصٍ ما، وأتحدّث معه، وأعاين عمله، يمكنني أن أعرف مباشرة».

«بهذه البساطة؟».

قالت: «بهذه البساطة»، وهي ترفع زاويتي شفتيها بطريقةٍ تؤكّد درجة وضوح الأمر بالنسبة لها. ثم أكملت والابتسامة لا تزال على وجهها:

«وهؤلاء فقط هم من يستحقّون الإعجاب. أظنُّ أنّني أثق بهذا الشعور، أيًا كان السبب الذي يدعوني للإعجاب بهم، رغم أنّي لا أعرف إذا كان الأمر متعلّقًا بالحبّ أو الإعجاب. لم أفكّر في مسألة الحبّ تلك... لكن ما يدوم في نهاية الأمر هو شيءٌ لا يمكن أن يتغيّر ببساطة، أو يختفي في أيّة لحظة... إنّها الثقة».

أنهت هيجيري كلامها، ونظرت بعمقٍ في عينيَّ.

«على كلّ حال، أنا أثق بكِ».

أجبتُ مندهشة: «أنا؟».

«نعم، أنت».

رأت هيجيري دهشتي، ففتحت عينيها على اتّساعهما وضحكت، ثم سألتني عمّا يدهشني إلى هذه الدرجة. لم أعرف أين أثبّت نظري، لذا وجّهت عينيّ إلى الأسفل، غير قادرةٍ على النظر إلى وجهها لفترة.

مكتبة ياسمين

قالت: «أنا أثق بالطريقة التي تتعاملين فيها مع عملك، وهذا يعني أنّني أثق بك... أنا آسفةٌ إن كان هذا مربكًا بعض الشيء. لكن بالنسبة لي، هذا هو المعيار الأهمّ».

ابتسمتْ وهزّتْ كتفيها. نظرتُ إليها، وشكرتُها بصوتٍ خفيض.

«في نوع عملكِ هذا، هل تعرفين أنّه بغضّ النظر عن المجهود الذي تبذلينه، ومهما أمعنتِ النظر، ستظلُّ هناك بعض الأخطاء؟ أقصد أنّه حتى لو قرأ عددٌ من الأشخاص المخطوط النهائيّ، عدّة مرّات، لأيّامٍ طويلة، إلى درجةٍ يصبحون معها غير قادرين على قراءته مرّةً أخرى، مهما كان المجهود الذي سيبذله هؤلاء الأشخاص. لا يوجد كتابٌ يخلو من الأخطاء، صحيح؟».

قلت: «صحيح». وكانت هذه حقيقةً بالفعل.

«دائمًا وأبدًا ستجدين خطأ ما».

«نعم».

«هذا يعني ببساطةٍ أنّه لم يوجد أبدًا ما يمكننا أن نطلق عليه الكتاب المثاليّ، وأنّه في الواقع لا نهاية لأيّة وظيفة، مهما كانت. عندما يصدر كتابٌ ما، قد يمرُّ عامٌ مثلًا من دون أن تظهر أيُّ أخطاء. لكن، بعد عدّة سنوات، ستفتحين الكتاب وتجدين الخطأ أمامك: خطأ مطبعيٌّ ينظر إليك. يحدث هذا طيلة الوقت، لكن في كلّ مرّةٍ يكون هذا الشعور أسوأ شعورٍ في العالم، أليس كذلك؟ أمرٌ مفجع، كأنّ العالم

كلّه تخلّى عنك بالكامل».

«تمامًا».

«هل يمكن لأحدٍ أن يتخيّل كم تعبت في العمل على هذا الشيء؟ أسوأ شعورٍ في العالم».

قالت هيجيري هذه الجملة الأخيرة، وبدا أنّها تعنيها تمامًا.

قلت: «تمامًا. نعم». وكنتُ أعني ذلك بدوري.

«ورغم أنّ خبراتنا السابقة كلّها تخبرنا بأنّه لا يوجد شيءٌ اسمه كتابٌ بلا أخطاء، فإنّنا ما زلنا نصبو إلى الكتاب المثاليّ. أليس كذلك؟ كتابٌ مثاليٌّ بلا خطأ واحد. لعلّها معركةٌ محكومٌ علينا فيها بالهزيمة حتى قبل أن تبدأ، لكن لا يبدو أن أمامنا خيارًا آخر. أليس كذلك؟».

أومأتُ برأسي.

أكملت هيجيري: «أعرف أنّه ليس بإمكاننا خلق شيءٍ من العدم، لكنّ العمل الذي نقوم به شديد الأهمّيّة. لا أدّعي أنّني أعرف أيّ شيءٍ عن الأدب، أو الأعمال الخياليّة، أو النقد الأدبيّ، لكنّني فخورةٌ بما أفعله. لا أعرف كيف أشرح ذلك، لكن هناك شيءٌ شديد الأهمّيّة في العمل الذي نقوم به، ولديّ إحساسٌ بأنّك تشاركينني هذا الشعور».

جلست هيجيري بلا حراك، شفتاها مزمومتان، وكأنّها تفكّر في شيءٍ ما.

«هذا هو ما أعيش لأجله. هذا هو كلّ شيء».

لمدّة دقيقة، جلسنا نحتسي مشروبينا. وعندما

مكتبة ياسمين

انفجرتْ مجموعةٌ من السيّدات الكبيرات في السنِّ بجوارنا بالضحك، جفلنا في مقعدينا، ثم أمسكتْ كلُّ واحدةٍ منّا بالأخرى وهي تبتسم.

«سأجد طريقةً أطرح بها الفكرة على مدير التحرير. وحينها سأقول إنّك تفكّرين في استكشاف مساحة العمل الحُرّ. وسأرى ما إذا كنتِ قادرةً على فهم الوضع الحاليّ. لكنّني جادّة، حسنًا؟ سيعني ذلك الكثير لكِ، لو أنّكِ قادرةٌ على التركيز على كتبكِ بهذه الطريقة. أعرف أنّني قلتُ ذلك من قبل، لكنّنا نتحدّث عن ذلك طيلة الوقت».

نظرتْ هيجيري إلى ساعتها، وقالت إنّ عليها الذهاب. الهاتف، المناديل الورقيّة، المفكّرة التي أخرجتها من الحقيبة وعادت إليها الآن. أمسكتِ الفاتورة بين أصابعها، وأخبرتني بأنّها ستتّصل بي حينما يقترب موعد التسليم، ثم لوّحت بيدها الحُرّة وخرجت.

قرّرتُ أن أستقيل من الشركة إذًا، وأصبح مدقّقةً حُرّة. أخبرني رؤسائي في العمل بأنّ هذا هو أسوأ وقتٍ ممكنٍ لترك وظيفتي. كدتُ أتراجع عن قراري عدّة مرّات، لكن لم تكن هنالك أيّ عوائق في عقدي، وكنتُ متوقّفةً عند نقطةٍ ملائمةٍ في المشروع الذي أعمل عليه. ورغم أنّني لم أخبرهم بسببٍ واضحٍ لاستقالتي، على امتداد محادثاتٍ طويلةٍ خضناها، فقد تمكّنتُ من توضيح أنّني راحلة.

بعد أن انتهيتُ من تنظيف مكتبي، وملأتُ الأوراق المطلوبة، ودّعتُ الأشخاص الذين أردتُ توديعهم،

مكتبة ياسمين

ثم نزلت السلالم وغادرت المبنى مستنزفة القوى، أشعر بالعالم يترنّح على جانبيَ. وضعت حقيبتيَ الورقيّتين على الأرض، وتوقّفت لحظة لأفرد ظهري، وأطلق زفرةً طويلة. ثم أخذت نفسًا عميقًا إلى درجة أنّ صدري آلمني. بعد أن كرّرت ذلك عدّة مرّات، شعرت بانتعاشٍ أثق بأنّني لم أختبره في حياتي ينتشر ببطءٍ في رئتيَ، وملأني وعيٌ بكلِّ المواضع الليّنة في داخلي، وهي تنتشر إلى الخارج بدرجاتٍ متفاوتة. شعرت كما لو أنّ تدفُّق السيّارات، الذي لم يكن يختلف عن أيِّ وقتٍ مضى، وخُضرة النباتات على جانبَي الشارع، بل الهواء نفسه، أصبحت كلُّها أكثر وضوحًا ممّا هي عليه في العادة.

لكنّني لم أقدر على السير وسط هذه المناظر الجليّة إلّا لفترةٍ بسيطة. فمع ابتعادي عن الشركة التي قضيت فيها وقتًا ليس بالقليل أبدًا، بدأت أشعر بأنّني اتّخذت قرارًا لا يمكن العودة عنه. شعورٌ يتشبّث بظهري ويسحبني إلى الأسفل. مع كلِّ خطوةٍ أخطوها، انسدل حجابٌ من الظلمة على كلِّ ما أراه.

أكان عليّ أن أبذل مجهودًا أكبر؟ هل فقدت اتّصالي بالواقع، شاعرةً بالثقة بعد تشجيع هيجيري؟ أعرف أنّه كان بإمكاني بذل المزيد من الجهد، المحاولة أكثر، إنجاح الأمر. لا يوجد إنسانٌ في هذا العالم إلّا وعنده شيءٌ ينبغي عليه تحمُّله والتعامل معه. شعورٌ بعدم الارتياح يمتزج بالندم شقَّ طريقه إلى حلقي. شعورٌ لا يمكن التخلُّص منه بصوتٍ أو تنهيدة.

مكتبة ياسمين

ـ 2 ـ

قبل ثمانية أعوام، في ليلة عيد ميلادي الخامس والعشرين، وبعد أن تجاوز الوقت الحادية عشرة بقليل، قرّرتُ أن أخرج لأمشي.

لا أعرف ما الذي دفع بهذه الفكرة إلى رأسي، لكن بينما أنا جالسةٌ في مكاني، أراقب عيد ميلادٍ مملٍّ آخر وهو يقترب من نهايته، شعرتُ برغبةٍ مفاجئةٍ في الخروج والمشي. ربما كان من الأفضل أن أشتري قالب حلوى وأُحضره إلى البيت (يصادف عيد ميلادي ليلة عيد الميلاد، لذا فقد كانت المدينة ممتلئةً بقوالب الحلوى)، أو أخوض محادثةً مع شخصٍ ما، لكنّ الخروج للمشي كان الشيءُ الوحيد الذي خطر في بالي، والذي يمكنني أن فعله بمفردي.

كان ذلك الشتاء باردًا إلى درجة أنّ أنفاسي كانت تخرج بيضاء، حتى داخل البيت لو حدث وأطفأتُ جهاز التدفئة. ارتجفتُ وأنا أخلع عنّي طبقاتٍ من ملابس البيت، وأرتدي بلوفر، وبنطال جينز فوق رداءٍ داخليّ، وألبس فوق ذلك كلّه معطفًا ثقيلًا. غطّيتُ ما حول رقبتي بوشاح، ثم خرجت.

خيّم توتُّرٌ من نوعٍ ما على هواء كانون الأول/ ديسمبر، من دون أثرٍ لنسمة ريحٍ على سطح الأرض. لكنّني حين نظرتُ إلى الأعلى رأيتُ السحب وهي تتحرّك بإيقاعٍ عنيف. وقفتُ من دون حركةٍ لفترةٍ من الوقت، أحدّق إلى السماء في الأعلى. طبقات السحب المتتابعة، ليست بيضاء أو رماديّة، معلّقة في سماء الليل كأنّها معالم مخلوقٍ ما، هائل الحجم،

مكتبة ياسمين

يتحرّك من دون أن يصدر صوتًا. تسارعت نبضات قلبي مع المشهد. أطلّ القمر مضيئًا أبيض اللون. كان عيد ميلادٍ هادئًا. وضعت يدي في جيب المعطف وبدأت السير في الشارع، من دون أن أرى إنسانًا في مرمى البصر. ولكنّ ذلك حسّن مزاجي لسببٍ ما.

في تلك الليلة، انجرف كلّ شيءٍ متحوّلًا إلى شعورٍ حادّ وغريبٍ بالارتياح، وكأنّ أجزاء العالم أمامي تخبرني بقصّةٍ ما. كان مشهدًا مألوفًا بالكامل. صفوف المنازل المعتادة، وأعمدة الهاتف، وكلّ الأشياء الأخرى، بدت كأنّها تشعّ بضوءٍ لا يمكن احتواؤه.

أصيص زرعٍ أمام مدخل بيت، لا شيء داخله إلّا أرضيّةً من الحشائش الميتة التي تخلو من الألوان. زجاجاتٌ وعلب صفيحٍ خالية، أكياسٌ بلاستيكيّةٌ متروكةٌ في سلّة دراجةٍ هوائيّةٍ صدئة. هذه الأشياء كلّها تتضمّن معنى سرّيًا لا يقدر غيري على فهمه.

كلّ شيءٍ جديدٍ لفت نظري، وتمعّنت فيه، كان يخلق في داخلي صوتًا ناعمًا. شعرتُ كأنّ وهج الليل كان يرسل رسالةً إليّ، ويتمنّى لي بسرّيّةٍ عيد ميلادٍ سعيدًا.

منذ ذلك الوقت، وفي كلّ عيد ميلاد، أخرج للمشي في الليل.

نظرتُ إلى التقويم أمامي على الطاولة، متذكّرةً أوّل ليلةٍ خرجتُ فيها ومشيت. لكنّنا في نيسان/ أبريل، لا يزال أمامي أكثر من نصف سنةٍ حتى موعد جولتي المسائيّة.

مكتبة ياسمين

قلّبت في التقويم حتى وصلت إلى شهر كانون الأول/ديسمبر، ونظرت إلى صورة شجرة الميلاد التي يغطّيها الثلج. ثم عدت إلى شهر نيسان/أبريل، قبل أن أعود إلى كانون الأول/ديسمبر مرّةً أخرى. الأمر بدهيٌ طبعًا، لكنّ التقويم ينتهي في ذلك الوقت. باستثناء بعض مواعيد التسليم، التي تحمل علامةً خفيفةً بقلم الرصاص، لم يكن عندي أيّ خططٍ من أيّ نوع. خطر ببالي أنّني لم أكن لألاحظ لو أنّ أحدًا بدّل الشهور الستّة الماضية بالشهور الستّة القادمة.

أعددتُ بعض الطعام وتناولته. ثم غسلت الأطباق، وعدت إلى عملي. وصلت إلى عدد الصفحات التي حدّدتها لنفسي من أجل إنجازها في اليوم الواحد، من دون فاصل راحةٍ في المنتصف، لذا أطفأت نور المكتب ونهضت لأمارس بعض تمارين الإطالة. بعد ذلك، التقطت الملابس من كومة الغسيل التي تركتها سابقًا، وبدأت أطوي ملابسي الداخليّة والملاءات، حين رنّ تليفوني. لم يكن أيّ أحدٍ يتّصل بي أبدًا إلّا هيجيري، لذا لم أتحقّق من الشاشة لمعرفة هويّة المتّصل، وإن كان من النادر أن تتّصل في وقتٍ متأخّرٍ كهذا. الساعة العاشرة والنصف ليلًا.

سألتني هيجيري: «ما الذي تخطّطين لفعله؟».

بدا مزاجها جيّدًا اليوم.

قلت: «أطوي الغسيل».

أيًا كان المكان الذي تتّصل هيجيري منه، فقد كان صاخبًا للغاية.

مكتبة ياسمين

«ثم ماذا؟ وقت النوم؟ أم ستعودين إلى العمل؟».

«أنهيتُ عملي منذ قليل».

«ما رأيكِ في الخروج قليلًا إذًا؟ ودُعيتُ بعض الأشخاص الذين يعملون معي، وكنّا نشرب معًا».

أخبرتني هيجيري باسم المكان الذي تجلس فيه. وبعد أن تردّدتُ لحظة، كتبتُ العنوان. لم أخرج أبدًا في مثل هذا الوقت المتأخّر، باستثناء ليلة عيد ميلادي، وكنتُ سأرفض الخروج بالتأكيد لو أنّها كانت برفقة شخصٍ آخر. لكنّها وحدها، لذا كان من الصعب عليّ أن أرفض.

«إن كان سيُرهقكِ ذلك فلا داعي... في الحقيقة... لا... عليكِ الخروج... حتى لو كان ذلك سيُرهقكِ. عليكِ الخروج أحيانًا».

ضحكتْ هيجيري وأكملت:

«وهذه هي المرّة الأولى التي أطلب فيها ذلك منكِ. لن نتحدّث عن أيّ شيءٍ جادّ. هيّا. سيكون الأمر ممتعًا».

قلتُ أخيرًا:

«حسنًا».

راجعتُ معها العنوان الذي كتبتُه، ثم أغلقنا الهاتف. أطلقتُ تنهيدةً هائلة، ونظرتُ حولي من دون سببٍ واضح. ارتديتُ بنطلون جينز وقميصًا خفيفًا. فكّرتُ بأنّه ربّما عليّ ارتداء شيءٍ ما فوق ذلك، لكن لم يكن عندي معطفٌ ربيعيّ. وبينما أبحث عن قميصٍ آخر، مرّت في رأسي تلك الفكرة. في كلّ عامٍ أقول

مكتبة ياسمين

لنفسي إنّني بحاجةٍ إلى معطفٍ ربيعيّ، لكن مع مضيّ الوقت من دون شراء واحد، وصلتُ لاستنتاجٍ يقول إنّني لن أشتري واحدًا أبدًا. معطفٌ ربيعيّ... معطفٌ للربيع. وللحظة، شعرتُ بحاجةٍ للبحث عن تعريفٍ دقيق. ما تفعله أيّ مدقِّقةٍ محترمة. لكنّني ارتديتُ حذائي وسرتُ نحو الباب.

البار الذي طلبت منّي هيجيري أن ألتقيها فيه كان عنوانًا للأناقة. إضاءةٌ بين الذهبيّ والكهرمانيّ. لم يكن هناك الكثير من الأشخاص، ما جعلني أشعر وكأنّه أكثر اتّساعًا ممّا هو عليه. مكبّرات صوتٍ في السقف تبثُّ موسيقى هادئة.

عندما دخلتُ، كانت هيجيري قد وصلت بالفعل، وكانت تجلس إلى أقصى النُّضد. عندما رأتني لوّحت بيدها.

قالت ضاحكة: «لقد فعلتِها»، وبدت مبتهجة. سحبتُ كرسيًا لأجلس.

كانت ترتدي فستانًا أحمر اللون، عليه كارديغان رماديّةٌ منفوشة، على صدرها زخرفةٌ من الخرز الصغير، تعكس الضوء كلّما تحرّكت.

لاحظتُ أنّ الكأس في يد هيجيري كانت فارغةً بالفعل. قلتُ لها:

«هل شربت كثيرًا؟».

قالت هيجيري وكأنّها تُحدّث شخصًا آخر:

«لا بُدّ أنّك تعرفين الأمور. أظنّني أشرب كثيرًا على الدوام. لكنّني أهدف اليوم إلى تحقيق ذلك. ما الذي

مكتبة ياسمين

تريدين أن تشربيه؟».

«شيء بلا كحول».

طلبث هيجيري لنفسها المشروب نفسه، وطلبث لي كوكتيل مانغا بلا كحول.

سألثها، وأنا لا أنظر إليها من التوتُّر، وأكتفي بالنظر في أنحاء الغرفة:

«هل... مم... تخرجين عادةً للشرب مع زملائك في العمل؟ هل هو أمرٌ معتاد؟ هذا المكان لطيفٌ فعلًا، أليس كذلك؟».

«هذه هي المرّة الثانية ربّما التي آتي فيها إلى هنا. ولا، لا نخرج للشرب عادة. عندما ينضمُّ شخصٌ جديدٌ إلى الفريق فحسب، أو يغادر أحدهم الفريق. وربّما في نهاية العام. أقصد... أحيانًا يخرج اثنان منّا لتناول كأسٍ أو كأسين. تدقيق النصوص عملٌ يُصيب بالوحدة. صناعةٌ تمتلئ بالأشخاص الوحيدين».

ابتسمث لي هيجيري ابتسامةً واسعة، وبدث سعيدةً بالفعل. ابتسامةً ألطف من المعتاد.

«لكنّ الناس فوقنا، في الطابق العلويّ، من يتولُّون عمليّة التحرير، هناك حيث يصنعون الكتب. أراهن أنّ الأمور مختلفةٌ عندهم. أعرف أشخاصًا في الأقسام كلّها، وممّا أسمع، فالأمور هناك مختلفةٌ تمامًا. يمضون الكثير من الوقت في اجتماعاتٍ مع مؤلّفين عظام، يتناولون الطعام ويشربون، بل بإمكان بعضهم إنفاق كلّ ما يرغبون في إنفاقه».

مكتبة ياسمين

«حقًا؟».

«حسنًا، لست متيقّنة من ذلك، لكن هذا ما أسمعه».

«المؤلّفون العظماء إذًا هم من يبيعون نسخًا كثيرةً من الكتب؟».

«أظنّ ذلك... لا أعمل معهم مباشرة. أنا غير متأكّدة. لكن أظنّ ذلك. لكن... حسنًا... هناك الكثير من المؤلّفين الذين لا يبيعون شيئًا، لكنّهم عظماء حسبما يُفترَض. لا بدّ أنّكِ تعرفين كيف تعمل الجوائز، صحيح؟».

«نعم».

«هناك كُتّابٌ عظماء، لكنّهم غير ناجحين. وفي المقابل، هناك كُتّابٌ ناجحون، لكنّهم ليسوا عظماء. أنا متأكّدةٌ من أنّ هناك قاعدةً خاصّةً من نوعٍ ما وراء هذه الأمور. لكن، مرّةً أخرى، أشعر بأنّ هذه الأمور موجودةٌ في كلّ مكان. نحن النساء نتعرّض لذلك طيلة الوقت، أليس كذلك؟ لو أنّكِ تجنين الكثير من المال، لكنّكِ لم تُنجبي أطفالًا، ربّما توصفين بالشخص الناجح. لكن لو لم تحظي بأطفال، فلن توصفي أبدًا بالشخص العظيم. هل تفهمين ما أقصد؟».

أومأتُ برأسي، وأنا أمسح يدي بعنايةٍ بالفوطة المبلّلة.

«حسنًا. من ناحيةٍ من النواحي، فكرة العظمة تلك مهمّةٌ. لو أنّنا نتحدّث عن مصدر الدخل الذي يأتي منه الراتب. لكن عندما يتعلّق الأمر بالعمل فعلًا. فلا

مكتبة ياسمين

يوجد فرق، لأنّ المخطوطات كلّها تتساوى بسواءٍ أمام عينيّ المدقّق... لحظة، هل قلتُ «تتساوى بسواء»؟ فليُحضِر لي أحدكم قلم رصاص!».

ضحكت هيجيري، وضحكتُ أنا أيضًا.

تحدّثنا بعد ذلك عن عدد المشروعات التي نعمل عليها حاليًا. طلبتُ المشروب نفسه، وطلبت هيجيري لنفسها كوكتيلًا حقيقيًا بالفريز.

بعد فترةٍ من الصمت، سألتني هيجيري:

«أنتِ لا تضعين مساحيق تجميلٍ أبدًا، أليس كذلك؟».

«نعم. في الغالب».

كانت إجابتي عنيفةً بعض الشيء، لأنّني وجدتُ نفسي محور الحديث. حاولتُ تخفيف ذلك بجرعة ماء.

«لا شيء؟ أبدًا؟».

«ليس إلى هذه الدرجة... أنا فقط لا أستعمل الكثير منها».

«هل تنتمين إلى هؤلاء الأشخاص؟ الطبيعيّين؟».

«الطبيعيّون؟».

«نعم. هل تعرفينهم؟ الأشخاص الذين «طبيعيّةٌ وافتخر»، أو أشياء من هذا القبيل».

ابتسمت هيجيري وبدا عليها الاستمتاع، وبانت أسنانها قليلًا من بين شفتيها الرشيقتين.

«هل هناك أناسٌ كهؤلاء؟».

مكتبة ياسمين

«يا إلهي. نعم».

ابتلعت المتبقّي في كأسها، وطلبت واحدًا آخر.

«الناس الذين لا يكفّون عن ترديد: أوه. أنا طبيعيّةٌ جدًا. أنا على ما أنا عليه. الذين يقولون كلّما تقدّمت في العمر، كلّما أصبحت ما أنا عليه حقًا. الذين يتوقّعون أنّ كلّ الحبّ الذي يقدّمونه إلى الطبيعة يعني بالضرورة أنّ الطبيعة تبادلهم الحبّ. الذين يتجوّلون في كلّ مكان، ويخبرون أنفسهم بأنّ كلّ شيءٍ يحدث لسبب، ويفتخرون بأنفسهم لأنّهم يقدّمون للعالم هذه الطاقة الإيجابيّة كلّها. أولئك الذين يظنّون أنّ كلّ شيءٍ في العالم له معنى مخفيّ... بإمكاني الاستمرار أكثر، صدّقيني».

أصدرت ردّ فعلٍ مبهم.

«لكنّني أعرف جيّدًا. كلُّ إنسانٍ من حقّه أن يعيش الحياة التي يرغب فيها. مهما كان ما يفعله».

وضعت هيجيري ذقنها على يدها، ومسحت قطرةً عن زجاج الكأس بإصبعها. تركت رموشها الطويلة ظِلًّا واضحًا على بشرتها تحت عينيها.

سألتني: «لكن لو فكّر المرء في هذا كلّه، فلن يبدو له أيّ من هذا حقيقيًا. ما رأيك؟».

«رأيي في أيّ شيء؟».

«طريقة التفكير هذه، حسبما أظنّ. الروحانيّة. الحياة الطبيعيّة. هذه الأشياء كلُّها. ضيّقة الأفق كلُّها، أليس كذلك؟ بالنسبة لي هي جنون. لا يهمّني ما الذي نتحدّث عنه. الإله، العناية الإلهيّة، الطبيعة،

الطاقة العظمى، الكون... لماذا ستتورّط أيٌ من هذه القوى مع كائناتٍ بشريّةٍ ضئيلةٍ غبيّة، ومع مشاكلهم الأضأل والأغبى؟».

أومأت برأسي. «ما يسمّونه روحانيّةً هو ببساطةٍ خدمةٌ ذاتيّة، مصممةٌ لتجعلهم سعداء، أو لتجعل الناس من حولهم يظنّون أنّهم عثروا على نوعٍ مميّزٍ من السعادة. ليس الأمر إلّا قناعةً ضحلةً بمكسبٍ فوريّ. يعيشون حياتهم وهم يظنّون أنّهم يعاينون شيئًا كبيرًا. وكأنّ كلّ شيءٍ يشعرون به، أو يفكّرون فيه، هو شيءٌ كبير. أكبر منّا جميعًا. هذا هو ما يفعلونه. يتصرّفون وكأنّهم كِبارٌ كلُّهم مستعدّون لمشاركة سعادتهم مع الناس جميعًا. لكن في حقيقة الأمر السعادة الوحيدة التي يهتمُّون بها هي سعادتهم الشخصيّة. أقصد... لماذا لا يهتمُّون بأمورهم ويتركوننا نحن في حالنا؟ أنا بخير. شربث بعض الكؤوس فحسب. لكنّني لست قريبةً من السكر حتى. أنا مثل إسفنجة، صدّقيني».

مرّ بعض الوقت منذ بدأت هيجيري تشرب من كأسها بإيقاعٍ متواتر، لكنّني لم ألحظ أيّ تغييرٍ طرأ على وجهها أو عينيها. بل يمكنني القول إنّ الشرب بطريقةٍ ما جعلها متّقدة الذهن. كانت هذه هي المرّة الأولى التي نخرج فيها معًا، وإن كنّا قد خرجنا عدّة مرّاتٍ من قبل في مجموعة، لكنّني لم أرها سكرانة أبدًا.

سألتني هيجيري، وهي تنظر إلى مشروبي الذي لم يتبقَّ إلّا ثلثه:

مكتبة ياسمين

«ماذا عنك؟ ألا تشربين؟ أم لا تستطيعين الشرب؟».

«لا أستطيع، حسبما أظنّ. شربتُ مرّةً حين كنتُ في الجامعة، لكنّني شعرتُ بالغثيان. لم أشرب أيّ شيءٍ من وقتها».

«آها».

قالت هيجيري بعدها إنّها ربّما ستجرّب عصير المانغا هي الأخرى، لكنّها طلبت في النهاية زجاجة كارلسبيرغ.

«رغم ذلك، فأحيانًا تكون مرحلة ما قبل السُكر تلك جميلةً للغاية، إن لم تُفرطي. تجعلكِ في حالة استرخاء، وتجعل كلّ شيءٍ حولكِ في حالةٍ ألطف قليلًا. صحيحٌ أنّني لا أشرب حتى السُكر، لكنّ الحياة بالنسبة لي لا تُطاق من دون الكحول».

«إذًا فالليلة... هي واحدةٌ من تلك الليالي؟ أقصد، لا أعرف كيف أعبّر عن ذلك بالضبط. لكنّكِ تفهمين قصدي. هذا النوع...».

حكّت هيجيري زكن عينها بطرف إصبعها المستدير، وقالت:

«ليلةٌ مثل غيرها... أظنُّ ذلك... لكن اسمعيني... هؤلاء الأشخاص في كلّ مكان».

همهمتُ لأظهر اهتمامي بما تقول.

«أقصد أنّك إن قابلت امرأةً في مثل سنّنا، فسيكون هذا ما ترغب في الحديث عنه طيلة الوقت. السلام الداخليّ، السعادة الأبديّة. لا يمكنهنّ

مكتبة ياسمين

التوقُّف. لكنّني سأتحدّث عمّا أريد، لذا سأقول لهنّ ما قلته لك للتوّ بالضبط. بالطبع لن أترك مساري الطبيعيّ لأدوس في حقل الألغام هذا. أنا أتحدّث فقط عمّا يحدث عندما يبدأن كلامهنّ بكلّ عجرفةٍ عن: عليك تجربة هذا العالم. أقصد عندما تقول إحداهنّ كلامًا غبيًا. ألا ترغبين حينها في إخبارهنّ كم يبدين غبيّات؟ لكنّ المشكلة أنّني لو فعلت ذلك، فإنّهن ينظرن إليّ بمنتهى الشفقة. وكأنّني مهووسة عمل. وكأنّني لم أغدُ أعرف ما الذي يهمُّ في هذه الحياة. وكأنّني لا أعرف معنى أيّ شيء. ينظرن إليّ وكأنّني أتعس شخصٍ رأينه في حياتهنّ. ثم يحكين لي عن أنفسهنّ في أزمانٍ ماضية، كنّ يرين فيها الحياة كما أراها الآن، حتى جاء اليوم الذي اتّضح فيه كلُّ شيء. وكأنّ الكون سيخبركِ في الوقت المناسب. وأنا حينها لا أمسك نفسي عن التساؤل: من الذي سيخبرني بماذا؟ أنا لا أعرف بكلّ صدقٍ ما الذي تتحدّثن عنه».

ضحكت وأنا أقول:

«لكن ليس كلُّ الناس هكذا، أليس كذلك؟».

«لا أعرف. كلُّ الناس مهتمُّون فعلًا بأمور الأبراج وقراءة الطالع، أليس كذلك؟».

«إذًا... ممم. ألا تتحقّق هذه الأشياء أحيانًا؟».

أخذت هيجيري جرعةً من زجاجة البيرة، وقالت:

«سواء أكانت تتحقّق أم لا، ليست هذه هي المسألة. إنّهم يكتبون الأشياء التي يريد الناس أن يسمعوها. كلُّ ما يهمُّ هو أن تظنّي أنّ هذه الأشياء

مكتبة ياسمين

كُتبتْ من أجلك خصّيصًا. الناس يرغبون في قراءة شيءٍ عن أنفسهم. وأنا أفهم ذلك. حقًا. لكنّني لن أنفق أيّ مالٍ على هذه الأشياء. مستحيل».

سألت:

«لست مهتمّة؟».

أجابت هيجيري باندفاع:

«لستُ مهتمّة. لا يتعلّق الأمر بالإيمان أو عدمه. الأمر أشبه... لا أريد الاعتماد على أيّ شيء. مهما كان. مهما كانت الإجابة في هذه الورقة. لا أريدها. ما لم أصل إليها بنفسي، برأسي. أنا من سأقرّر ماذا سأفعل بحياتي».

«لا ترغبين بالاعتماد على الغير».

ضحكت هيجيري:

«بالضبط. لستُ من نوع الأشخاص الذين يعجبهم فقدان السيطرة. سأفعلها بنفسي. لكن لو قلتِ هذا لأولئك الأشخاص، فإنّهم يردّون عليكِ بشيءٍ من قبيل: «لا يمكن لأيّ إنسانٍ أن يمضي في العالم وحده. ليس هذا هو معنى الحياة». وأنا أعرف ذلك كما هو واضح. أفهمه. لكن هذا بالتحديد هو ما يجعل من المهمّ للغاية أن نفعل الأشياء وحدنا عندما نستطيع ذلك».

التقطت هيجيري قائمة الطعام، المصنوعة من قطعة معدنٍ رفيعة، ونظرتْ إليها.

«أترغبين في بعض المخلّل؟».

قلت:

مكتبة ياسمين

«بالطبع».

طلبتْ هيجيري طبق مخلّل، وبعض أعواد الكرفس.

«على كلّ حال، لا بأس. فليفعل كلُّ إنسانٍ ما يحلو له، بمن فيهم أنا. لكن ما لا أطيقه هو أن أكون وسط حديثٍ ما، وفجأة، من حيث لا أدري، يخرج عليك شخصٌ ليلقي هذه الأشياء كلّها في وجهك. يغيّر هذا مزاجي إلى الأسوأ تمامًا. وهم واثقون تمامًا من أنّهم من رأى النور، وهذه هي شخصيّتهم وانتهى الأمر. لذا لا يستطيعون إغلاق أفواههم. منتهى الصخب دائمًا. وكأنّهم بحاجةٍ إلى من يراهم في حالة السعادة تلك. وهم يغادرون في حالةٍ شعوريّةٍ من تقدير الذات، لأنّهم كانوا كرماء بما فيه الكفاية ليشاركوا سرّ سعادتهم مع العالم. لكنّهم في الحقيقة لا يرغبون إلّا في الشعور بالتفوّق، وكأنّها متلازمة المشهور السطحيّ. هل تفهمين قصدي؟».

قلّبتْ بالشاليمونة بقايا مشروب المانغا في قاع الكوب، وسألتْ هيجيري عمّا إذا كان ذلك نوعًا من الدّين. شربتِ البيرة وكأنّها ماء، وأومأتْ برأسها عدّة مرّات.

سألتني: «أليس في هذا التشبيه ظلمٌ للدّين قليلًا؟ أنا واثقةٌ من أنّ هناك الكثير من الأديان عديمة القيمة، والأشخاص الذين لا يهمّهم إلّا أنفسهم، لكن رغم ذلك لا يسعك إلّا أن تلاحظي وجود شيءٍ ما متسامٍ في هذه المساحة. عامّة الناس هم دائمًا من ينتهي بهم الحال ضحايا. المتعلّقون بقشّة. بعضهم

مكتبة ياسمين

ينبذ العالم الماديَ، وكلّ شيءٍ فيه، ليدخل مملكة الصالحين. وعليّ أن أحترم ذلك بصراحة».

قضمتُ عود كرفس. لم يكن طعمه مختلفًا عن الرائحة التي ملأت فمي. ثم قلت:

«نعم. أنت على صواب».

«أولئك الناس في مكانٍ آخر. ليس لهم علاقةٌ بالآخرين، الروحانيين، «المتّحدين مع الطبيعة»، العازمين على جعل حياتهم بهذه السهولة. انتظري. هل يضايقكِ حديثي؟ أتريدينني أن أتوقّف؟ هل أتحدّث كثيرًا؟».

زمّت هيجيري شفتيها. نظرت إليّ، وبدا عليها الأسف. ورغم أنّ المكان كان مظلمًا، فإنّ الأضواء المحيطة حدّدت محيط شفتيها الرشيقتين الممتلئتين، واللتين بدتا نابضتين بالحياة إلى درجةٍ شعرتُ معها بأنّ بإمكانهما التفلّت من وجهها في أيّة لحظة، والتجوّل في أنحاء المكان.

قلتُ بصدق:

«لا. إطلاقًا... إنّني أفكّر في هذه الأشياء فحسب. يبدو أنّكِ فكّرتِ في الأمر مليًا».

قالت هيجيري بصوتٍ خفيض، وهي تنظر في زجاجتها: «ليس إلى هذه الدرجة. إنّها عادتي القديمة، أقول ما أفكّر فيه، من دون فلاتر. لا يحدث هذا طيلة الوقت بالطبع، فأنا امرأةٌ ناضجة، وأعرف أنّ طريقتي في رؤية الأمور لن تعجب كلّ الناس، كما يفترض بأيّ إنسانٍ يعيش على هذا

مكتبة ياسمين

الكوكب. عندما بدأتُ وظيفتي الحاليّة، سمعتُ كلّ ما تتخيّلين: أنّني أفتقر إلى السحر، أنّني صداميّة، أنّني أنفّر الناس، ولا أستمع إلى أحد. لكنّ ردود الفعل هذه شائعة، إلى درجة أنّها تتحوّل مع الوقت إلى نوعٍ من التقاليد. لذا فعندما يقولها الرجال لي أتجاهلها بسبب غبائها. في هذه المرحلة من الحياة، أنا أذكى من أن أتوقّع شيئًا من الرجال. لكنّني أقسم لكِ إنّ النساء الأخريات في العمل على الدرجة نفسها من السوء».

قضمت هيجيري من عود الكرفس، فصدر صوت قرمشةٍ لا تُصدره إلّا الخضراوات.

«نسيتُ متى حدث ذلك، لكنّ مجموعةً منّا خرجت مرّةً للشرب، وطرأ شيءٌ ما لا علاقة له بالعمل. اختلفتُ في الرأي أنا وأحد رؤسائي، واحتدّ النقاش بصورةٍ ما، مثلما يحدث في العادة. لكنّه بدأ يتعدّى حدوده فيما يقول، وبدا من الواضح أنّ ما يحدث سيؤثّر على عملنا المستقبليّ. لذا... تمسّكتُ بموقفي. لكنّني متحدّثةٌ جيّدةٌ عن نفسي، وفي النهاية أوقفته عند حدّه. تطوّرتِ الأمور ووصلت إلى شكلٍ غير لطيف، لذا قرّرنا أن ننهي الليلة. لكن ما الذي كان باستطاعتي فعله؟ صحيح؟ هذا ما فكّرتُ فيه. كان من الواضح أنّ هذا الرجل لم يواجه من قبل من يعترض على كلامه، وأنّه فكّر بأنّ بإمكانه الإفلات لأنّني امرأة، وكان هذا بالتحديد هو ما جعلني أقرّر أنّني لن أترك الأمر يمرّ. سيكون عليّ أن أستمرّ في العمل مع هذا الرجل. اختر البيئة التي تريد العمل فيها، أليس كذلك؟ على كلّ حال،

مكتبة ياسمين

عندما وصلنا إلى المحطّة وودّعنا بعضنا، راحت تلك المرأة، التي كانت قد بدأت العمل معنا منذ سنة، تنادي عليّ باسمي، وتركض نحوي. كنتُ واثقةً من أنّها ستقول لي شكرًا لأنّك تصدّيتِ لهذا الرجل. كان أحد تعليقاتها هو السبب الأوّل في إطلاق شرارة كلّ ما حدث، لذا أظنّ أنّني كنت أتوقّع لحظتها نوعًا من المساندة والشكر. لكن على العكس من ذلك، وجدتُها تقول لي: «ألستِ خائفةً من أن يكرهكِ الناس؟ في كلّ مرّةٍ تفعلين ذلك تتضرّر سمعتكِ. ومع كلّ شِجارٍ تزيد فرصة أن يؤذيكِ ذلك في النهاية». لا يتعلّق الأمر بأنّني كنت أحاول الدفاع عنها، لكنّ كلامها فاجأني فعلًا. أجبتُ بطريقةٍ مُبهمة، ثم نظرتُ إليها مباشرةً لخمس ثوانٍ متواصلة».

ضحكتْ، ثم أكملت: «ليس الأمر أنّني أريد أن يكرهني الناس، لكنّني لن أتجمّل لأعجبهم كذلك. شيءٌ رائعٌ أن أحظى بإعجاب الناس طبعًا، لكن ليس هذا ما تدور الحياة حوله. صحيح؟».

سألتني هيجيري إن كان بإمكانها أن تطلب مشروبًا آخر، ثم ألقتْ نظرةً على قائمة المشروبات، وطلبتْ كوكتيلًا آخر، ليس بالفريز هذه المرّة. النادل متأنّق الملبس، هادئٌ تمامًا منذ أن جلسنا. كرّر طلبها، ثم اختفى في الخلف. كان عدد زبائن المكان قد ازداد مقارنةً بذي قبل، واختلطتْ أصوات الناس مع الموسيقى التي تنبعث من الخلفيّة. ورغم قدرتي على الاستماع إلى أصوات الناس وتمييز كلامهم، لم أكن قادرةً على تحديد أيّ إشارةٍ تقول لي عمّ يتحدّثون بالضبط، وكأنّ الهواء يبتلع معنى الكلمات

مكتبة ياسمين

بمجرّد خروجها من أفواههم. كدث أفقد القدرة على تمييز ما إذا كانوا يتحدّثون اليابانيّة أصلًا.

هل يجب على هيجيري أن تُكمل الشرب؟ بدا مظهرها وطريقة كلامها معتادين، من دون تغيير، ربّما باستثناء حديثها بإيقاعٍ أسرع. اختلافاتٌ ضئيلةٌ جعلتني أفكّر فيما إذا كانت تختار أقلّ المشروبات من حيث نسبة الكحول. طلبتُ مشروب مانغا آخر، وأطلقت هيجيري تنهيدةً متأمّلة.

«يتعامل الناس مع النسويّة وكأنّها كلمةٌ بذيئة. وكأنّ كونكِ امرأةً قويّةً كادحةً أصبح موضةً قديمة. ليس الأمر أنّ هؤلاء الناس لم يفكّروا في ذلك أبدًا. يقولون إنّ الأمر مختلفٌ فيما يتعلّق بي، وإنّه ليس كلُّ الأشخاص أقوياء مثلي، وإنّ أغلب الناس ضعفاء، أو شيئًا كهذا. لكنّ هذا ليس صحيحًا. ليسوا ضعفاء، لكنّهم حمقى. لا ينتبهون إلى الأشياء. وأنا لستُ قويّة، أنا صريحة. على كلّ حال، ما الذي يهمُّ أصلًا في أن يكون المرء على الموضة؟ كيف يمضي الإنسان في حياته وهو يفكّر في هذا الهراء؟ هذه شخصيّتي، هذا هو ما أنا عليه.

قلتُ بصوتٍ خفيض: «حمقى...».

«وهناك الكثير من الطرق التي يمكن للإنسان أن يكون فيها أحمق».

قالت هيجيري وهي ترفع ذقنها براحة يدها، ثم أكملت: «وبعضهم يصل بذلك إلى درجة أنّه يكون مقزّزًا للغاية. بشعًا. الأشياء التي يقولها هؤلاء الناس، والأشياء التي يفكّرون فيها. أحيانًا أكون غير

مكتبة ياسمين

قادرةٍ على التحمُّل. حقًّا. مثل... خذي مثلًا ما حدث مع تلك الزميلة في العمل. كانت صريحةً على الأقلّ. صريحةً حتى النهاية. هذا هو ما يهمُّني في النهاية. لو أنَّ هذه هي الطريقة التي تريدين أن تعيشي بها حياتك، فهنيئًا لك. لكنّني لا أتحمّل النساء اللواتي يعرفن حقيقة الوضع، لكنّهنّ يقررن تحسّس خُطاهنّ من أجل الحفاظ على مصالحهنّ الشخصيّة. كلُّ ما يردنه هو السلطة وتقدير الناس. هذا هو كلُّ ما يحلمن به، كلُّ ما يرغبن فيه. ويطمعن في المزيد دائمًا، لكنّهنّ ينظرن إليكِ ببراءة، وكأنّ هذه الأفكار لم تخطر ببالهنّ يومًا. أقصد أولئك النساء اللواتي يحرصن بكلّ طريقةٍ ممكنةٍ على ألّا يصطدمن بالرجال من حولهنّ، أو يهدّدن شعور هؤلاء الرجال بالتفوّق. في أيّ شيءٍ يفعلنه، يحرصن على المكسب دائمًا. يتصرّفن وكأنّهنّ لا يلقين بالًا، لكنّ هذا هو ما يعشن من أجله. يمكنكِ أن تري ذلك في عيونهنّ. وطبعًا طبعًا... في اللحظة التي تظهر فيها فتاةٌ أخرى تملك قدراتٍ من شأنها تقويض مواقعهنّ، امرأةٌ مثلهنّ تمامًا، يقرّرن أن يسحقنها تمامًا. رأيث ذلك كثيرًا، ومللث منه. لكن رأيي أنّه لا بأس كذلك. إنّها حياتهنّ. لكن هل تعرفين ما الذي يضايقني فعلًا؟ إنّهنّ ساذجاتٌ فعلًا، إلى درجةٍ يظننّ معها أنّ أحدًا لا ينتبه إلى أدائهنّ السخيف التافه. أولئك النساء يعتقدن أنّ بإمكانهنّ خداع الرجال جميعًا، لكنّهنّ يخدعن بعضهنّ فحسب. أتعرفين عقليّة «أنا أعرف كيف أتعامل مع كلّ شيءٍ» هذه؟ هذا النوع من الحماقة. لا أحتمله. أكرهه. جدًّا».

مكتبة ياسمين

قلت محاولةً أن أكون صادقة: «أظنّني أفهم ما الذي تعنينه. بعضه على الأقلّ».

«أعجز عن التوقّف بمجرّد أن أبدأ الكلام في هذا الموضوع».

«هل الوضع هكذا دائمًا؟».

«دائمًا».

أدهشني ذلك. قلت:

«فعلًا؟ تعملين مع أشخاصٍ مثل هؤلاء؟».

نظرت هيجيري إليّ مباشرة، وقالت: «ليت الأمر يقتصر على العمل».

لا أعرف أبدًا ما الذي عليّ أن أرسمه على ملامحي كلّما حدّقت بي بهذه الطريقة.

«إنهنّ في كلّ مكان. في المدرسة. في صالون التجميل. في الحديقة. عند الطبيب النسائيّ. وفي البيت طبعًا».

فردت هيجيري قطرة الماء على طاولة البار بإصبعها. وعند السطح المنتفخ للقطرات الجديدة الناشئة من ذلك، رأيت انعكاس الإضاءة وهي تتحوّل إلى اللون الذهبيّ، ثم تتلألأ.

قالت هيجيري بعد برهة صمت: «إنهنّ في كلّ مكانٍ حرفيًا».

سمعنا دفعةً من أصوات الضحك تأتي من المقاعد التي خلفنا. صوت قرع الكؤوس، يتلوه صوت الباب وهو يُفتح، لتدخل منه مجموعةٌ جديدةٌ من الزبائن.

مكتبة ياسمين

هزّت هيجيري كتفيها وقالت: «حسنًا. لا يقلن أيّ شيءٍ أبدًا. لكنّني أعرف جيّدًا رأيهنّ فيَ، وهو أنّني أعاني من خطبٍ ما». ضحكث وأكملت:

«ربّما عليّ أن أذهب إلى معالجٍ نفسيٍّ هذا العام».

ربّما كان عليّ أن أضحك مع هيجيري، لكنّني لم أستطع فعل ذلك، فاكتفيث بالنظر إلى الساعة على الحائط. مضث ساعةٌ تقريبًا منذ أن جلسث معها.

لاحظث هيجيري اتّجاه نظرتي، فسألتني: «ها؟ هل علينا الذهاب؟».

«ليس بعد. لم نجلس هنا كثيرًا».

قالت هيجيري: «لا بأس». ثم تنهّدث وأكملت:

«آسفةٌ لأنّني مستمرّةٌ في الحديث. أعرف أنّ ذلك كلّه لا يهمّ فعلًا. لكن. حسنًا. الأمر مهمٌّ بالنسبة لي. هاي. نحن نعرف بعضنا منذ بعض الوقت الآن، لكنّني لا أزال أشعر وكأنّني لا أعرف عنكِ شيئًا. عليكِ أن تخبريني عن نفسك في المرّة القادمة».

هززث رأسي وأنا أقول:

«أنا؟ ليس هناك أدنى شيءٍ فيّ مثيرٌ للاهتمام. ما كنّا نتحدّث عنه أكثر إثارةً للاهتمام بكثير».

«اسمعيني. إذا كنت تتقنين هذه الأشياء، فصدّقيني يمكننا فعل ذلك كلّ يوم. بل يمكننا استكمال الأمر على الهاتف. هناك الكثير والكثير من حيث يأتي هذا الكلام».

ضحكث هيجيري.

مكتبة ياسمين

«على كلّ حال، أخبريني بشيءٍ عنك».

فهمت سؤالها، لكنّني لم أستطع التفكير في شيءٍ واحدٍ عنّي قد يستحقّ المشاركة. اسمي فويوكو آيري، مدقّقة خزّة، عمري أربعةٌ وثلاثون عامًا. سأُتمُّ الخامسة والثلاثين في الشتاء. أعيش وحدي. عشت في الشقّة نفسها منذ قديم الأزل. ولدث في ناغانو. في الريف. في أحد الوديان. أحبّ الخروج لأمشي مرّةً في السنة، في عيد ميلادي، ليلة عيد الميلاد، في منتصف الليل. لكنّني لست واثقةً من أنّ أحدًا غيري قد يرى هذا الأمر ممتعًا، كما أنّني لم أحكِه لأحدٍ من قبل. ليس لديّ أصدقاء أتحدّث معهم بصورةٍ منتظمة. هذا هو كلُّ شيء، كلُّ ما يمكنني أن أحكيه لها عن نفسي.

سألتني هيجيري، بنبرةٍ معاتِبةٍ نوعًا ما: «ماذا؟ ألا تحبّين الحديث عن نفسكِ؟».

«ليس الأمر هكذا. ليس هناك ما يستحقُّ الكلام عنه فعلًا».

«حسنًا. هل تقابلين أحدًا؟».

«ليس... ليس الآن».

عقدت هيجيري حاجبيها، ومالت قليلًا مقتربةً منّي:

«هل انفصلتما؟».

كانت تبتسم في وجهي فعليًا، عطرها الفوّاح يندفع من حول عنقها.

«أها».

مكتبة ياسمين

«مم».

أنهى هذا المحادثة نوعًا ما. شربت كلتانا ما تبقّى من مشروبها، قبل أن نعود إلى الحديث عن العمل مرّة أخرى.

تحدّثنا عن تحديثات القاموس، وأين أُسلّم المواد المرجعيّة. أخبرتني هيجيري بأنّها قد تحتاج منّي أن أعمل على كتابٍ إضافيّ في الشهر القادم. دوّنت بعض الأشياء على قطعة ورق، وعندما كانت على وشك أن تعطيها لي هزّت كتفيها، وقالت إنّها ستبعثها برسالةٍ إلكترونيّةٍ لأنّ ذلك أفضل. ثم اعتذرت عن طرح الموضوع الآن، وكنّا قد توقّفنا للتوّ عن الحديث في موضوعاتٍ لها علاقةٌ بالعمل. لكن سرعان ما عاد بنا الحديث إلى العمل مرّةً أخرى: واقعةٌ تافهة، استشاط فيها مؤلّف غضبًا من مدقّق، إلى درجة أنّه كتب اعتراضاته على هامش مخطوط الكتاب. ومن جهةٍ أخرى، مؤلّفٌ مشهورٌ بسخافته، أرسل رسالةً إلكترونيّةً فيها شكرٌ طويل، وهي رسالةٌ شديدة اللطافة إلى درجةٍ لا تُصدّق، بدا فيها شخصًا مختلفًا تمامًا. ضحكت هيجيري، وقالت إنّها عندما تكون مشغولةً فعلًا تبدأ في تخمين أشياء يعرفها الجميع، مثل ما إذا كان يوجد شارعٌ اسمه كوتو في أيوما. وعندما بحثت ووجدته، شعرت بالاطمئنان يغمرها. ضحكت أيضًا، وقلت لها إنّني أعرف تمامًا ما الذي تتحدّث عنه.

غادرنا البار وسرنا حتى الشارع الرئيسي، حيث تمرّ السيّارات بسرعة.

مكتبة ياسمين

دفعت هيجيري الفاتورة. طلبت منها أن تسمح لي بدفع نصيبي، لكنّها أصرّت على الرفض، مؤكّدةً أنّها الشخص الوحيد الذي كان يشرب أصلًا.

تأكّدت من أنّني ركبت التاكسي. فشلت في فتح النافذة عدّة مرّات، لكنّني تمكّنت من إنزالها في النهاية. شكرتُها على الليلة، ولوّحت لها بيدي. فاض وجه هيجيري بالسعادة، وابتسمت لي ابتسامةً واسعةً وهي تشكرني على المجيء، ومدّت يدها لتضغط على أطراف أصابعي. تغيّر لون إشارة المرور إلى الأخضر، وبدأتِ السيّارات في الحركة. مسّدتُ أطراف أصابعي حيث ضغطت عليها هيجيري، وعندما استدرتُ لأنظر إليها في الخلف كانت تصغر شيئًا فشيئًا.

مكتبة ياسمين

- 3 -

كان الطقس متقلّبًا في فترة عطلات أيار/مايو. غرقت في العمل بمجرّد عودتي.

مخطوط الكتاب الذي استقرّ على مكتبي كان مسوّدة الطباعة الأولى، في صورة مجلّدين منفصلين، يضمُّ كلُّ واحدٍ منهما عددًا كبيرًا من الصفحات. أمضيت في كلّ يومٍ ما لا يقلُّ عن خمس عشرة ساعة جالسةً إلى مكتبي. استمرّ هذا لثلاثة أسابيع، ورغم ذلك لم أحصل على ما كنت أحتاجه من الوقت لإنهاء المشروع.

كلّما حاولت التركيز أكثر تفكّك النصّ أمامي، وانتشر على الصفحات كأنّه يحاول الهرب. وتوجّب عليّ أن أمسك بكلّ قطعة، ثم أعيد وضعها في مكانها الصحيح. وكالعادة، كنت أفحص كلّ قطعةٍ على حدة، وكأنّني أُنقّي القطع واحدةً تلو الأخرى عبر الشاشة، بينما أعمل على عناصر النصّ المختلفة، منتبهةً إلى ما تضيفه إليه في النهاية. لم يكن النصّ مختلفًا كثيرًا عن غيره، باستثناء طوله، لكنّ شيئًا... ربما هو المحتوى غير المعتاد، عرقلني بصورةٍ ما، وجعلني أشعر كأنّ كلّ شيءٍ بلا معنى. حاولت أن أبذل المزيد من الجهد، وأثبّت إيقاعًا طبيعيًا، لكن لم ينتج من ذلك إلّا المزيد من العجز. كانت حلقةً مفرغة. تباطأت حركة عينيّ على امتداد النصّ. ونظرًا لما كانت تسير الأمور عليه، لم يكن عندي خيارٌ آخر سوى الاتّصال بهيجيري وطلب ثلاثة أيامٍ إضافيّة. كانت هذه هي المرّة الأولى التي

مكتبة ياسمين

أفعل فيها شيئًا كهذا، وقد وافقت بسهولة. لكن بعد أن أغلقت الهاتف، شعرتُ كأنّ معنوياتي تسقط سقوطًا حرًّا.

في اليوم التالي اتّصلت بي هيجيري، وبدا عليها القلق.

سألتني:

«كيف تسير الأمور؟».

«لا يزال أمامي بعض الوقت. آسفةٌ لتأخُّري».

«أنا من يجب عليها أن تكون آسفةً لمضايقتكِ بهذه الطريقة. أؤكّد لكِ أنّني لا أتّصل لأضغط عليكِ، لكنّكِ أغلقتِ الهاتف بالأمس بسرعةٍ شديدة، إلى درجة أنّني قلقت من أن يكون هناك خطبٌ ما. هذا هو كلُّ شيء».

«ستعود الأمور إلى طبيعتها في الغد بكلّ تأكيد، لكنّني متعثّرةٌ قليلًا».

«لا تقلقي. بجدّ. خذي ما تريدينه من الوقت. حسنًا... ليس ما تريدينه تمامًا، لكن...».

ضحكت هيجيري وأكملت:

«لا، لا، صدقًا. يمكنني الانتظار. لا تقلقي».

انتهيت ممّا يُفترض أن تكون صفحتي الأخيرة في الشهر مع بداية شروق الشمس.

نظرت إلى كومة الصفحات على مكتبي، ثم سحبت نفسًا طويلًا، ووضعت يدي على الورق، وأطلقت تنهيدةً كبيرة. القواميس المفتوحة على

مكتبة ياسمين

المكتب. الكتب التي لم أكن لأفتحها لولا أنّ العمل يتطلّب ذلك. على صفحاتها عددٌ لا حصر له من أوراق الملاحظات اللاصقة الرقيقة ذات اللون الأخضر، وجبالٌ من النسخ المصوّرة المهدّدة بالانهيار في أيّة لحظة.

أمضيت وقتًا في ترتيب الأشياء، ثم بريت أقلام الرصاص، التي كانت كلّها مستديرة الرأس، ووضعت الأقلام في المقلمة بعناية، وفي مسند الأقلام، ثم توجّهت للاستحمام. جلست على مقعد الحمّام الصغير وتركت رأسي تتدلّى، وبقيت في هذا الوضع بينما ينساب الماء على قاعدة عنقي. شعرت بظهري ووركيّ المتصلّبين، إلى درجة أنّني كنت متأكّدةً من أنّهما سيتصدّعان لو بدرت منّي أدنى حركة، يسترخيان في النهاية. وعندما ضغطت على عنقي، ممتنّةً لما تقدر المياه الساخنة على فعله، شعرت بليونةٍ لم تكن هنا من قبل.

جفّفت شعري، وتسلّلت تحت الغطاء، ثم أغلقت عينيّ. لكنّ أنماطًا غير محدّدة المعالم، بدت كأنّها لطخات، ظهرت تحت جفنيّ ثم اختفت. أحصيت كلّ واحدةٍ منها، وكدت أشعر بأنّ النوم لن يأتي أبدًا، لكنّني سقطت فجأةً في نومٍ بلا أحلام.

اتّصلت بمكتب هيجيري عند الحادية عشرة صباحًا.

بدا عليهم التشكّك في أنّ الطرد سيصل في الوقت المناسب إلى المكان المطلوب، لذا عرضت أن أسلّم المسوّدة بنفسي، إذا كان هذا يناسبهم. لم تكن

مكتبة ياسمين

هيجيري قد وصلت إلى المكتب بعد، وشعرت بأنّ المرأة التي تُحادثني على الطرف الآخر من الخطّ لا تعرف ماذا تقول بالضبط، لكنّها في النهاية قالت لي إنّهم موافقون. حدّدنا الموعد، ثم أغلقتُ الهاتف.

لم أنم إلّا أربع ساعات، لكنّني استيقظتُ خفيفة الرأس، كما لو أنّني استمتعتُ بنومٍ هانئ. منتعشة إلى هذه الدرجة، فتحتُ الستائر على طقسٍ رائع. السياج المعدنيّ على شرفات الشقق في الشارع، بلاط سقف المنازل اللامع، أوراق شجر الكرز عميقة الخضرة، وأسلاك أعمدة الهاتف، تلمع كلُّها تحت ضوء الشمس الباهر.

أخذتُ مترو الأنفاق إلى خطّ يامانوته، ووصلتُ إلى مقرّ الشركة. مبنى عملاقٌ يخترق السماء، فلا تستطيع رؤية قمّته. داخل الممرّ تبدو كلُّ الأسطح ملساء للغاية، تجرف معها أصوات كلام الناس، وخطواتهم، وتُجمّعُها. رأيتُ أشكال الناس معكوسةً على الأرضيّة الحجريّة المصقولة، وكأنّهم يسيرون فوق سطحٍ من الثلج. انتظرتُ على كنبةٍ بالغة الاتّساع، بإمكانها استيعاب أربعة أشخاصٍ بالغين في حالة الاستلقاء على وساداتها. مرّتْ خمس دقائق تقريبًا، ظهرتْ بعدها المرأة التي تحدّثتُ معها عبر الهاتف مهرولةً باتّجاهي.

أخبرتني بأنّ إيشاكاوا في إجازةِ اليوم، وأنّها ستأخذ المسوّدة بالنيابة عنها. أمسكتُ حقيبتي القماشيّة، وأخرجتُ المسوّدة السميكة، ثم ناولتها إيّاها. سحبتْ بعض الصفحات للتأكُّد من محتوياتها،

ثم شكرتني وابتسمت ابتسامةً واسعة. انحنت بعدها، وقالت لي إنّ إيشيكاوا ستتصل بي لو طرأ أيُّ شيء. انحنيتُ بالطريقة نفسها، وغادرتُ المبنى.

بمجرّد أن سلّمتُ المسوّدة، شعرتُ بأنّ جسمي أصبح أكثر خفّةً بالتدريج. وعندما أخذتُ نفسًا، دغدغت أنفي رائحةٌ تمزج بين نهاية الربيع الخفيفة وجِدّة الصيف.

تحت السماء الصافية، وجّهتُ انتباهي إلى هذا الجزء من جسمي وإلى ذاك، لكنّني لم أشعر بأيّ ألم. الآن وقد انتهيتُ من آخر مهمّة عملٍ كبيرةٍ في هذا الشهر، كان شعور الارتياح يجتاح رئتيّ في كلّ مرّةٍ أتنفّس فيها، ويصل إلى كلّ ركنٍ من كياني. وكانت هناك قوّةٌ تنطلق منّي كالسيل، جعلتني أشعر بأنّ بإمكاني السّير هكذا إلى الأبد، من دون الحاجة إلى هدفٍ محدّد. قلتُ لنفسي: يا لها من خسارةٍ أن أذهب إلى المنزل! لماذا لا أستغلُّ هذه اللحظات؟ يمكنني الذهاب إلى شينجوكو، أتفرّج على المحالّ وأتجوّل على غير هُدى في شوارع المدينة. إنّه يومٌ مثاليٌّ لفعل ذلك.

ظلّ هذا الشعور ينتابني بينما يهدر القطار على القضبان، مغمورًا بضوء الشمس الطازج في بدايات الصيف. لكن بينما كنت أجلس في مكاني، بين هؤلاء الناس المبتسمين، استولى عليّ شيءٌ ما، ساحبًا بثباتٍ أفق بصري إلى الأسفل، وكأنّ هذا الشعور الذي غمرني حين خرجتُ من عند الناشر قد انكسر وأُلقي بعيدًا. أصبح الآن في حجمٍ لا يزيد

مكتبة ياسمين

عن حجم ورقة رسمٍ صغيرة، وسيصغر حتى يصبح أصغر من راحة يدي. وبعد وهلةٍ قصيرة، كان هذا الشعور قد تضاءل إلى حجم قُصاصةٍ صغيرةٍ للغاية، إلى درجةٍ تعذّر عليّ معها تمييزه، حتى اختفى تمامًا ولم أغد قادرةً على رؤيته مهما دقّقت النظر.

اجتاح شينجوكو عددٌ مذهلٌ من الناس.

شابّاتٌ يحملن أكياس تسوّقٍ من مختلف المتاجر. أناسٌ يتحدّثون عبر هواتفهم، ويضحكون بأصواتٍ مرتفعة. بناتٌ بدوائر سوداء حول أعينهنّ، يبدون معها كالعرائس. آباءٌ وأمّهاتٌ يحملون مظلّات، ويدفعون عربات أطفالهم. واقفةً داخل الضجيج الهادر ذاك، بدأتُ أشعر بالارتباك من مسألة التجوُّل على غير هُدى. وقفتُ أراقب انسياب الناس، لخمس عشرة دقيقةً كاملة، قبل أن أقرّر العودة إلى المنزل في النهاية.

استغرق سيري إلى المحطّة عشر دقائق، امتلأت خلالها حقيبتي القماشيّة بعبواتٍ مجّانيّةٍ من المناديل الورقيّة، وبقسائم التخفيضات التي لمحتُها. وصلتُ إلى مدخل مترو الأنفاق، ورأيتُ الناس يهبطون وكأنّ السلالم تبتلعهم، عندما قاطعتني امرأةٌ تلوّح بلافتة، فوجدتُ نفسي غير قادرةٍ على الاستمرار.

ابتسمت المرأة الممتلئة، وسألتني إذا كان بوسعي التبرُّع بالدم اليوم. لسببٍ ما، ذكّرتني ابتسامتها برأس كرنبةٍ مقسومةٍ إلى نصفين. كان ظهرها إلى الدّرج، أي إنّها تُعيق طريقي بالكامل. سألتني عن

مكتبة ياسمين

زُمرة دمي. قلت: A. شهقت ووضعت يدها على فمها. قالت: «رائع»، وهي تبتسم ابتسامةً تجعلك تظنُّ أننا التقينا بعد فراق سنين. قالت لي بحماسٍ رهيب، وبصوتٍ عالي النبرة، إنّ هذه الزمرة هي أكثر ما يحتاجونه اليوم، وإن كانت اللافتة التي تحملها تقول بحروفٍ عملاقةٍ إنّ زُمرتي AB وO هما أكثر ما يحتاجونه.

لم تكن هذه المرّة الأولى التي أعجز فيها عن رفض طلبٍ للتبرّع بالدم. مشيث وراءها محافِظةً على مسافةٍ آمنةٍ تفصلني عنها، وكنت أنظر إليها وهي تمسح العرق عن جبينها ورقبتها. بمجرّد أن وافقث على التبرّع، لم تكَد تقول لي كلمةً أخرى، حتى وصلنا إلى مدخل أحد المباني، حيث أشارت إلى المصعد الذي سآخذه، وقالت لي إنّني سأصعد إلى الطابق السادس، ضغطتِ الزرّ من أجلي، ثم ابتعدث ومعها لافتتها.

في الطابق السادس، أكملث إجراءات التسجيل، ثمّ خضعتُ لفحصٍ بسيط. قادوني بعدها إلى حُجرةٍ فيها صفوفٌ من كراسي الاستلقاء الورديّة، حيث جلسث وفردث ظهري.

دخل الحُجرة شخصٌ يلبس معطف مختبر. نظرث إليه وهو يقترب منّي ويطهّر ذراعي. كانت الإبرة التي دفعها داخل ذراعي سميكة، إلى درجة أنّني كدث أضحك. وبدأ الدم الذي كان قبل لحظاتٍ يسري في ذراعي بالخروج من جسمي، مندفعًا بأمانٍ إلى كيس التبرّع. سائلٌ غنيّ اللون، إلى درجةٍ

يبدو معها غير ذي علاقةٍ بي.

بعد أن انتهيت، ملأت استبيانًا بسيطًا، وشرعت في صبّ كوبٍ من عصير الخضراوات المجّانيّ من الماكينة الآليّة. ومن دون تعمّد، انتبهتُ إلى جزءٍ من انعكاسي في زجاج النافذة.

طفت صورتي على السطح، مصبوغةً باللون الأزرق، على ستارةٍ من اللافتات والجدران ونوافذ المباني المقابلة. بدوت في منتهى البؤس. ليس الحزن، ولا التعب، بل التعريف المعجميّ لشخصٍ بائس. كانت هذه هي المرأة التي رأيتها في الزجاج، بينما تشكيلة الأشياء الأخرى تدخل الانعكاس بحِدّةٍ وتخرج منه. حول رأسي مساحةٌ تمتلئ بالشعر الخفيف والخُصل المنفلتة. كتفاي متدلّيتان وجلدٌ غائرٌ حول عينيّ. بدت أطرافي قصيرة، بينما عنقي طويلٌ ورفيع. الأوتار حول ترقوتي وحنجرتي عائمة، وجلدي متصلّب، يترك خطوطًا قُطريّة على خدّي. بدوت كأنّني مُفرَغةٌ من الداخل. ما رأيته في الانعكاس كان أنا، في سترةٍ صوفيّةٍ وجينزٍ باهت، في عمر الرابعة والثلاثين. امرأةٌ بائسة، ليست قادرةً حتى على الاستمتاع بيومٍ رائعٍ كهذا، في مدينتها. تحتضن بقوّةٍ حقيبةً تكاد تنفجر بسبب أشياء يشوّح الناس إعراضًا عنها، أو يرمونها في القمامة عند أوّل فرصة.

* * *

استطعتُ مع الوقت، بمساعدة عبوة بيرةٍ واحدةٍ أشربها على مهل، أو من خلال كوبٍ واحدٍ من

مكتبة ياسمين

الساكي، أن أفقد إحساسي بنفسي.

سواء أكان الساكي أو البيرة، فالرشفة الأولى لذيذة. في البداية كان الشرب يُصيبني بصداعٍ خفيف، لكنّني أندهش الآن حين أفكّر في الوقت القليل الذي احتجته لأعتاد المرارة والطعم. كان الشرب يثقل دائمًا إحساسي بيديّ ورجليَ، لكنّه كان يجعل أجزاء أخرى من جسمي أخفّ، إلى جانب الشعور بأنْ رأسي تتمدّد من الداخل. وكانت كلُّ أشكال المشاعر تنزلق بعيدًا، من دون أن تختفي في الواقع من ذهني. وأشعر بالاسترخاء، وكأنْ لوحًا زجاجيًا يوضع بيني وبين الطريقة التي أتلقّى العالم بها، جاعلًا إيّاه غير واضح المعالم. ترقُّ حوافُّ كياني بالتدريج، وأشعر بأنْ كلّ أنواع الأشياء التي تتعلّق بي هي في حقيقة الأمر أشياء تتعلّق بشخصٍ آخر. لم أعد أنظر إلى الأسفل. وبطريقةٍ ما، بَدَتْ أموري جيّدةً في الواقع.

بدأتُ الشرب في الليالي التي أمتلك فيها وقت فراغ، بين الانتهاء من العمل والذهاب إلى النوم.

جاء موسم المطر في منتصف شهر حزيران/يونيو، ليَنبئ بأسبوعٍ كاملٍ من المطر الغزير. كانت إحدى مميّزات شقّتي أنّها تتضمّن نظام تهويةٍ جيّدًا، لذا فلم يكن عليّ القلق بشأن التكييف في أغلب الوقت. لكنّ زيادة الرطوبة تسبّبت في تجعُّد أوراق المسوّدات والوثائق، لذا بدأتُ تشغيل الهواء البارد خلال وقت العمل.

قالت هيجيري: «يا إلهي، هذا لا يُطاق!». ولتثبت

مكتبة ياسمين

وجهة نظرها، انهارت على الطاولة.

قابلتها في أحد المقاهي في الجوار لأعطيها المسوّدة. جاءت مرتدية قميصًا يلائم جسمها، له ياقةٌ مستديرة.

«لا أصدّق أصلًا أنّنا ننشر كتبًا والجوّ هكذا! من سيرغب في قراءة كتابٍ الآن؟».

«أفهم ما تقصدين».

«وعندما تنتهي هذه المأساة، عندها سيبدأ الجحيم الحقيقيَ. تمّوز/يوليو هو عرض الرعب. هل تحبّين الصيف؟».

شربتُ ماءً وقلت:

«عاديَ».

شربت هيجيري جرعة ماءٍ هي الأخرى. تركت شفتاها طبعةً على الزجاج الشفّاف، ثم سألتني:

«هل تذهبين إلى مكانٍ معيّنٍ كلّ سنة؟».

«ليس بالضرورة».

«تبقين هنا؟».

«أقصد... ربّما».

«هل تركتِ البلاد من قبل؟».

«أترك البلاد؟»، كرّرتُ كلام هيجيري، ثم سرعان ما قلت:

«أقصد... لا أحبُّ الطيران كثيرًا».

هزّت هيجيري كتفيها، وقالت:

مكتبة ياسمين

«مفهوم. هكذا هي الأمور، أليس كذلك؟ يحبّه البعض، ولا يحبّه البعض الآخر».

هززتُ رأسي، وشربتُ بعض الشاي المُثلّج.

سألتني:

«هل ستعودين إلى ناغانو؟».

أجبتُ بصورةٍ مُبهمة، وأنا أمسح جانبَي فمي بالفوطة المبلّلة:

«لا أعرف بعد».

قالت هيجيري وهي تحرّك الشاليمونة في كوبها:

«الجوُّ حارٌّ هناك أيضًا على كلِّ حال».

اصطادتْ قطعة ثلجٍ ذائبةً ووضعتها في فمها، وبدأتْ تكسّرها بأسنانها.

«أعرف جيّدًا أنّ الأوضاع ستكون هيستيريّةً عقب إجازة أوبون، لكنّنا جميعًا نملك مساحة مناورةٍ ما. هوّني على نفسكِ. وإن كان لديكِ وقت، دعينا نذهب للشرب معًا مرّةً أخرى. حسنًا... أعرف أنّكِ لن تشربي شيئًا. ما تفعلينه هو مرافقتي في الحقيقة».

ضحكتُ وقلتُ:

«لا بأس عندي في ذلك».

قالت هيجيري بعد دقيقة:

«يجعلني الصيف أفكّر في دود الأرض دائمًا».

«دود الأرض؟».

«نعم. دودةٌ واحدةٌ في الحقيقة. دودةٌ كبيرةٌ

مكتبة ياسمين

ممتلئة. يمكنني رؤيتها في خيالي. لا أعرف أين هي، لكنّها هناك، وحيدةً تمامًا. هناك أرضٌ محترقةٌ ما، جافّةٌ وبيضاء، واسعةٌ بقدر ما يمكن للعين أن تنظر. ربّما هي قاع بحيرةٍ جافّة، أو شيءٌ كهذا. لا عشب ولا أيّة علامةٍ على الحياة، وكأنّه المرّيخ. لا شيء يتحرّك في أيّ مكان. فقط الدودة، تتشبّث بالحياة رغم أنّ كلّ شيءٍ آخر قد ذهب. لكنّ ذيلها... لحظة. كلُّ الديدان تملك رؤوسًا وذيولًا، أليس كذلك؟».

«أظنُّ ذلك، نعم».

«حسنًا، جسمها كلُّه يحترق تمامًا، وبالكامل».

«أوه».

«الشمس قريبةٌ إلى درجةٍ يخال معها الرائي أنّها ستصطدم بالأرض، تحترق ملتهبةً عملاقةً فوق الرؤوس. والمكان كلُّه ميتٌ تمامًا. لا توجد حياةٌ هنا. يمكنني القول لا يوجد ماءٌ أيضًا. المكان جافٌّ إلى أقصى درجةٍ يمكن للمكان أن يكون جافًّا فيها. وهذه الدودة، آخر كائنٍ حيّ، مثلما قلت، يحترق من الناحيتين كلتيهما. يتحوّل جسمها إلى اللون الأبيض، ويجفّ. لكنّها لا تموت، أو أيّ شيءٍ كهذا. تجفُّ فقط. لا تعرف الدودة ما الذي يحدث، لكن تصعب عليها الحركة مع كلّ ثانيةٍ تمرّ. وها أنا ذا، طفلة، أنظر إلى الدودة. معي زمزميّة، وفيها بعض الماء، أظنّها لي لأشرب منها. لكنّني أملك الماء، صحيح؟ وأريد للدودة أن تحظى به. ماذا لو صببت الماء عليها؟ ما الذي سيحدث؟ هذا هو الشيء الوحيد الذي أستطيع التفكير فيه. لكن في ذلك

مكتبة ياسمين

العالم، ما أفكّر في فعله ممنوع. ممنوعٌ تمامًا. لذا فلا يوجد شيءٌ يمكنني فعله إلّا مشاهدة الدودة وهي تذبل. منذ أن كنت طفلةً صغيرة، هذا هو الشيء الوحيد الذي يخطر في بالي عندما أفكّر في الصيف. لا المحيط، ولا أكل البطّيخ، ولا الذهاب في رحلة...».

«هل تقصدين أنّكِ تحلمين الحلم نفسه كلّ صيف؟»

«لا. ليس حلمًا. أحلامي ليست على هذه الشاكلة. الأمر أشبه بأنّني في كلّ مرّةٍ أسمع فيها شخصًا يتحدّث عن أيّام الصيف، حينما يكون الجوّ حارًا إلى درجةٍ تصعب معها الحركة، أو حتى حين يقول تمّوز/يوليو، تظهر هذه الصورة في رأسي، مثل نسخةٍ من الصورة نفسها بالألوان الحيّة. من يدري؟ ربّما حلمتُ بشيءٍ كهذا حين كنت صغيرة».

أومأتُ برأسي، ومسحتُ فمي بالفوطة المبلّلة.

«وحين انحنيتُ، ممسكةً خلف ظهري الزمزميّة التي تكاد تخلو من الماء، وقرّبتُ وجهي إلى الدودة التي أصبحت جافّةً بالكامل تقريبًا، رأيت. وجه هذه الدودة هو وجهي».

انفجرت هيجيري ضاحكةً وهي تقول ذلك. ضحكتُ أنا أيضًا، ثم أخذتُ جرعةً من الشاي المثلّج. ولفترةٍ من الوقت، جلسنا من دون حديث. بعد فترة صمت، أخرجت هيجيري يديها، وجعلت راحتيهما في الاتّجاه المعاكس لجسدها، وكأنّها تذكّرت شيئًا للتوّ. لثانيةٍ تساءلتُ عمّا تفعل، لكنّني استوعبتُ

مكتبة ياسمين

بعد قليل. أمسكتُ حقيبتي، وأخرجتُ المغلّف الذي يضمُّ مخطوط الكتاب والمسوّدة، ثم ناولتهما إلى هيجيري. ستّمئة صفحة ثقيلٌ إلى درجة أنّ رسغيّ ارتجفا، رغم أنّني كنتُ أمسكه بيديّ كلتيهما. ضمّته هيجيري إلى صدرها، وهزّت يديها في إشارةٍ إلى ثقله وضخامته، ثم نظرت إليّ وضحكت.

«هذا جنون، صحيح؟ من هو الإنسان الذي يُريد أن يخبر العالم بهذا كلّه؟».

خرجنا من المقهى. ودّعتُ هيجيري، ثم سرتُ في الغسق.

ذهبتُ إلى محلّ بقالةٍ لأشتري بعض البيرة والساكي، ثم توقّفتُ عند حديقةٍ على مقربةٍ من شقّتي، حيث جلستُ على مقعدٍ دافئٍ وشربتُ زجاجة بيرة. لم يكن حولي أحد، لكنّني استطعتُ سماع صوت طفلٍ يبكي في مكانٍ ما. مرّت دقيقةٌ أو نحوها بعد أن انتهيتُ من زجاجة البيرة الأولى من دون أن يهتزّ لي طرف، وشعرتُ بعدها بدفءٍ ينتشر في وجهي. ثم انتهيتُ من الثانية. بهذه البساطة. وانتقلتُ بعدها إلى الساكي. نزعتُ غلاف الكوب محاذرةً أن أسكب أيّ شيءٍ منه، ثم بدأتُ السير وأنا أشرب.

عندما وصلتُ إلى البيت، شعرتُ بالعالم يغمرني إلى درجة أنّني تمدّدتُ على أرض المطبخ، في المدخل تحديدًا، ونظرتُ إلى السقف. أمسيّةٌ هادئةٌ خاليةٌ من الأحداث، أقضيها على الأرضيّة، غير شاعرةٍ بالبرد حتى.

مكتبة ياسمين

عندما أدرتُ رأسي إلى الجانب، رأيتُ رزمةً صغيرةً من المجلّات في كومةٍ قُرب القمامة.

أقول مجلّات. لكنّ أيًا منها لم يكن من المجلّات التي أشتريها عادة. كانت مجلّاتٍ أقرب إلى كُتيّبات القسائم والمنشورات الإعلانيّة، التي أُعطيت لي حين كنت في الشارع. لكنّ هذه الرزمة ضمّت أشياء أخرى أيضًا؛ نشراتٍ مجتمعيّةً ومجلّاتٍ معلوماتيّة، كانت تُترك في صندوق بريدي، تنتظر كلُّها هناك حتى أتمكّن من وضعها في صندوق المهملات يومًا ما.

وجهي على الأرض. نظرتُ إلى العناصر المختلفة التي تُشكّل هذه الكومة. الكثير من العروض التي تعرض الكثير من الخدمات، شارحةً ما الذي لديها لتبيعه. صورة موظّفٍ مبتسمٍ في بعض الأحيان. أسعارٌ وتخفيضات. صالونات حلاقة. علبٌ صغيرةٌ عليها صفوفٌ من الحروف الصغيرة. فوائد العلاجات التجميليّة. تخصُّصات عيّادات أسنان وأطبّاء جُدد. نصائح بخصوص الحساسيّة. الطبُّ الصينيّ. عنوانٌ وراء عنوان.

خلال عشر دقائق من القراءة وجدتُ سبعة أخطاء، وعلّمتُ على كلِّ واحدٍ منها بإصبعي. في قاع الكومة، وجدتُ كتيّبًا هائلًا مصنوعًا من الورق عالي الجودة. خذّي على الأرض. فتحتُ الكتيّب بيدٍ واحدة، وقلّبتُ بعض صفحاته. كان كاتالوغًا لمكانٍ يُطلق على نفسه اسم المركز الثقافي، تشترك في إدراته بعض الشركات وجامعة.

مكتبة ياسمين

من أين جئت بهذا؟ قلّبت من صفحةٍ إلى أخرى، وفكّرت بأنّه ربّما وصل إليّ عندما كنت أتبرّع بالدم في شينجوكو. عندما ألقيت نظرةً أخرى على الغلاف، رأيت جملة: «كاتالوغ الدورات». أشاروا إلى أنّهم يقدّمون دروسًا في أكثر من اثني عشر مكانًا، وأنّ هذا الكتيّب مخصّص لجامعة شينجوكو. نظرةٌ سريعةٌ كشفت عن عددٍ مذهلٍ حقًّا من الدروس. كلُّ أنواع الأنشطة الثقافيّة أو الهوايات التي يمكن للمرء أن يفكّر فيها تملأ صفحات الكتيّب، صفحةٌ تلو الأخرى. اعتدلت، وأخذت الكاتالوغ بين يديّ، وبدأت أقرأ بعناية.

تفحّصت قائمة المحتويات، ووجدت أنّ الدروس موضوعةٌ في أقسامٍ واسعة، مثل اللغات الأجنبيّة، والتواصل المجتمعيّ، والفنون، وأساليب الحياة. ثم تظهر تقسيماتٌ أخرى أكثر تحديدًا، بمتوسّط عشرة أقسامٍ لكلّ قسمٍ سابق.

كان لكلّ قسمٍ من الأقسام نصيبه من العناوين التي تبدو أوليّة، مثل: «مقدّمةٌ إلى السياسة الإغريقيّة»، «قراءةٌ في أعمال سوسيكي»، «الأوبرا للمبتدئين»، مراجعاتٌ للكتب والثقافات الأيقونيّة من أنحاء الكوكب، وعلى امتداد مراحل تاريخيّةٍ مختلفة. ولكن باستمرار التقليب، وجدت عددًا من الدورات التي لم تكن واضحةً بالنسبة لي، مثل «الغنوصيّة وكوكاي»، «السوترا الفيمالاكيريتيّة وسفر الرؤيا»، «النظريّة النسبيّة الخاصّة وتشوّهات الزمكان»، و«فهم الحشرات»، إلى جانب أشياء أخرى، مثل: «الحبّ والأرواح والتوجيه»، «الكيّ

مكتبة ياسمين

في عصرنا الحاليَ»، «ألغاز الواني»، و«الاستمتاع بالكوزوتشيجي والزنّ». تمعّنت في كلّ واحدةٍ من هذه الأشياء بعناية.

وجدت أيضًا دروس تعليم للغة برايل، ولغة الإشارة، إلى جانب دروس ترجمةٍ ومحادثةٍ للغات الأجنبيّة الأساسيّة، ومعها لغاتٌ مثل السويديّة والسلوفاكيّة والهنديّة. دروسٌ في كلّ شيء، من كتابة المقالات إلى الخبز، الرسم بالألوان المائيّة، لوحات غسيل الحبر، تسوروشي كازاري، دمى بيسك، التصوير، فنّ الخطّ، الرقص والغاغاكو، التانغو والتشانسون، الحياكة، النحت، البستنة، الدانتيل، دليلك إلى التماثيل البوذيّة، أعمال الخشب، طُرُق عمل الشاي، التاي تشي، السمك الاستوائي، ناهيك عن دروسٍ متنوّعةٍ في الحقل، في أنحاء اليابان وفي العالم أيضًا، أين تُجرّب السوشي في تسكيجي، أو تذهب في جولاتٍ تزور فيها القلاع القديمة وكاتدرائيّات العصر الرومانسيّ... كانت هناك تشكيلةٌ واسعةٌ من الاختيارات، إلى درجة أنّني، من دون أن أنتبه، أمضيت ساعتين كاملتين في قراءة عناوين الدورات، وأسماء المدرّبين والملخصات. وحيث أنّ الدورات لم تكن تحمل أرقامًا، فإنّني لم أستطع عدّها كلّها، وإن كنت أخمّن أنّ العدد قد يصل إلى الألف داخل الكاتالوغ. وباستثناء بعض الاختلافات في التهجئة هنا وهناك، لم ألحظ أيّ أخطاءٍ في الطباعة.

كنت مذهولةً بالتأكيد من فكرة أنّهم استطاعوا

مكتبة ياسمين

الوصول إلى كلّ هؤلاء الخبراء في العالم، ليقدّموا كلّ هذه الدروس في كثيرٍ من مجالات الخبرة والثقافة والتعليم، أو أيّ شيءٍ تفكّر فيه، فضلًا عن وجود عددٍ كافٍ من الأشخاص المهتمّين، عشرة أضعاف أو عشرين ضعف عدد المدربين على الأقلّ، لكي يصبح تقديم الدورات هذه أمرًا مجزيًا من الناحية المادّيّة. ولفترةٍ من الوقت رقدتُ بلا حراك، مكوّمةً على أرضيّة المطبخ. وعندما تخيّلتُ دروسًا كهذه، يومًا بعد يوم، في أحد المباني، في مكانٍ ما في شينجوكو، بدا الأمر أصعب من قدرتي على التحمُّل، وندّت عنّي تنهيدة.

تناولتُ كوبًا آخر من الساكي من الثلّاجة واستلقيتُ على الأرض، رافعةً رأسي بقدرٍ يسمح لي بشربه. تأمّلتُ في تشابه الساكي مع الماء، واختلافهما الجوهريّ في كلّ شيء، ثم أغلقتُ عينيّ وتركتُ نفسي أستمتع بشعور الاسترخاء الذي يتسلّل إلى جسمي. عندما نزعتُ جواربي وخلعتُ بنطال الجينز تسلّل إليّ شعورٌ بالجنون، وبدأتُ أضحك بصوتٍ عالٍ. هاهاهاه. وبمجرّد أن فعلتُ ذلك، أمكنني رؤية الصوت أمام عينيَ. عندما قلتُ هاهاهاه، استطعتُ رؤية هاهاهاه. وعندما قلتُ تيهيهي، استطعتُ رؤيتها. تعالت ضحكاتي بعد هذه الملاحظة. وعندما توقّفتُ عن الضحك، كان الصمت مضحكًا، فبدأتُ أضحك من جديد. تحريك رأسي على الأرض وأنا أضحك جعلني أشعر بكلّ النتوءات والفجوات في جمجمتي، وأدرك كمّ الاختلافات بين جانبي رأسي كذلك. رفعتُ رأسي بقدر ما تتيح لي

مكتبة ياسمين

رقبتي، ثم تركتها تسقط، فصدر عنها صوت ارتطامٍ قويّ مكتوم. كان هذا ممتعًا من الناحية الجسديّة، ففعلته مرّةً أخرى، ومرّةً أخرى. في النهاية شعرث بالغثيان، وجاء هذا الشعور مصحوبًا بخمولٍ ملأ الفراغ الذي يقع خلف عينيّ وجبيني. ثم غرقت في النوم قبل أن أنتبه.

مكتبة ياسمين

- 4 -

ربّما السبب هو يوم الأحد، أو ربّما الحال هكذا دائمًا، لكنّ البهو الرئيسيّ للمركز الثقافيّ كان يعجُّ بالناس.

فكّرت بأنّ معظم من هناك يشبهن الزوجات المتأنّقات، لكنّني رأيت كذلك بعض التلاميذ، وأشخاصًا خمّنت أنّهم متقاعدون، بعضهم أصدقاء في الغالب، أو يعرفون بعضهم البعض على الأقلّ. جلسوا على كنبة بيضاء اللون تمتدُّ على طول الحائط، أو على كراسٍ موزّعةٍ حول الطاولات، يتحدّثون أو يتبادلون التحيّات السريعة. استوعبت أذناي كلّ هذه الأصوات اللطيفة التي تحيط بي. شعرت كأنّني في بهو مستشفى. لم يكن هناك مرضى بأطرافٍ مضمّدة، أو أطبّاء بمعاطف بيضاء. رائحةٌ مختلفة، وضحكاتٌ أكثر. لكنّ المكانين بديا متشابهَين للغاية.

فكّرت بأنّ الدروس التي تتطلّب التزامًا يستمرُّ لنحو عامٍ مُبالغٌ فيها قليلًا، لذا بحثت في الدروس التي تتطلّب الحضور مرّةً واحدةً فقط، لكنّني لم أجد شيئًا مناسبًا. بدأت أشعر بالتردّد فيما أفعله. فعلى امتداد الأسابيع القليلة الماضية، كنت أطرد عنّي هذا الشعور عبر التوجّه إلى المطبخ لشرب زجاجة بيرة. وفي النهاية، قرّرت أنّ الأفضل لي هو الذهاب ورؤية المركز الثقافيّ بنفسي؛ أن أحصل على فكرةٍ عامّةٍ عن المكان ككلّ.

حملت محفظتي وهاتفي، وملأت الترموس

مكتبة ياسمين

بالساكي البارد، ووضعتُ ذلك كلّه في حقيبةٍ قماشيّةٍ علّقتها بكتفي، ثم توجّهتُ إلى البهو. امتدّتْ أرففٌ على كامل الجدار الخلفيّ، مملوءةً بعددٍ لا يُحصى من المنشورات الإعلانيّة، كريميّة اللون، التي تتعلّق بالدورات التي يقدّمها المكان. كانت أكثر تفصيلًا من الكاتالوغ، وتُقدّم معلوماتٍ أكثر عن الدورات، إلى جانب نبذةٍ قصيرةٍ عن المحاضرين، وأرقام هواتفهم. بل كانت هناك دوراتٌ غير مُدرجةٍ في الكاتالوغ.

الشيء الذي استطعتُ حسمه كان رغبتي في دراسة أمرٍ جديدٍ عليّ تمامًا، شيءٍ لا أعرف عنه أيّ شيء. لذا استقرّيتُ على بعض الاختيارات التي تناسب جدولي وميزانيّتي. وبشكلٍ عامّ، ابتعدتُ عن أيّ دوروسٍ تتضمّن حركة المجموعة في الأنحاء، أو التي يتعيّن عليك فيها صنع شيءٍ ما، أو مشاركة عملك مع الآخرين. أمّا الدروس التي كنت أفاضل بينها فقد كانت تقليديّةً أكثر، حيث تجلس وتستمع إلى شخصٍ يُحاضرك في موضوع الدراسة.

بعد عدّة جولات، صعودًا ونزولًا أمام الحائط على امتداد الأرفف المكتظّة، جمعتُ منشوراتٍ تتحدّث عن خمسة دروس: «مقدّمة إلى الفنّ البيزنطيّ»، «تقاليد المآسي في العالم»، «حياة الكائنات البحريّة المذهلة»، «الجنائز والزنّ»، و«الاستقلال والأمّة». جلستُ على كنبة، وقلتُ في نفسي إنّ الوقت قد حان للاختيار. اختاري واحدًا الآن. كان المكان مزدحمًا، لكنّه مضاء. الأجواء لطيفة، ولم أندم على قدومي إلى هنا. هل يهمُّ ما الذي سأختاره

مكتبة ياسمين

أصلًا؟ توقفي عن الإفراط في التفكير. اختاري أحد الدروس فحسب، وكأنك تشربين البيرة. توقفي عن القلق. انطلقي واحظي ببعض الوقت. بالطبع قد يتضح أنّ الأمر مضيعةٌ للمال، لكن سيكون بإمكانك دائمًا التوقّف عن الحضور.

ذهبت إلى الحمّام، حيث أخرجت الترموس وشربت كوبًا بعد آخر من الساكي. لكنّ جلوسي على مقعد المرحاض لفترةٍ طويلةٍ جعلني أشعر بالنعاس قليلًا. لذا ذهبت إلى آلة البيع في البهو، واشتريت كوبًا من القهوة السوداء، شربته وأنا واقفةٌ مكاني. ثم حسمت قراري: «تقاليد المآسي في العالم». اجتاحتني دفعةٌ من الشجاعة. ألقيت العبوة الفارغة في سلّة المهملات، فسقطت برنّةٍ بلهاء.

للانتهاء من إجراءات التسجيل، سرت إلى أقرب مكتب خدمات. المرأة التي ترتدي نظّاراتٍ بإطاراتٍ رفيعةٍ فضّية، أشارت بعينيها إلى ماكينة البطاقات خلفي تمامًا. شعرت بالحرج لأنني لم أنتبه، وانحنيت ثم ابتعدت. المرأة الأربعينيّة التي تنتظر دورها نظرت إليّ نظرةً ممتعضة، ثم استدارت إلى جهةٍ أخرى بسرعة. الشاشة الإلكترونيّة فوق الطاولة أظهرت الرقم الحاليّ: ٣٤٠. رقمي ٣٥٧. عدت إلى الكنبة نفسها، وانتظرت.

استغرق الأمر أكثر ممّا توقّعت. بعد الغداء تضخّم عدد الناس. كنت في حالةٍ من الذهول، وذكّرت نفسي بأنّه ربّما تكون أيّام الاحاد مزدحمةً بهذا الشكل. وضعت حقيبتي القماشيّة في حجري،

وأغلقتُ عينيّ وانتظرت.

لا أعرف من أين جاء ذلك الشعور، من رأسي أو معدتي أو أسفل ظهري، لكنّني شعرتُ وكأنّ هناك شيئًا مقزِّزًا يدور في دوّاماتِ داخلي، ذكّرني كثيرًا بشعور الغثيان الذي عرفته بعد أن جرّبتُ الشرب للمرّة الأولى في حياتي، قبل أربعة عشر عامًا من الآن. لكنّني لم أكن في وضعٍ يسمح لي بالعودة إلى المنزل. لا. عليّ أن أتماسك حتى أنتهي من التسجيل على الأقلّ. استندتُ إلى الحائط، وأمسكتُ نسيج الحقيبة القماشيَ. هدأتْ تلك المشاعر في النهاية، ولكنّني نهضتُ حين سمعتُ رقمي، وكنت متأكّدةً من أنّني سأتقيّأ. توقّفتُ في منتصف الطريق، وابتلعتُ جرعاتٍ من لعابي عدّة مرّات، قبل أن أكمل طريقي إلى شبّاك الحجز. داهمني فجأةً شعور الغثيان مرّةً أخرى. أشرتُ إلى موظّفة الاستقبال بالانتظار للحظة. نظرتُ إلى الخلف بسرعة، ورأيتُ لافتةً عليها سهمٌ يشير إلى الحمّام. وجّهتُ سبابتي إلى اللافتة، آملةً أنّها ستفهم، ثم هرعتُ إلى الحمّام ويدي على فمي. لكنّ معدتي هدرتْ حينها بطريقةٍ غريبة، وبدأتْ بالانقباض. شعرتُ بجذر لساني في ظهر حلقي وهو يتصلّب، وبمحتويات معدتي وهي تندفع إلى الأعلى. كان الحمّام في نهاية البهو، في أبعد مكانٍ عن مكتب الاستقبال. أغلقتُ حلقي بلساني، ضاغطةً على أسناني في محاولةٍ يائسةٍ لإيقاف السائل، ومنعه من الوصول إلى فمي. لكنّ الوقت كان قد فات.

عند مدخل الحمّام تقيّأتُ في يدي، وانسابتْ من

مكتبة ياسمين

بين يديّ أنهزُ صغيرةُ من سائلٍ يقترب لونه من البنّي. وبينما ألتقط أنفاسي، شعرتُ سريعًا بأنني على وشك التقيؤ مجدّدًا، وفعلتُ ذلك في راحة يدي. في هذه اللحظة خرج شخصٌ ما من حمّام الرجال، واصطدمنا ببعضنا. لم ينتبه لقيئي على ما يبدو، ولا لحقيقة أنني أتقيّأ. حاول أن يخطو بجواري، وفقد توازنه. سألتني فتاةٌ كانت في طريقها للخروج من حمّام النساء إذا ما كنتُ على ما يُرام، وأخذتني إلى الداخل. غسلتُ يديّ في الحوض، وأنا أهزُّ رأسي مرّةً تلو الأخرى. تمضمضتُ واعتذرتُ للفتاة. أنا آسفة. أنا بخير. أنا آسفةٌ جدًا. ناولتني الفتاة كتلةً مطويّةً من مناديل الحمّام. نظرتْ إليّ لثانيةٍ في مرآة الحمّام، وكأنّها تشكّ في ذلك، لكنّها في النهاية قبضتْ ملامحها وقالت حسنًا. انحنتْ لي بينما تخرج.

جلستُ في حُجرة الحمّام نفسها التي كنتُ فيها من قبل مطأطئةً رأسي، في انتظار أن يختفي ذلك الإحساس. شعرتُ بالتحسّن بعد أن تقيّأت، وأخذتُ أنفاسًا عميقة، مرّةً تلو الأخرى، بينما أربّتُ على معدتي.

انتظرتُ بعض الوقت، لكنّني لم أشعر برغبةٍ في التقيّؤ مرّةً أخرى، لذا خرجتُ من حُجرة الحمّام، وذهبتُ لألقي نظرةً على المدخل. شعرتُ بالارتياح لأنّ القيء كان على البلاط فحسب، ولم يُصب السجّادة، وإن كان قد اقترب منها كثيرًا. استعرتُ جردلًا وخرقةً مهترئةً حال لونها إلى السواد من خزانة النظافة، وقلت لنفسي إنّني سأجلب واحدةً

مكتبة ياسمين

أخرى عوضًا عنها، ومسحت كلّ ذرّةٍ من القيء استطعت الوصول إليها. بعد أن انتهيت من عصر الخرقة، كانت رغبتي الأساسيّة هي ترك كلّ شيءٍ والعودة إلى البيت، لكنّني لاحظت أنّني تركت حقيبتي القماشيّة عند منطقة التسجيل.

كان البهو الرئيسيّ مثلما تركته، مليئًا بالناس الذي يتحدّثون ويقرأون المنشورات والمطويّات الإعلانيّة، في انتظار دورهم للتسجيل. من مسافةٍ آمنة، نظرت إلى المنطقة المحيطة بمكتب التسجيل، لكنّني لم أر أيّة علامةٍ على وجود الحقيبة. انتهى شخصٌ ما من تسجيل بياناته أمام الشبّاك، وقبل أن تنادي الموظّفة على الرقم التالي، استغلّيت الفرصة وبدأت الحديث مع المرأة، لكنّها قاطعتني في منتصف الجملة، وطلبت منّي، لو سمحت، أن أذهب لأحصل على رقم. لذا فقد فعلت، ثمّ ذهبت إلى الكنبة لأنتظر، كما حدث في المرّة الأولى تمامًا. هذه المرّة كان أمامي ستّة أشخاص.

أجَلت النظر في البهو، من دون أن أثبّت عينيّ على شيءٍ محدّد، ولاحظت أنّ الرجل الذي يجلس على الكنبة المتقاطعة بصورةٍ مائلةٍ مع كنبتي، كان ينظر في اتّجاهي منذ فترة. وبما أنّه لم يكن هناك من يجلس بجواري من الناحيتين، فهناك فرصةٌ لا بأس بها في أنّه ينظر إليّ أنا. أخرجت منديلًا من جيبي، وبهدوءٍ مسحت المنطقة التي تحيط بفمي. شعرت بالراحة لعدم وجود أيّ آثارٍ لأيّ شيءٍ على المنديل.

استمرّ الرجل في النظر نحوي بعد مرور عدّة

مكتبة ياسمين

دقائق، ما جعل من بقائي هادئةً أمرًا صعبًا. لم أعرف إلامَ ينبغي أن أنظر، وبدأ شعورٌ بقلّة الحيلة يتسلّل إليّ، حين انتبهت. ماذا لو كان هذا الرجل هو الذي اصطدمتُ به في الحمّام، عندما تقيّأت؟

ألقيت نظرةً سريعةً على حذائه. وبسبب الزاوية التي نظرتُ منها، لم يكن باستطاعتي إلّا رؤية باطن فردةٍ من فردتي الحذاء، لكنّها بدت نظيفةً على أيّ حال، مثلما كان أسفل بنطاله. لم يكن منطقيًا بالطبع أنني أصبتُ بقيئي يديه أو وجهه، لكنّني شعرتُ بأنّ من المحتمل أن أكون قد أصبتُ جزءًا ما منه. ربّما لم أكن قادرةً على رؤية ذلك من مكان جلوسي. فكّرتُ بأنّه لو كانت الحال كذلك، فربّما من الأفضل أن أذهب للاعتذار. لكن ماذا سأفعل لو اتّضح أنّه شخصٌ آخر؟

كان قلبي مُثقلًا بظُلمةٍ راسخة، لكنّني أخذتُ نَفَسًا وراء الآخر، وقلتُ لنفسي إنّ هذه مسؤوليّتي. فكّري في الأمر على أنّه نوعٌ من العمل، وستبلين بلاءً حسنًا. وقفتُ بعد أن حسمتُ قراري، وذهبتُ إلى حيث يجلس.

كانت هذه هي المرّة الأولى في حياتي التي أقول فيها شيئًا ما لشخصٍ لا أعرفه، في مكانٍ غير مألوف.

نظرتُ إلى ذقنه وأنا أقول:

«اعذرني... منذ قليل، في الحمّام، هل...؟».

توقُّفي عن الكلام هنا جعل من المستحيل عليّ أن أكمل الحديث من حيث صمتَ. كنتُ متوتّرةً إلى

مكتبة ياسمين

درجة أنّني لم أغد أعرف ما الذي يجب عليّ أن أقوله بعد ذلك. هل أصبتك بـ...؟ هل وصلك شيءٌ من...؟ بذلت أقصى جهدي لتكوين جملةٍ في رأسي، لكنّني لم أستطع نطق أكثر من لعثمة. تحدّث هو بعدها.

«آه. إنّها أنت. هل كلُّ شيءٍ على ما يرام؟».

ابتلعت ريقي وأجبت: «أنا بخير». قال الرجل إنّه سعيدٌ بذلك، وابتسم بخفّة. ثم خيّم الصمت.

شعره أسود يشوبه الرماديّ، منحسرٌ عن جبينه أكثر من المعتاد، ونافرٌ هنا وهناك في تجعُّداتٍ صغيرة. حاجباه أيضًا ليسا سميكين ولا رفيعين. كانا مُنقَّطَين بشعرٍ أبيض، ساقطَين وكأنّهما جسرٌ مفتوح. رغم أنّه من الصعب تخمين عمره، فقد بدا كأنّه في الخمسينيّات غالبًا. يلبس سترة بولو زرقاء كحليّة اللون، قديمةً حال لونها، ويضع أكثر من قلمٍ في جيب الصدر. كان يرتدي بنطالًا قطنيًا باليًا، لونه بيج فاتح، وحذاءً رياضيًا، وإن كان يصعب من النظرة الأولى تحديد ما إذا كان من الجلد أو البلاستيك.

كسرتُ الصمت:

«إذًا... ممم... بخصوص... لم أكن فعلًا... أنا آسفةٌ لأنّني لم أعتذر. لكن... آ. كنت قلقةً من أنّني ربّما أصبتُ حذاءك».

عانيتُ في إخراج الكلمات، لكنّي أنهيتُ الفكرة على الأقلّ.

مكتبة ياسمين

ضحك ونظر إلى حذائه.

«لا تقلقي. أنا المخطئ أصلًا. لم أكن منتبهًا إلى مكان سيري. أنا من يجب عليّ الاعتذار».

«لا. إنّه خطأي أنا».

لم يكن هناك ما يُقال بعد ذلك، لذا انحنيث وتراجعت. انحنى هو كذلك. بدأت أتحرّك باتّجاه الكنبة، لكنّهم نادوا على رقمي قبل أن أصل إلى هناك. لذا غيّرتُ اتّجاهي، وغدث مرّةً أخرى إلى الشبّاك.

وضعث الورقة الصغيرة التي تحمل رقمي، وقلت:

«معذرة، أظنُ أنّني تركث حقيبتي القماشيّة هنا».

نظرث إليّ المرأة التي ترتدي إطارَ نظّارةٍ فضّيًا، ولفّت كرسيها، ثم عادث مرّةً أخرى وهي تمسك حقيبتي الكحليّة، ووضعتها على الطاولة أمامي.

انحنيث وشكرتُها. لم تردّ عليّ، وبدا عليها نفاد الصبر وهي تضع خصلةً من شعرها خلف أذنها، وتنادي على الرقم التالي.

علّقث الحقيبة بكتفي، وتوجّهث إلى المخرج، لكنّني لم أستطع منع نفسي من النظر إلى الرجل. كان يضع ساقًا على الأخرى، وينحني فوق حجره حيث يوجد شيءٌ يشبه الدفتر، كان يكتب فيه. سرتُ ببطءٍ في الردهة التي تقود إلى المصاعد، وضغطث الزرّ. عندما وصل المصعد دخلته، وصعدت إلى الطابق السفليّ، ثم غادرث المبنى.

ظهرث شمس العصر وكأنّها فيضان، جعلتني

مكتبة ياسمين

أضيّق عينيَ. الساحة التي تقابل المبنى تشبه بحرًا بلا ماء، بينما عقارب الساعة، التي تقف وكأنّها سيفٌ مزروعٌ في الأرض، تشير إلى الثالثة بالضبط.

في يوم الأحد التالي، عدتُ إلى المركز الثقافيّ في شينجوكو، وأنا أحمل خرقةً بدلًا من التي استخدمتُها.

وضعتُها في حقيبتي، مع محفظتي وترموسٍ مملوءٍ بالساكي. كنتُ قد نزلتُ من البيت، وأصبحتُ في الشارع بالفعل، قبل أن ألاحظ أنّني نسيتُ هاتفي. لكنّني قرّرتُ تركه. لم يكن هناك من يتّصل بي إلّا إذا كان الأمر متعلّقًا بالعمل، وكان يوم أحد، لذا سرتُ إلى المحطّة وأنا أشقُّ الهواء الرطب الثقيل.

بدأتُ الشرب منذ الصباح، أربع علبٍ من البيرة على وجه الدقّة. أجريتُ عددًا من التجارب منذ حدث ما حدث في المركز الثقافيّ، واكتشفتُ أنّني لن أصاب بالغثيان طالما لا أخلط الكحول مع الكافيين، لذا شربتُ البيرة فقط في الصباح.

لم يكن هناك أدنى تغييرٍ في القاعة الرئيسيّة منذ الأسبوع الماضي. وكأنّ الوقت الذي يفصل بين اليومين قد تضاءل، وأنّني لم أترك المكان إلّا منذ بضع ساعاتٍ فقط.

بفضل البيرة التي شربتُها في البيت، والساكي الذي شربته في المحطّة بينما كنتُ أنتظر القطار، شعرتُ بدرجةٍ كبيرةٍ من الاسترخاء، ولكن ليس بطريقةٍ جيّدة. كنتُ مرتبكة، أتساءل إذا ما كنتُ قد

مكتبة ياسمين

أفرطت في الشرب. لكنّ شعورًا بعدم أهمّيّة ذلك كلّه بدأ يتسرّب إليّ. سيكون الأمر على ما يرام. أخذتُ رقمي، وجلستُ على الكنبة، ثم نظرتُ طويلًا إلى الأرقام على الورقة. حسبما تقول الشاشة، سيكون عليّ الانتظار حتى ينتهي ثلاثة عشر شخصًا، ثم يأتي دوري.

جلستُ على حافّة الكنبة. فردتُ ظهري إلى الخلف حتى أصبحتُ شبه مستلقية، وراقبتُ الناس وهم يتحرّكون في الأنحاء، ويتحدّثون مع بعضهم وكأنّهم يمضون وقتًا رائعًا. قرب المكان الذي أجلس فيه توجد مساحةٌ تحوّلت إلى مقهى، تمّ تقسيمها تقسيماتٍ صغيرةً للغاية، إلى درجة أنّني كنت أرى رؤوس الناس مسترخيةً وهم يشربون الشاي. رؤوسٌ مختلفةٌ بألوانٍ مختلفة. كان هناك أيضًا الكثير من الأشخاص الجالسين على مقاعدَ مصفوفةٍ على امتداد المدخل قرب المحاسب، في انتظار فراغ بعض المقاعد. أصوات أدوات المائدة تتداخل مع رائحة القهوة، في تيّار الهواء الذي يتحرّك ملامسًا وجهي.

أصابعي ثقيلة، ومرفقا يديّ هلاميّان. أخرجتُ الترموس من حقيبتي القماشيّة الموضوعة في حجري، وفتحتُ الغطاء، ثم صببتُ لنفسي كوبًا شربته في جرعةٍ واحدة. شعرتُ بالدفء بينما يشقُّ الساكي طريقه إلى الأسفل شيئًا فشيئًا. وعقب ذلك بلحظات، أحسستُ بالرائحة التي لا يمكن الخلط بينها وبين أيّة رائحةٍ أخرى وهي تشقُّ طريقها إلى الأعلى. نظرتُ إلى واجهة العرض المملوءة

مكتبة ياسمين

بالتشيز كيك، والتقت عيناي بعيني رجلٍ يمشي في اتّجاه منطقة المقهى. كان الرجل نفسه الذي رأيثه وتحدّثث إليه في الأسبوع الماضي.

نظر إليّ وابتسم بلطف، مومئًا بالتحيّة. استغربث ابتسامته، لكنّني فعلث مثله وأومأث برأسي.

بدا عليه الابتهاج، وسألني: «هل تحضرين درسًا هنا؟».

هززث رأسي عدّة مرّات، وقلث له إنّني أنتظر. كان قد مرّ أسبوعٌ منذ أن اعتذرث لهذا الشخص، لكنّني شعرث وكأنّ كلّ شيءٍ قد حدث منذ دقائق معدودة.

«ما الذي تنتظرينه؟».

كان جيب سترة البولو الزرقاء الباهتة التي يرتديها ممتلئًا بأقلام رصاصٍ قابلةٍ للتعبئة، وأقلام رصاصٍ عاديّة، تبرز بشكلٍ غريبٍ لفت انتباهي.

لسببٍ لا أعرفه بقي الرجل واقفًا، من دون أن يتحرّك، مستمرًّا في النظر إليّ. ثم انتبهث إلى أنّه طلب منّي شيئًا ما، لذا راجعث المحادثة في دماغي، وأعطيته الإجابة:

«أنتظر أن ينادي عليّ أحد».

شعرث بالساكي يصل إلى قاع معدتي. كرّرث إجابتي مرّةً أخرى:

«أنتظر أن ينادي عليّ أحد».

الهواء الذي ابتلعته منذ قليلٍ يهدّد بالخروج مرّةً أخرى، لذا ابتلعث ريقي في محاولةٍ لإبقائه حيث هو.

مكتبة ياسمين

«اه. حسنًا».

نظر الرجل خلفه إلى مكتب الاستقبال.

أشرث إلى جيب صدر سترته، وقلت:

«هذا... قد يكون خطيرًا، لو سقطت».

وسّع الرجل عينيه قليلًا، وسألني:

«ما الذي قد يكون خطيرًا؟».

لا يزال إصبعي يشير في الهواء. قلث له:

«جيبكَ».

«جيبي قد يمثّل خطرًا؟».

«الأقلام. قد تجرحك. لو وقعت. عند عنقك».

رفع الرجل ذقنه وأبرز عنقه. ثم نظر إلى جيبه، وأعاد النظر إليّ مرّةً أخرى.

«الأجزاء الحادّة من الأقلام إلى الناحية السفليّة، لذا سأكون بخير. الجزء العُلويّ مستدير».

قلت: «أوه!». وأطلقث تنهيدةً هائلة، ثم أكملت:

«إذًا فكونها مستديرةً يجعلها آمنة، أليس كذلك؟».

«أظنُ ذلك، نعم».

«هذا مطنأن».

«معذرة؟».

«مطمئن... قلث إنّ هذا مطمئن».

أطلقث سلسلةً من الزفرات، وكأنّني قد تحوّلث إلى ما يشبه المدخنة الملحقة بآلةٍ ما. ثم أخذث

مكتبة ياسمين

شهيقًا هائلًا، وأطلقتُ كلّ شيءٍ في زفرةٍ أخيرة.

مع كلِّ نفس، كنت أشعر بأطرافي الأربعة تصبح أثقل، وتسحب الطاقة من جسدي كلّه، من دون أن يجعلني ذلك أشعر بالنعاس في الحقيقة، لكنْ جفوني بدأتْ تنطبق.

دعكتُ عينيَ، وعند هذه المرحلة كنتُ في حالة استلقاءٍ عمليًا. لم يكن هناك قدرٌ من التركيز يمكنني الوصول إليه لأمنع جفوني من الانغلاق، لذا استخدمتُ سبّابتي في سحب الجلد المحيط بحاجبَيَ.

قال الرجل:

«مممم. يبدو أنّكِ شربت».

«صحيح».

مال الرجل إلى الأمام قليلًا، وسألني:

«وهل ستذهبين إلى المحاضرة سكرانة؟».

«لا. لن أفعل. أنا هنا لأعيد الخرقة».

«تعيدين الخرقة؟».

«التي أستخدمتها... في الحمّام».

«هل كسرتِ شيئًا؟».

أشرتُ إلى اتّجاه الحمّامات، وقلت:

«للحمّام».

هزّ الرجل رأسه بتفهّم، وسريعًا ما كان قد خرج من مجال رؤيتي. وضعتُ الحقيبة القماشيّة جانبًا وعقدتُ ذراعيَ، غير قادرةٍ على مقاومة جفوني،

مكتبة ياسمين

وسريعًا ما نمت.

صوتُ صاخبٌ دار حولي، شقَّ طريقه من مكانٍ ما بعيدٍ مقتربًا منّي، حتى أصبح أمامي مباشرة. جعلني ذلك أفتح عينيّ على اتّساعهما، غير مدركةٍ الوقت أو المكان. شعرتُ بشيءٍ باردٍ تحت لساني، وحول ذقني، لذا مسحته بظاهر يدي. كان لعابي يسيل.

نظرةٌ سريعةٌ إلى البهو الرئيسيَ، أدركتُ منها أنّ شيئًا لم يتغيّر. الناس يتحدّثون مع بعضهم، ينتظرون أن تأتي أدوارهم، أو يجلسون على الكراسي يقرأون. رفعتُ رأسي ونظرتُ إلى الساعة على الحائط. الثالثة والنصف. يبدو أنّني نمتُ هنا حوالى ثلاث ساعات. دعكتُ عينيّ بظاهر يدَيَ، ثم هززتُ رأسي من دون تركيز. شعرتُ كأنّها مملوءةٌ بلطخاتٍ من الضباب.

لم أعرف ما الذي عليّ فعله الآن، ولا أين يجب عليّ الذهاب، أو ماذا سأفعل بعد أن أنهض، لذا بقيتُ جالسةً في المكان نفسه بعد أن استيقظتُ لمدّة عشرين دقيقةً أخرى. ثم جفلتُ حين سمعتُ نغمةً حادّةً. ارتفع كتفاي حتى لمسا أذنيَ. تردّد صدى اللحن في القاعة بصوتٍ أعلى مع كلِّ تكرار. لكنّ الصوت توقّف فور أن تساءلتُ في داخلي عن الدرجة التي سيصل إليها الصوت. فُتح الباب خلف مكتب الاستقبال، وخرج عددٌ من الأشخاص المنخرطين في محادثةٍ سمعتُ طنينها. من بين الرؤوس والوجوه، رأيتُ الرجل ذي سترة البولو

مكتبة ياسمين

الكحليّة، الذي أومأ لي ثم اتّجه نحوي.

وقف أمامي مباشرة، حيث أجلس على الكنبة، لذا توجّب عليّ أن أرفع عينيّ لأنظر إليه. أخرج من حقيبته عبوة ماءٍ بلاستيكيّة، وناولني إيّاها.

«أحضرتُ لك هذه منذ قليل، لكنّكِ كنت نائمة. هاكِ».

سألت: «منذ قليل؟».

كان صوتي خشنًا بعض الشيء وأنا أكمل:

«هل تقصد منذ ثلاث ساعاتٍ مثلًا؟».

«نعم. كان عندي محاضرة. لقد خرجتُ للتوّ، وكنتِ لا تزالين هنا، لذا فها نحن ذا».

عندما ابتسم الرجل، ظهرت تجاعيد غائرةٌ في خدّيه وعند زاويتَي عينيه، والتي لسببٍ ما جعلتني أشعر بالإحراج الرهيب من كلّ شيء. نظرتُ إلى الأسفل، وانحنيتُ وقلتُ له إنّني آسفة.

ضحك وقال:

«كنتِ نائمةً فحسب، لا داعي للاعتذار. في المرّة الماضية بدوتِ وكأنّكِ لستِ على ما يُرام. شعرتُ بالقلق لأنّ الموضوع تكرّر اليوم. لو تحدّثتِ معهم في مكتب الاستقبال... لديهم مكانٌ في الخلف يمكنك فيه أن تستريحي قليلًا».

قلتُ وأنا أهزّ رأسي: «ممم. أظنّ أنّني بخيرٍ الآن على كلّ حال. آسفةٌ على إزعاجك». انحنيتُ مرّةً أخرى.

مكتبة ياسمين

مدّ الرجل يده لي بالعبوة مرّةً أخرى، وقال لي:

«تفضّلي».

ضغطتُ بإحدى يديّ على جبيني، وأخذتُ العبوة باليد الأخرى وأنا في حالةٍ من التردُّد. كنتُ عطشانةً للغاية، لكن لسببٍ ما لم أكن قادرةً على فتح الغطاء، وتقريب الماء من شفتيّ، وأخذ جرعةٍ من الشراب أمامه. أمسكتُ العبوة، وشكرته ثم انحنيتُ مرّةً أخرى. لكنّني حين نظرتُ إلى يدي الأخرى المستقرّة على الكنبة، لاحظتُ أنّ حقيبتي قد اختفت.

* * *

«حسنًا. إن ظهرتْ سنتّصل بكِ على هذا الرقم».

جال الضابط صغير السنّ بعينيه في المحضر، ثم ألقى نظرةً سريعةً على وجهي.

كان يتحدّث بطريقةٍ غريبة، خاليةٍ من أيّة عاطفة. شكرتُه على وقته، انحنيت، ثم غادرتُ قِسم الشرطة. بحثتُ عن الحقيبة في كلّ مكان، بمساعدة موظّفي المركز الثقافيّ، لكنّنا لم نعثر عليها.

في الخارج، انتظرني الرجل من المركز الثقافيّ حتى انتهيتُ من المحضر. انحنيتُ وقلت:

«أنا المخطئة. كان ينبغي أن أكون أكثر انتباهًا».

«على الإطلاق. آمل أن تعثري عليها فحسب».

«أشعر بالسوء. أمضيت فترة العصر كلّها تبحث معي... بل جئت معي هذه المسافة كلّها إلى هنا».

«على الأقلّ لم يكن فيها هاتفك أو أيّة بطاقةٍ من

مكتبة ياسمين

بطاقات ائتمانك. كنت ستضطرّين للاتّصال وإيقافها. لحظة. ماذا عن بطاقة الصرّاف الآلي؟».

«آه. إنّها في المنزل».

«جيّد. أحيانًا تظهر المحفظة المسروقة بعد بعض الوقت، لكن خالية».

«حقًّا؟».

«بالطبع. يأخذون النقود، ثم يرمونها. تضيع منّي الأشياء دائمًا، لكنّني استعدتُ محفظتي مرّتين».

«حقًّا؟».

«أتمنّى أن يكون فيها شيءٌ يدلُّ على عنوانكِ».

سرتُ أنا والرجل في الشارع، متّجهَين إلى محطّة المترو في شينجوكو.

لم ينطق أيٌّ منّا بكلمةٍ طول الطريق. وبينما أنظر إلى طرفَي فردتَي حذائي وهما تدوسان البلاط والإسفلت المتّسخ، لاحظتُ كم أشعر بالتوتُّر والقلق من سيري خالية اليدين، في منطقةٍ غير مألوفةٍ من مدينةٍ هائلة.

عند المحطّة، وقبل بوّابة التذاكر، ووسط الناس الذين يتدافعون من حولنا، عبّرتُ عن شكري للرجل.

«شكرًا لك على لطفك معي اليوم».

اقترضتُ منه ألف ينٍ، لأنّني فقدتُ نقودي كلّها مع المحفظة.

سألني:

«هل يكفي هذا؟».

مكتبة ياسمين

«نعم. شكرًا لك. سأعيدها لك على الفور».

«خذي وقتك. سأكون هناك الأسبوع القادم أيضًا. يمكنكِ قول مرحبًا لو رأيتني».

سأكون هناك الأسبوع القادم أيضًا. حينما قال هذه الكلمات، أعدث كلّ شيءٍ حدث على الكنبة، وفي مكتب الاستقبال، وفي الحمّامات، داخل رأسي، وتركني ذلك في حالةٍ من الاكتئاب. تردّدتُ حتى الثانية الأخيرة، لكنّني سألته في النهاية عن وسيلة تواصلٍ معه، تحسّبًا لحدوث أيّ شيء. وافق مرحّبًا، لذا اقترضتُ شيئًا أكتب به. كتبنا رقمَي هاتفينا، ثم تبادلناهما.

سألته وأنا أحاول فكّ شيفرة حروف اسمه، التي كتبها على قطعة الورق الصغيرة:

«سان... تابا؟».

قال وهو يضحك:

«ميتسوتسوكا».

«ميتسوتسوكا».

«فهمت».

كرّرت:

«ميتسوتسوكا».

قال:

«لكنّني أقابل أشخاصًا يحملون اسم سانتابا طول الوقت. سانزوكو أيضًا». ثم ابتسم وعدّل من وضعيّة حقيبة كتفه البنّيّة، وأضاف:

مكتبة ياسمين

«وأنت فويوكو آيري».

أجبت: «صحيح»، رغم أنّ هناك شيئًا ما في كونه قال اسمي كاملًا في وجهي، جعل من المستحيل عليّ أن أنظر إليه مباشرة. لذا خفضتُ نظري إلى طرف حذاء ميتسوتسوكا.

لوّح لي سريعًا، وقال:

«وداعًا».

وفور عبوره البوّابة اختفى داخل حشدٍ من الناس.

***

«ضياع المحفظة بؤسٌ لا مثيل له، أليس كذلك؟».

سمعتُ هيجيري وهي تتنهّد بصوتٍ عالٍ عبر سمّاعة التليفون.

سألتني بعدها:

«هل طلبتِ منهم إيقاف بطاقاتك؟».

قلتُ سريعًا من دون تفكير: «نعم». في الحقيقة، لم يكن عندي بطاقاتٌ ائتمانيّةٌ أصلًا لأوقف أيًا منها. مرّتْ أربعة أيّامٍ منذ فقدتُ حقيبتي، ولم تتّصل بي الشرطة بعد.

«حسنًا، تليفونكِ معكِ على الأقلّ، لحُسن الحظّ».

«نعم».

«ولم تلاحظي أيّ شيءٍ وقتها؟»

لم أذكر حقيقة أنّني كنتُ سكرانةً وغرقتُ في النوم. شرحتُ لها أنّني من نوع الأشخاص الذين يتوهون في أفكارهم، جالسةً هناك على الكنبة، ثم

مكتبة ياسمين

انتبهت فوجدت أنّ الحقيبة قد اختفت.

«الناس يمشون بحقائب دائمًا».

«نعم».

«لكن لو أخذها شخص ما، فإنّه يأخذها ببساطة. لن يغيّر الحرص أيّ شيءٍ في هذا الموضوع».

«صحيح».

«الأمر كلّه حظّ، على ما أظنّ».

«نعم».

«أمرٌ سيّئٌ بالطبع أن يسرق شخص ما أشياءكِ، لكن على الأقلّ كان هناك رجلٌ لطيفٌ ساعدكِ».

لم يبدُ على هيجيري الاقتناع بما تقول، حتى وهي تُكمل:

«ربّما هو نوعٌ من التوازن، صحيح؟».

«أظنُّ ذلك».

عادت هيجيري لتسأل:

«ما الذي كنتِ تفعلينه في مكانٍ كهذا أصلًا؟ هل تأخذين دروسًا هناك؟».

«كنت أقوم بخدمةٍ لصديقةٍ فحسب».

«آه، حسنًا».

من نبرة صوتها عرفت أنّ كذبتي انطلت عليها.

ضحكت هيجيري:

«هذه الأماكن تتعامل مع الثقافة بطريقةٍ مثيرة للتأمّل... والرجل اللطيف كان هو أيضًا في المركز

مكتبة ياسمين

الثقافيّ؟»

أجبتُ إجابةً مُبهمة. همهمتْ هيجيري، وهي لا تزال متشككةً فيما تسمع. تحدّثنا بعدها عن أمور العمل المعتادة لبعض الوقت، قبل أن نغلق الخطّ.

في اليوم التالي، اتّصلتُ بميتسوتسوكا على الرقم الذي كتبه لي (بعد أن شربتُ علبتَي بيرة)، لترتيب موعدٍ يمكنني فيه إعادة الأموال إليه.

فكّرتُ بإرسال المال نقدًا عبر البريد المُسجّل، لكنّه أخبرني بأنّه يعمل قريبًا جدًا من بيتي، لذا قرّرنا أن نلتقي في المساء التالي، في مقهى خارج محطّةٍ لم أستخدمها أبدًا، في منتصف الطريق بيننا. بعد أن اتّفقنا على الوقت والمكان، أغلقنا الخطّ. شعرتُ بالقلق، وكأنّني أرتكب حماقة، لكنّني تناولتُ عبوةً أو عبوتَين إضافيّتَين من البيرة، وغطّى الكحول على كلّ الأسئلة التي تدور في رأسي، مُبعدًا إيّاها عن ناظري.

في اليوم الذي اتّفقتُ فيه مع ميتسوتسوكا على اللقاء، خصّصتُ النهار بالكامل لإجراء مراجعةٍ متأنّيةٍ للعمل الذي انتهيت منه في اليوم السابق. ثم أعددتُ بعض الطعام، وأخذتُ استراحةً قصيرة. بعد ذلك، توجّهتُ إلى المكتبة القريبة لأعيد بعض الكتب، ثم عملتُ حتى السادسة في مقارنة المسوّدة المكتوبة مع مخطوط الكتاب.

تزايد قلقي مع اقتراب الموعد، بينما أنظر إلى الساعة مرّةً تلو الأخرى، وفي كلّ مرّةٍ كنتُ أتنهّد وأنا أفعل ذلك.

مكتبة ياسمين

عندما أصبحت الساعة السادسة وعشر دقائق، رتّبتُ أوراق المسوّدة والمخطوط المتناثرة على مكتبي، وبريتُ أقلامي الرصاص كلّها حتى أصبحت رؤوسها مدبّبة، ووضعتها في حامل الأقلام. ثم غسلتُ وجهي، ووضعتُ مرطّبًا، ومشّطتُ شعري. تردّدتُ بين رفع شعري إلى الأعلى أو تركه، لكنّني في النهاية تركتُه كما هو. ثم ذهبتُ إلى المطبخ، وفتحتُ الثلّاجة، وأخذتُ عبوة بيرة، وبدأتُ أشربها ببطءٍ وأنا عائدةٌ إلى الحجرة.

فكّرتُ كثيرًا فيما أرتدي وأنا واقفةٌ أمام رفوف الخزانة. لم يكن السبب أنّ الاختيارات كثيرة، لذا فقد استقرّيتُ على قميصٍ مغسول، مع السترة ذاتها التي ألبسها، وبنطالٍ قطنيّ. بعد أن انتهيت، وقفتُ أمام المرآة الطويلة عند الباب، ونظرتُ إلى نفسي للمرّة الأولى منذ فترة، من رأسي إلى قدمَيّ. وعندما استدرتُ إلى الجانب، شعرتُ بإحساسٍ غريبٍ حين اكتشفتُ أنّني قد نحلتُ كثيرًا عمّا أتذكّر. بقيتُ واقفةً لفترةٍ أحدّق في المرآة. ثم استدرتُ مرّةً أخرى إلى الأمام، وحاولتُ أن أنظر إلى عينيّ، اللّتين وجدتهما تبادلاني النظر. وجهي كذلك كان ينظر إليّ، ممزوجًا بالظلال، بينما يغلب عليه تعبيرٌ غير واضح. لو أنّ هاتين الشفتين المنفرجتين تخبرانني شيئًا! أعرف جيّدًا أنّني سأستمع، أيًّا كان ما سيخرج. لكن مهما طال انتظاري، فلا كلمات من أيّ مكان. لم أعُد أعرف كيف أترك المرآة، كيف أترك الفتاة، التي هي أنا، في المرآة خلفي. وضعتُ يديّ على قمّة رأسي، ثم تتبّعتُ منحنيات جمجمتي،

مكتبة ياسمين

حتى خفضتهما مرّةً أخرى. بعدها حرّكتُ يديّ على صدغيّ وصولًا إلى الخدّين، ثم رفعتهما إلى الأعلى، وتركتُ راحتيهما تنزلقان مرّةً أخرى إلى الأسفل، من الأعلى إلى الأسفل. أنا في المرآة كرّرتُ الحركات نفسها. فعلتُ الشيء نفسه مرارًا وتكرارًا، حتى حان وقت مغادرتي المنزل.

عبر نافذة المقهى، أمكنني رؤية أنّ ميتسوتسوكا وصل قبلي، وأنّه يقرأ كتابًا. شعرتُ بأثر البيرة التي شربتُها من قبل، خاصّةً في خدّيّ. دفعتُ الباب ودخلتُ المكان، ثم جلستُ أمامه وأنا أتأسّف. أخرجتُ مظروفًا يضمُّ الألف ينّ من حقيبتي ووضعتُه على الطاولة، بينما أنحني وأنا أدفعه نحوه. لاحظتُ أنّ أحد أركان المظروف مثنيّ، رغم أنّني وضعته في دفتري لحمايته.

«شكرًا على مساعدتك».

سمعته يقول: «لا بأس أبدًا»، وهو يضع يده على المظروف. مرّتْ فترة صمت، لكنّني لم أستطِع رفع عينيّ إلى عينيه. بدلًا من ذلك، مسحتُ خدّيّ بطريقةٍ غريبة، مستخدمةً منديلًا، وضغطتُ حقيبتي كأنّها كرة.

قطع ميتسوتسوكا الصمت قائلًا: «آسفٌ لأنّكِ اضطررتِ للسير بعيدًا عن طريقك المعتادة. لم يكن عليك فعل ذلك هذا الأسبوع. كان يمكنني الانتظار حتى مجيئك مرّةً أخرى إلى المركز الثقافيّ».

لكنّني هززتُ رأسي نافيةً ذلك بقوّة. قلت: «شكرًا»، وكان فمي لزجًا وجافًّا، لذا أخذتُ جرعةً من كأس

مكتبة ياسمين

الماء أمامي. وأكملت:

«لكنّني لا أظنّ أنّني سأذهب إلى المركز الثقافيّ مرّة أخرى».

«فعلًا؟».

هززت رأسي عدّة مرّات، ويداي على حقيبتي القماشيّة في حجري.

«هل أنهيتِ دروسكِ؟».

«لا، كنت أفكّر في التسجيل، لكن يبدو أنّ الأمور لا تسير على ما يُرام».

هزّ رأسه موافقًا، وقال: «فهمت».

خيّم الصمت علينا من جديد، مثل المرّة الفائتة تمامًا. أثناء ذلك بدأت أحك جلدي المحيط بعينيّ مستخدمةً أطراف أصابعي، ثم نظرت إلى الأسفل، فسقط شعري على وجهي. وضعت شعري خلف أذني، لكنّني بدأت أشعر بالقلق من الطريقة التي ينبغي عليّ الجلوس بها. تفحّصت سطح الطاولة لبعض الوقت. كانت ممسوحة، ليس عليها أيّ آثارٍ أو بقعٍ تلفت النظر. ولكن كان من الواضح أنّه مهما مُسِحت هذه الطاولة فلن تختفي آثار الاتّساخ المتراكمة عليها. أردت أن أشرب، بيرة أو ساكي. فكّرت في الترموس الفضّيّ الذي ضاع منّي. شعور الشكر البسيط الذي شعرت به عندما وصلت إلى المحطّة، وحتى دخولي إلى المقهى، كان قد بدأ يتلاشى بسرعة، ما جعلني أشعر بالوحدة. عند هذه اللحظة، خطر لي شيءٌ ما. لقد أعدت المال

مكتبة ياسمين

الذي اقترضته، محقّقة الهدف الذي نزلت من أجله. وبالتأكيد فإنّ الشيء الأكثر منطقيّة الذي يمكنني فعله الآن هو المغادرة. وبسرعةٍ لم أغد أحتمل فكرة الجلوس هنا. نظرتُ إلى ميتسوتسوكا، وبدا لي أنّ وجهه يكشف عن طيفٍ من الإحراج هو الآخر. عندها داهمتني الفكرة: ربّما ينتظر منّي أن أقوم وأتركه وحده. لم أستطع التخلّص من هذه الفكرة فور أن خطرتْ في بالي. أخذتُ نفسًا عميقًا، ودفعتُ شعري إلى الخلف استعدادًا للنهوض. عندها تحدّث ميتسوتسوكا:

«ماذا تريدين أن تشربي؟».

لم نكن قد طلبنا أيّ شيءٍ بالطبع. نظرتُ إلى القائمة، وأشرتُ إلى أوّل كلمتين وقعتْ عينيّ عليهما، وقلتُ له إنّني سآخذ قهوةً ساخنة. كنتُ متأكّدةً من أنّ وجهي أحمر اللون.

قال ميتسوتسوكا إنّه سيأخذ الشيء نفسه. شقّتِ امرأةٌ في منتصف العمر طريقها إلى طاولتنا، قادمةً من الخلف، ووضعتْ كوب ماءٍ أمامي، ثم أخذتْ طلبَينا. ترتدي مِريلةً سوداء، ملفوفةً حول قوامٍ دائريٍّ وممتلئٍ للغاية، إلى درجةٍ لافتةٍ للنظر. أخذتْ طلبينا من دون أن تُبدي أيّة حركة، باستثناء هزّةٍ خفيفةٍ من ذقنها، من دون أن تنطق بكلمة. ثم تركتنا بالسرعة نفسها التي جاءتْ بها، وذهبتْ إلى الخلف. بدتْ ذراعاها وقدماها رفيعتين تمامًا بالنسبة لبقيّة جسمها. لاحظتُ سريعًا بعدها أنّ الماء الذي شربتُ منه بعد أن جلستُ كان يخصّ ميتسوتسوكا، واحمرّ

مكتبة ياسمين

وجهي بينما أبدّل بهدوءٍ الكوب الجديد بالكوب الذي شربث منه في المرّة الأولى.

انتظرنا وصول القهوة، من دون أن ينطق أحدنا بكلمة.

في النهاية سألته، لأكسر هذا الصمت غير المحتمل: «هل تعمل قريبًا من هنا؟». من بقايا شعوري بالشكر، إن كان قد بقي لي منه شيء، حاولث بحذرٍ أن أبدأ حوارًا.

قال ميتسوتسوكا: «نعم. في مدرسةٍ ثانويّة، عند المحطّة».

«أنتَ مدرّس؟».

«نعم».

قلت وأنا أهزّ رأسي، وأمسح فمي بمنديل: «أنتَ مدرّس». ثم أكملت:

«وما الذي تدرّسه؟».

«فيزياء».

«فيزياء؟».

«بالضبط».

قلت: «وعندما تقول فيزياء...»، ولكنّني عجزث عن إكمال كلامي. عادت السيّدة إلى الطاولة، ووضعث القهوة، مُديرةً حامل كلّ من الكوبين نحو اليمين. تابعنا بهدوءٍ سلسلة حركاتها، وكأنّنا نشهد احتفالًا من نوعٍ ما. أمسكث طرف الصينيّة التي تحمل السكّر والكريم، وجرّتها إلى منتصف الطاولة، ثم

مكتبة ياسمين

وضعت الفاتورة على الطرف، قبل أن تغادرنا مرّةً أخرى.

أخذ ميتسوتسوكا رشفةً من قهوته، ثم سألني:

«وماذا عنكِ يا آنسة آيري؟ هل تعملين؟».

توتّرت من الطريقة التي سمعت بها اسمي. فكّرت في شرب القليل من القهوة، لكنّها كانت سوداء وساخنةً للغاية، لذا تحوّلت إلى شرب بعض الماء. قلت بعدها: «ممم. أعمل من المنزل».

«من المنزل».

«نعم. أنا مدقّقة نصوص. لكنّني أعمل من المنزل. عملٌ حرّ».

«إذًا فأنتِ تدقّقين الكتب؟».

«بالضبط».

اتّسعت عيناه بوضوحٍ وهو يقول:

«واو! مدقّقة؟».

«نعم».

«وما نوع الكتب التي تعملين عليها؟».

«باستثناء الكتب المتخصّصة، أستطيع العمل على أيّ شيءٍ تقريبًا».

«حتى الروايات؟».

«نعم».

«حقًّا؟».

«نعم».

مكتبة ياسمين

«هل هو صعب؟».

«تقصد العمل؟».

«نعم».

«لا أعرف... ربّما. أنا أجلس طيلة الوقت، لكنّ هذا ليس الأمر الصعب بالتحديد. أظنّه ليس عملًا صعبًا إلى هذه الدرجة».

«هاه».

«... إذًا... سيد ميتسوتسوكا، أيّ صفٍّ تُدرّس؟».

«كلُّهم. هي مدرسةٌ ثانويّةٌ عاديّةٌ بالطبع. لا أحد هناك يهتمُّ كثيرًا بالفيزياء على وجه الخصوص».

«حقًّا؟».

«لا للأسف».

قرّب فنجانه من شفتيه، وأخذ جرعةً كبيرة، مُمِيلًا رأسه إلى الخلف قليلًا.

سألته وأنا في حالةٍ من عدم التصديق:

«أليست ساخنة؟».

«إنّها ساخنةٌ بالفعل. لا أعرف السبب، لكنّني أقدر على شرب الماء المغليّ وكأنّه في درجة حرارة الغرفة».

«واو».

من بعدها، وبينما يتخلّل الصمت كلامنا، تطرّقنا إلى المركز الثقافيّ، حيث التقينا. ظننتُ أنّ ميتسوتسوكا يُعطي دروسًا هناك ربّما، لكنّ هذا لم يكن واقع الحال كما هو واضح. إنّه هناك بصفته

مكتبة ياسمين

تلميذًا.

قال ميتسوتسوكا بعد فترة:

«أنتِ مدقّقة، وتقرأين طيلة الوقت، لا بدّ أنّك تعرفين الكثير عن أشياء لا حصر لها».

أومأت بصورةٍ مبهمة، وقلت ويدي الممسكة بالمنديل مستقرّةٌ في حجري:

« أظنُّ ذلك... لكنّ التدقيق لا علاقة له بالقراءة... أمران مختلفان تمامًا».

قال ميتسوتسوكا، وهو يهزُّ رأسه ويأخذ رشفةً من القهوة:

«هذا منطقيّ».

«أوّل ما تتعلّمه كمدقّقٍ هو أنّه لا يُفترَض بك قراءة القصّة على الصفحة. ينطبق هذا على الروايات، وعلى أيّ نوعٍ آخر من الكتب. غير مسموحٍ بالقراءة».

«لا يُفترَض بكِ القراءة؟».

«بالضبط. أنتَ مدقّق. لا يهمُّ ما الذي تعمل عليه، لا ينبغي عليك أن تغرق في النصّ».

هزّ ميتسوتسوكا رأسه.

«... الهدف هنا هو أن تقرأ أقلّ القليل... بالطبع نحن هنا نمارس التدقيق، لذا ينبغي علينا أن ننخرط في كلّ جانبٍ من جوانب القصّة: الحبكة، التماسك، تسلسل الأحداث، كلّ شيء. على كلّ حال، الفكرة هنا هي أن تعزل مشاعرك عمّا تفعل... وتركّز طاقتك

مكتبة ياسمين

كلّها في العثور على الأخطاء الخفيّة».

«يبدو لي هذا صعبًا بصراحة».

«تكون الروايات صعبةً للغاية أحيانًا... أظنُّ ذلك، فهي مصمّمةٌ نوعًا ما للتأثير في مشاعرك، وقد يبتلعك هذا أحيانًا. عندما بدأت عملي، لم تكن عندي أيّة فكرةٍ عن كيفيّة تطوير عينٍ تلتقط الأخطاء، ولا أين أبحث عنها».

«إذًا، فهذا أمرٌ تتعلّمينه بالتدريب؟».

«نعم. على الأقلّ هذا هو ما يقولونه. لكنّني أظنُّ أنّه من الصحيح فعلًا أنّ بعض الناس قد خُلِقوا لذلك، وآخرون لا يستطيعون فعله».

«وما الذي يجعل شخصًا ما جيّدًا في عمل ذلك؟».

«حسنًا... أنت تجلس إلى مكتبك، ولا تتحرّك طيلة اليوم، تبحث عن الأخطاء، لذا فلو كنتَ من نوع الأشخاص الذين يرغبون في الحركة والتجوّل طيلة الوقت، ربّما يكون هذا العمل مرهقًا لك».

«إذًا فهو عملٌ مناسبٌ لشخصٍ يقدر على التعامل مع فترات الجلوس الطويلة».

«كما أنّك تعمل في الغالب مع نفسك طيلة الوقت، لذا فأظنُّ أنّه يتوجّب عليك أيضًا أن تكون من نوع الأشخاص الذين لا يتضايقون من الوحدة، ولا يزعجهم ذلك».

«هذا منطقيّ».

«نعم».

مكتبة ياسمين

«وهل يسير الأمر بصورةٍ جيّدةٍ معك؟».

«لم أحبّ القراءة بصراحة. أو بصورةٍ أدقّ، لم أقرأ كثيرًا على الإطلاق، حقًّا. لم أمتلك يومًا هذه المشاعر... حسنًا. ربّما ليست المشاعر. ربّما الحساسيّة؟ أيًا كان. لم أمتلك منها كفاية. ما جعل من السهل عليّ أن أعتاد الأمر».

أخذتُ رشفة قهوة. كانت قد فترت قليلًا الآن.

«من ناحيةٍ ما، ربّما كان الأمر مناسبًا لي بالفعل. فبمجرّد أن أنهي كتابًا أنسى كلّ شيء، سواء أكان عن القصّة أو الحقائق. أنسى كلّ شيء. أحيانًا لا أتذكّر إلّا العنوان. وبعد عدّة سنواتٍ يغيب عنّي كلُّ شيء. لا يبدو الأمر كالقراءة حين أقرأ. وعندما أنتهي من القراءة لا أستطيع القول إنّني قد قرأت الكتاب فعلًا. الأمر على هذه الحال دائمًا. عندما يأتي وقت المسوّدة الجديدة يكون عقلي خاليًا، وعلى استعدادٍ للقراءة بدماغٍ جديد. أبحث عن الأخطاء، لذا فلن أكون موسوعةً متحرّكةً أبدًا. مهما بقيت في هذا العمل، فلا شيء يبقى في رأسي».

بعد أن قلتُ ذلك كلّه بنفسٍ واحد، فكّرتُ بأنّني ربّما لا زلت سكرانةً قليلًا. نظرتُ إلى يدي الممسكة بالمنديل، ورأيتُ أنّ أطراف أصابعي ترتجف.

لدقيقةٍ أو نحو ذلك، شربنا القهوة من دون أن يكسر أحدنا الصمت.

خارج النافذة، كان الليل يأكل طبقات الشفق في أنحاء السماء بصورةٍ مطّردة. وبرزت الوجوه المشرقة لتلاميذ يتحدّثون أثناء المشي، بينما تُسرع

مكتبة ياسمين

دراجةٌ من وقتٍ لآخر وتمرُّ بهم، وترنُّ الأجراس عندما تتقاطع طرقهم. شفتاي مضغوطتان على الكوب. أحدّق في شمك الليل. مادةٌ حبريّةٌ تملأ المساحة بين ما يتحرّك وما هو ساكن.

«هل تحبُّ القراءة؟».

«لم أغد أقرأ تقريبًا، لكن مرّ عليّ وقتٌ كنت أحبُّ فيه القراءة».

«رواياتٌ في الغالب؟».

«غالبًا. لم يكن لها علاقةٌ بدراستي، لكنّني أحببت قراءة الروايات حين كنت تلميذًا. أشعر بأنّني لم أقرأ إلّا الروايات القديمة. أعرف أنّني قرأت الكثير منها أيضًا، لكنّني لا أستطيع الآن أن أتذكّر ما الذي كانت تتحدّث عنه. كلّنا ننسى ربّما، لا المدقّقين فقط».

ابتسم ميتسوتسوكا. وكان كلّما فعل ذلك تظهر تجعيدتان كبيرتان، وتدفعان التجاعيد الأخرى كلّها جانبًا، جاعلةً وجهه اللطيف أكثر استرخاء. ولم أستطِع إلّا أن أبتسم بدوري. تشكّلت خطوطٌ على امتداد جبينه، دعكها بكفّ يده، حتى استدعتِ القهوة اهتمامه مرّةً أخرى، وأخذ جرعةً جديدة. نظرتُ إلى الأقلام في جيب سترته، ثم زممتُ شفتيّ ونظرتُ إلى الأسفل، وشربتُ بعض الماء.

«وكيف أصبحت مدرّس فيزياء؟».

«ما الذي تقصدينه؟».

«حسنًا. آه... هل كنت شغوفًا بالفيزياء دائمًا؟».

«لا أعرف بصراحة... لا أعرف إذا كان بإمكاني

مكتبة ياسمين

وصف الأمر بالشغف. ربّما كان اهتمامًا، بالمقارنة مع المواضيع الأخرى على الأقلّ».

«فهمت».

«كيف كانت الفيزياء بالنسبة لكِ؟».

«ها؟».

«أقصد حين كنت في المدرسة».

«تعلّمتُ الأساسيّات... لا أتذكّر أيّ شيءٍ الآن. لم أكن متفوّقةً فيها، أو في أيٍّ من العلوم بصراحة. أيُّ شيءٍ تضمّن تجارب أو معادلات كان صعبًا عليّ. أظنُّ أنّني نسيتُ ما هو أكثر من الكتب التي قرأتُها».

ابتسم ميتسوتسوكا عند سماعه الجملة الأخيرة، وابتسمتُ بدوري. لكنّ شعورًا غمرني بعدها، وجعلني غير قادرةٍ على الجلوس في مكاني. مزيجٌ غريبٌ من الإحراج والتعاسة. شعرتُ بوجهي يتحوّل إلى اللون الأحمر مرّةً أخرى. نظرتُ إلى الأسفل، وهززتُ رأسي عدّة مرّات.

سكتنا بعدها لفترةٍ أخرى، وحدّق كلانا عبر النافذة. نظرتُ إلى كوب القهوة في يد ميتسوتسوكا، ورأيته خاليًا تقريبًا. لم يتبقّ شيءٌ تقريبًا في كوبي أنا أيضًا. أمّا كوب الماء المجاور فكان نصف مملوء، وهناك خنفسةٌ سوداء طارت واستقرّتْ على حافّته، وكأنّها شحبت إلى الداخل، ثم رفرفت في الهواء مرّةً أخرى واختفت. لم يكن هناك سوانا في المقهى، واختفت السيّدة التي أخذت طلبينا. دفع ميتسوتسوكا الحساب.

مكتبة ياسمين

بعد أن غادرنا المقهى، سرنا معًا إلى المحطّة.

رأيث حديقةً صغيرةً لم أنتبه إليها في طريقي إلى المقهى، حيث استقرّتْ سلّة مهملاتٍ شبكيّةٌ على أحد جوانبها، تحت ضوءٍ كهربائيٍّ أصفر غامض، وكأنّها جزءٌ من لوحة.

كالعادة في الليل... تنتشر أضواء هنا وهناك. شاهدتها من دون أن أراها، وأنا أُتبع الخطوة بالأخرى.

فكّرتُ في مشيي يوم عيد ميلادي ذاك الشتاء.

تذكّرتُ تلك الليلة، وكيف عددتُ الأضواء بينما أمشي وسط برودةٍ واضحةٍ إلى درجة أنّه أصبح بالإمكان سماعها، خلال هذا الهواء الجافّ الذي جعلته الكثير من الأشياء المميّزة أكثر لمعانًا. لن يمضي وقتٌ طويلٌ حتى تحلّ الفترة الأكثر حرارةً من الصيف، ثم الخريف، وبعدها الشتاء. ثم ستأتي هذه الليلة من جديد. وبينما أنظر في اتّجاه الليل، لمحتُ سترة ميتسوتسوكا وهي تلمع بلونٍ أبيض، من كتفيه نزولًا.

كانت تلمع بطريقةٍ ذكّرتني بروائح الشتاء.

رأيتُ علامات الشارع وأضواءه، وأضواء السيّارات، وأعدادًا لا حصر لها من الأضواء، وهي تطفو في أمواج الصيف فوقنا. لكنّ الضوء الذي يأتي من قميص ميتسوتسوكا كان غير مألوفٍ في ليل الصيف. تمهّلتُ في حركتي، وأبطأتُ سيري خطوةً لأنظر إلى ظهره. تثاقل هو الاخر قليلًا، بينما برزتْ كتفاه اللتان تحملان حقيبة نايلون ثقيلةً

مكتبة ياسمين

لسببٍ غامض، مُكوِّنةَ عناصر مشهدٍ أمكنني وصفه لأسبابٍ عدّةٍ بكلمةٍ واحدة: مُدرّس. كان ظهره يشعُّ بوهجٍ أبيض خافت، وهو منظرٌ جعلني أشعر كأنّني أرى بطاقةً بريديّةً عملاقة، مُرسلةً إلى هذه اللحظة من الشتاء.

وصلنا إلى المحطّة، وابتعنا التذكرتين، وانحنينا عدّة مرّات. فعل كلانا ذلك عدّة مرات، ثم افترقنا بصورةٍ طبيعيّة، وذهبنا نحو البوّابات، من دون أن يسبق أحدنا الآخر. افترقنا عند الممرّ الذي ينقسم عند الأدراج، لأنّ كلّ واحدٍ منّا ذاهبٌ في اتّجاهٍ مختلف. في طريقي إلى الدّرج، داهمني إحساسٌ جعلني ألتفت. وفي الناحية الأخرى، كان ميتسوتسوكا على وشك الانعطاف عند الزاوية. في اللحظة التالية، ورغمًا عنّي، صحت: «مهلًا». شقّ صوتي الهواء، ورنّ صوتٌ أعلى في قلبي في الوقت نفسه، منتقلًا بعد ذلك عبر أنحاء جسمي. تردّد صوتي في الممرّ منخفضِ السقف، والتفتَ ميتسوتسوكا. نظر إليّ مستغربًا، ثم عاد سائرًا نحوي، منحنيًا إلى الأمام وهو يمشي. سرتُ نحوه بدوري. وعندما اقتربنا من بعضنا، قلتُ اسمه مرّةً أخرى، وأخذتُ شهيقًا تلاه شهيقٌ آخر. قلتُ له إنّ هناك شيئًا نسيتُ أن أسأله عنه بخصوص الفيزياء. قال: «طبعًا»، ونظر إليّ. بادلته النظر، وتنهّدت.

«بخصوص الضوء. لا أعرف إن كان للأمر علاقةٌ بالفيزياء. لكنّي أحبُّ النظر إلى... مم... الضوء».

لا يمكنني الادّعاء أنّني كنتُ أفهم بالضبط السبب

مكتبة ياسمين

الذي جعلني أخبر ميتسوتسوكا بذلك، أو ما الذي كنت أهدف إلى تحقيقه، لكنني تركت الكلمات تخرج كما أرادت.

سألني ميتسوتسوكا: «الضوء؟».

هززت رأسي أكثر من مرّة.

«وبالضوء أنتِ تقصدين الضوء بشكلٍ عامّ».

هززت رأسي عدّة مرّات، وقلت:

«الأمر فحسب أنّني... لا أعرف... لا شيء مهمًا على ما أظنّ، لكنّني شعرت فعلًا... بأنّني نسيت أن أخبرك بذلك، وشعرت بأنّني يجب أن أخبرك بذلك اليوم، قبل أن تضيع الفرصة».

«حسنًا».

قلت: «آسفةٌ لأنّني ناديت عليك بهذه الطريقة». ثم انحنيت وأكملت:

«هذا هو كلُّ شيء. آسفة. هذا كلُّ ما أردت قوله. آسفة».

انحنيت وأنا ابتعد.

قال ميتسوتسوكا بصوتٍ واضح:

«لا. أنا أشعر بالمِثل».

رفعت نظري إليه.

«أنا أيضًا أحبّ الضوء. كان هذا ما جعلني أدخل عالم الفيزياء في الأصل».

شعرت بالدهشة الآن، وقلت وأنا أنظر إلى وجهه:

مكتبة ياسمين

«فعلًا؟ فعلًا؟».

«نعم... الضوء لغز. لا أحد يعرف ماهيّته. أشعر أحيانًا وكأنّني قد فهمته، لكنّني سرعان ما أدرك أنّ ذلك ليس حقيقيًا. عندما كنت طفلًا، كنت أفكّر بأنّه أغرب شيءٍ في العالم. وقادني فضولي إلى دراسته».

نظرت إلى وجه ميتسوتسوكا.

«... بل ما زلت أفكّر في الضوء أحيانًا. حتى الآن».

«فعلًا؟».

«بالطبع».

«ممم... هل تظنّ أنّ الضوء الذي أتحدّث عنه، هو الضوء نفسه الذي... تتحدّث عنه أنت؟».

قال ميتسوتسوكا مبتسمًا:

«بالطبع، هما الشيء نفسه. نحن نتحدّث عن الضوء نفسه».

انطلق صوت في الأعلى عند رصيف المحطّة، مُعلنًا اقتراب القطار. رفع ميتسوتسوكا كتفيه ليعدّل من وضع الحقيبة، ثم أدار وجهه لينظر إلى الدّرج، عاد بعدها لينظر في عينيَ.

قال: «حسنًا... فلنتحدّث عن الضوء في المرّة القادمة». ثم انحنى قليلًا، قبل أن يبتعد بإيقاعٍ سريع. نظرت إليه من مكاني خلفه. كان كتفه الأيسر منخفضًا عن الكتف الأيمن بينما يمشي. عندما وصل إلى نهاية الممرَ، واستدار عند الزاوية إلى الدّرج، نظر إليّ مرّةً أخرى، وانحنى، ثم اختفى.

مكتبة ياسمين

بقيث واقفةً لبعض الوقت، من دون حركة، أنظر إلى المساحة التي تركها وراءه. حاولث أن أتذكّر كلّ الأشياء التي رأيثها وسمعثها في الساعة التي قضيناها معًا. كوبا القهوة، كتفا ميتسوتسوكا، الكلمات التي تشاركناها، لكنّ ذلك لم يأت بفائدة. كلّما حاولث الإمساك بالتفاصيل، شعرث بحركةٍ في صدري. انتقل الشعور إلى كفّ يدي، وإلى حلقي، موقدًا الألم الخفيف الذي كنث أشعر به.

مكتبة ياسمين

ـ 5 ـ

أذهب إلى المكتبة العامّة دائمًا لأبحث عن الأشياء. لم أعُد أدخل محالّ بيع الكتب تقريبًا ما لم أضطرّ إلى ذلك، من دون وجود حلٍّ آخر.

ذهبتُ مرّةً إلى محلّ بيع كتب، ورأيت هرمًا من الروايات التي عملت على تدقيقها. كان من الممتع رؤية الأغلفة التي اختاروها. لكن عندما فتحتُ الكتاب، وجدتُ أحد الأخطاء يبادلني النظر. ومنذ ذلك الحين وأنا أجد صعوبةً في الاقتراب من أيّ كتابٍ لا تزال ذاكرتي تحتفظ بتفاصيله.

ذُهِلت من رؤية خطأ فادحٍ كهذا يقفز في وجهي، حيث يمكن لأيّ شخصٍ أن يراه، رغم أنّني راجعتُ كلّ سطرٍ عدّة مرّات. نظرتُ إليه، إلى الخطأ، مرّةً تلو الأخرى. وفي كلّ مرّةٍ كان هناك، واضحًا كالشمس. أتذكّر جيّدًا كيف كان شعوري وأنا أسير عائدةً إلى المنزل، مكتئبةً إلى درجة أنّني لم أعُد قادرةً على التفكير بطريقةٍ سليمة. بعد أن استقلتُ وبدأتُ عملي الحرّ، استغرقتُ وقتًا طويلًا في تطوير طريقتي الخاصّة لفعل الأشياء. وصحيحٌ أنّني لا أقول إنّني نجحتُ في ذلك، أو إنّني وصلت إلى شيءٍ يقترب من الثقة، فقد تركني هذا الاكتشاف في حالةٍ من التشوّش. وكأنّ كلّ القوّة التي استطعتُ مراكمتها خلال الفترة الماضية قد تحطّمت.

باكتشافي لهذا الخطأ، ألقيتُ على نفسي مسؤوليّة تصحيحه في الطبعة التالية. وكان هذا يعني

مكتبة ياسمين

أنّ عليّ التواصل مع الشخص المسؤول عن هذا العنوان وإخباره، وفي هذه الحالة كان الشخص هو هيجيري.

«نعم. هذا أمرٌ سيّئ».

حاولت أن تخفّف عنّي.

«أعرف أنّه لا يوجد شيءٌ اسمه الكتاب المثاليّ، لكن لا يكسر قلب المدقّق شيءٌ مثل خطأ يعثر عليه بعد إصدار الكتاب».

بالضبط، فكّرت، وأومأتُ بقوّةٍ بينما أقبض على السمّاعة، متخيّلةً وجه هيجيري وهي تمسك سمّاعتها بالقوّة نفسها، وتهزّ رأسها بكلّ تعاطف.

وعدتُ نفسي بتجنّب أيّة إصداراتٍ جديدة، ودخلتُ محلّ بيع كتبٍ كبيرٍ للمرّة الأولى منذ فترةٍ طويلة. كان مزدحمًا بالناس.

احتلّت مجموعةٌ من النساء صفوف المجلّات قرب المدخل، متكدّساتٍ فوق بعضهنّ بينما يقلّبن الصفحات. أبقيتُ على مسافةٍ بيني وبينهنّ، وذهبتُ إلى ممرٍّ آخر، متوجّهةً إلى الخلف. تجوّلتُ لفترةٍ قبل أن أعثر على لافتةٍ تحمل كلمات: العلوم الطبيعيّة، حيث بدأتُ أقلّب كعوب الكتب.

كانت الرفوف مقسّمةً إلى أقسامٍ مختلفة: رياضيّات، فيزياء، كيمياء، علم الكونيّات، علم الفلك، الهندسة. أغلب هذه الكتب كان هائل الحجم، ويبدو أنّها متخصّصة. لم أر أيّة علامةٍ تدلّ على أنّ أحدًا يقترب من هذه الكتب في العادة. كان هناك بعض

مكتبة ياسمين

العناوين التي تلفت النظر. فيرمات أفسد عليّ حياتي أو نظريّة الأوتار للمعوّقين علميًا. لم أعرف من أين أبدأ.

في مساحة العرض، وعند ركبتيَ، وجدتُ كومةً من الكتب التي بدت موجّهةً إلى العامّة من القرّاء. على أغلفتها رسوماتٌ توضيحيّةٌ وشخصيّات أنيمي: أهلًا، مع السلامة: نظريّةٌ جديدةٌ في النسبيّة. فيزياء العثور على السعادة، أنت + الرياضيات = مثير. الحبّ ومبدأ الريبة ـ دليلك إلى الرومانسيّة. تصفّحتُ بعض هذه الكتب، لكن كان من الصعب معرفة أين أبحث، أو تحديد ما الذي أبحث عنه أصلًا. وضعتُ الكتب حيث وجدتها، ثم نظرتُ إلى الرفوف مرّةً أخرى، وأنا أقول لنفسي إنّني سأبحث في هذه المرّة بعنايةٍ أكبر عن الكتب التي تتضمّن في عنوانها كلمة «ضوء».

لأسبوعٍ كاملٍ لم أستطِع أن أتوقّف عن التفكير فيما قاله لي ميتسوتسوكا، حينما كنّا نودّع بعضنا. المرّة القادمة، سنتحدّث عن الضوء. لعلّه كان يتصرّف بأدب. لكن لو جاء ذلك اليوم، واستطعتُ أن أتحدّث معه عن الضوء، فربّما من الأفضل أن أعرف شيئًا عن هذا الأمر. لذا ذهبتُ إلى مكتبة بيع الكتب هذه، لأرى ما يمكنني العثور عليه.

لم أجد كتابًا يعجبني. تركتُ الرفوف الوحيدة التي تتضمّن كتبًا تقنيّة. وقف الزبائن عند مدخل المحلّ، أو انتظموا في صفوفٍ أمام المحاسب، ممسكين كتبًا في أيديهم. ابتعدتُ وسرتُ في ممرّ آخر تفاديًا

مكتبة ياسمين

للزحام.

ذهبتُ إلى مجموعةٍ من الرفوف في منطقةٍ مضيئة، كانت أغلب كعوب الكتب فيها تحمل اللون الورديّ. رأيتُ مجموعةً من الفتيات يقلّبن الكتب، ويتحدّثن من دون توقّف. من عناوين الكتب التي رأيتُها، فكّرتُ بأنّ هذا القسم هو الذي يضعون فيه كتب التنمية البشريّة الموجّهة للنساء، بكلماتٍ مفتاحيّةٍ مثل الزواج، الخيارات، الرومانسيّة، الأحلام، القدر، مكتوبةٍ كلّها بخطوطٍ لامعةٍ على أغلفةٍ ملوّنة.

شعر الفتيات كلّهنّ مصبوغٌ بالدرجة نفسها من اللّون البنّيّ، وملابسهنّ من العالم نفسه. بل حتى مساحيق التجميل التي يضعنها كانت متشابهة، وكأنّهنّ فريقٌ واحدٌ من نوعٍ ما. تكشف السترات التي يرتدينها عن صدورهنّ، إلى درجةٍ شعرتُ معها بالقلق من انسكابها إلى الخارج بمجرّد أن ينحنين. لكن لم يبدُ عليهنّ أيّ اهتمامٍ بذلك، لذا شعرتُ بالخجل قليلًا من التفكير بهذه الطريقة. لم تكن التنانير القصيرة التي يرتدينها تغطّي أرجلهنّ، ورأيتُ كدماتٍ واضحةً عليها. كنّ يرتدين أحذيةً بكعوبٍ عالية، ويضحكن بصخب، بينما يُرين بعضهنّ أشياء رأينها في الكتب التي يقرأنها. وقفتُ على مسافةٍ آمنةٍ منهنّ، وراقبتُ ما يفعلنه. التقطتُ كتابًا يحمل غلافه الكثير من الألوان، عنوانه شيءٌ وحيدٌ عليك فعله قبل الخامسة والثلاثين. تفحّصتُ قائمة المحتويات، ولاحظتُ أنّ الكتاب لا يقدّم شيئًا واحدًا، بل قائمةً كاملةً من الأشياء التي ينبغي

مكتبة ياسمين

على المرء فعلها قبل الخامسة والثلاثين، موزّعة على عدّة أقسام، مثل العمل، والزواج، والأمومة. وكلٌ واحدةٍ منها تحمل عددًا من العناوين الفرعيّة، مثل الادّخار، التأمين، الخطوبة، الهدايا، الأفراح، الحياة الزوجيّة، الحمل. وفي الكتاب عددٌ من الرسومات المتكلّفة. مرّرتُ إصبعي في منتصف الكتاب، وفتحته على صفحةٍ عشوائيّة، حيث وجدت كلماتٍ بحروفٍ كبيرة: «أهمّيّة الشراكة»، وتحتها النصّ الرئيسيّ بخطٍّ يكاد يماثل خطّ العنوان في الحجم، والذي يؤكّد أنّه لا بأس للمرأة من أن تقلق ممّا يتوجّب عليها التخلّي عنه لكي تتمكّن من الزواج وتكوين أسرة، لكنّ هذه التجارب تقدّم الكثير في المقابل، لذا عليكِ أن تتحدّثي عن هذه الأمور مع شريكِ تثقين فيه، وادخلي مباهج الأنوثة إلى أقصى درجة. تفحّصتُ بقيّة محتويات الكتاب سريعًا، قبل أن أضعه مرّةً أخرى، وألتقط الكتاب الذي يجاوره: كوني امرأةً أمازونيّة، لا عيب في القوّة. بنبرةٍ شغوف، يشجّع الكتاب النساء على عيش حياةٍ مستقلّة، داعمًا فكرته تلك بعددٍ من جداول الإحصائيّات المفصّلة، التي توضح معدّلات الادّخار المتوقّعة عند أعمارٍ مختلفةٍ على امتداد حياة المرأة (رغم أنّ معدّلات الأجور، ونسب الادّخار الموضوعة في هذه الجداول، كانت بعيدةً جدًّا عن الأرقام التي أحصل عليها، إلى درجة أنّني فكّرتُ بأنّ هناك خطأ ما). قلّبتُ بعض صفحات الكتاب، وقرأتُ سطرًا أو اثنين من كلّ صفحةٍ تقريبًا، قبل أن أنتقل إلى شيءٍ آخر. هذه المرّة كتابٌ يُدعى هكذا

مكتبة ياسمين

تحدّثت ملكة القلوب، بغلافٍ عليه موديل تبدو كأنّها مانيكان. ترتدي قماشةً حريريّةً بالكاد تُخفي حلمتيها وفرجها. الكتابة المستخدمة هنا كانت عملاقةً أيضًا بصورةٍ تستدعي إلى الذهن اختبارات النظر. كما يتضمّن الكتاب صورًا مُقرّبة، تظهر من وقتٍ إلى آخر، لخطوطٍ على شفاهٍ رطبة، أو مؤخّرةٍ مثاليّة. يجادل هذا الكتاب في أنّ ما يجعل المرأة جميلةً هو شعورها بالحُبّ، ما يعني بالضرورة أنّ ما نبحث عنه هو المزيد من الرومانسيّة، وأنّ الرومانسيّة هي مصدرٌ لا يمكن لأحدٍ أن يقيّمه بالمال، وأنّ الجنس يقدّم للمرأة ما يتجاوز السعادة، مؤثّرًا بصورةٍ واضحةٍ على تجربتها الحتميّة مع انقطاع الطمث، تحديدًا عند أولئك اللواتي حظين بتجربةٍ جنسيّةٍ مُشبِعةٍ في سنوات شبابهنَ. بعد أن قرأتُ قليلًا في الكتاب، اخترتُ كتابًا آخر كنتُ قد ألقيتُ نظرةً سريعةً عليه من قبل، ثم تركتُه لأمسك واحدًا آخر. عند مرحلةٍ ما، شعرتُ كأنّ هناك من يراقبني، ورفعتُ رأسي لأجد فتاةً تبادلني النظر. كانت واحدةً من بين مجموعةٍ أخرى من الفتيات، لكنّها بدت من نوع الفتيات نفسه تمامًا. عندما انتبهتْ إلى أنّني أنظر نحوها، استدارتْ وعادتْ للحديث مع الأخريات.

قلّبتُ صفحات حوالى ستّة كتبٍ أو أكثر. حظُّك في أسهم، سحر الميك ـ آب: راتبك سيزيد سبعة عشر ضعفًا، النساء الشقيّات أفضل في كلّ الأشياء، الجمال والقدّيس والطاهرة: كيف أصبحت أسطورة. على الكتاب الأخير صورةٌ برّاقةٌ لممثلةٍ لم أسمع بها

مكتبة ياسمين

في حياتي، لكنّها مشهورةٌ كما هو واضح، وهي تقدّم في كتابها اعترافاتٍ جريئةً تصف فيها مغامراتها الجنسيّة. لم أنتبه كم مرّ من الوقت وأنا واقفةٌ هنا، لكنّني لاحظتُ في النهاية أنّني أشعر بالتنميل في إصبع قدمي الكبير، ربّما لأنّ الحذاء الذي أرتديه كان ضيّقًا بعض الشيء.

توجّهتُ إلى المخرج الرئيسيّ للمكتبة وأنا أمرّ عبر مجموعات الزبائن. وصلتُ إلى الخارج، ثم عدتُ إلى المحطّة من دون أن أنظر إلى الأعلى على الإطلاق. أمرّ بالناس وأتركهم ومعي أجزاءٌ من ضحكة، أو محادثةٍ ممتعةٍ ترنُّ في أذني.

شعرتُ بالتأثُّر حين مررتُ أسفل هالات إشارات المرور الخضراء والحمراء، ورأيتُ منظر المساء الغريب هذا، وشوارع المدينة المليئة بالناس؛ أناسٌ ينتظرون أناسًا آخرين، وأشخاصٌ خرجوا لتناول الطعام معًا، وسيذهبون إلى مكانٍ ما معًا، ثم سيتّجهون إلى المنزل معًا. تركتُ أفكاري تستقرُّ على الأضواء التي تملأ قلبي ورئتَيّ، مضيّقةً عينيّ وأنا أكمل المشي، وأحسب أولئك الذين يلعبون هذه اللعبة، التي لن ألعبها أبدًا.

مررتُ ببوّابة التذاكر، وركبتُ القطار الذي هدر على القضبان حتى وصل إلى المحطّة. خرجتُ وصعدتُ السلالم وصولًا إلى الشارع، حيث شعرتُ بعودة التنميل في إصبع قدمي الكبير، مع حكّةٍ بسيطةٍ هذه المرّة. سرتُ إلى المنزل شاردة. فكّرتُ في الكتب التي تفحّصتها في المكتبة، وخطر لي

مكتبة ياسمين

أنها تمتلئ بأشياء يريد الناس قولها لناسٍ آخرين، أو أشياء يرغبون في أن يسمعوها من ناسٍ آخرين. هل يجب عليك الاختيار بين الحبّ والعلاقات؟ ألا يمكن الحصول عليهما معًا؟ هل يجب على المرء أن يختار بين أن يعيش حياته وحيدًا، أو أن يشاركها مع شخصٍ آخر؟ هل يجب على الإنسان أن يُنجب؟ ما هي المحاسن والمساوئ؟ ما الأشياء التي سيتوجّب على الإنسان أن يتخلّى عنها في حال اتّخاذه أيّ قرارٍ من هذه القرارات؟ وما الذي سيكسبه؟

هنالك بعض الناس الذين ينغمسون في هذه الأفكار يوميًا، مثل المرأة الشابّة التي رأيتها تقف عند الأرفف، تتبّع المسارات الموضّحة في هذه الكتب. تفعل أشياء لتصبح أكثر سعادة، لتصبح نسخةً أفضل من نفسها. أمام هؤلاء النساء الكثير من الاختيارات، والعديد من الإغراءات، وطبقاتٌ كثيرةٌ من المصادفات والحوادث، والاختياراتُ التي يتّخذنها ستغيّر لون حياتهنّ. تحيطهنّ الاحتماليّة.

بينما أتذكّر كلّ الأشياء التي كانت تقولها الكتب، وأتأمّل اللغة التي يختارون استخدامها، شعرتُ وكأنّ ذلك كلّه يؤلّف رسالةً سرّيّةً ستقودني إلى مكانٍ ما. أيّ مكانٍ إلّا هنا. وقفتُ وحيدةً عند بوّابةٍ سميكةٍ مصنوعةٍ من أكوام كتبٍ لها أغلفةٌ ملوّنة، ولا طريقة تسمح لي برؤية ما يوجد على الناحية الأخرى، أو إلى أين تقود، أو حتى ما الذي يمكنني أن أتوقّع العثور عليه هناك. ولم يكن هناك من يقودني بالطبع. كلُّ ما كنت أعرفه على وجه التأكيد هو ألّا علاقة لي بذلك المكان.

مكتبة ياسمين

بعد أسبوعٍ وصلتني رسالةٌ إلكترونيّةٌ من ميتسوتسوكا. كان هذا هو يوم الأحد الأخير في شهر تمَوز/يوليو.

***

«هذا الصيف حارَ، أليس كذلك؟».

يرتدي ميتسوتسوكا الملابس نفسها، ويجلس على المقعد نفسه في المقهى نفسه، حيث التقينا قبل أسبوعين.

كان جهاز التكييف يعمل على حرارةٍ منخفضة، إلى درجة أنّني شعرتُ في لحظةٍ ما كأنّ جلدي ينكمش. وضعتُ المنديل الذي كنت أستخدمه في مسح العرق عن جبيني جانبًا، وانتظرتُ حتى يتبخّر العرق المتبقّي. استغرقني الأمر ثانيةً حتى أنتبه وأعود إلى ما كان ميتسوتسوكا يسأل عنه. أجبتُ بأنّه صيفٌ حارٌّ بالفعل، ثم أومأتُ عدّة مرّات. لم أرَ المرأة التي كانت موجودةً في المرّة السابقة. حلّ محلّها رجلٌ أشيب الشعر، حليقه، بلحيةٍ سوداء كاملة. جاء إلينا ليأخذ طلبَينا: قهوةٌ لميتسوتسوكا، مثلها لي.

«هل كان الجوّ حارًا هكذا في الصيف الماضي؟».

سألته: «الصيف الماضي؟». لكنّني لم أستطع التذكّر، لذا توقّفتُ عن الكلام. في تلك اللحظات، بدا لي أنّني لا أعرف بصورةٍ مؤكّدةٍ ما إذا كان العام الماضي قد شهد صيفًا. ربّما كان السبب في ذلك هو كمّيّة الساكي التي احتسيتها قبل خروجي من

مكتبة ياسمين

المنزل.

سألته: «هل أنت في عطلةٍ صيفيّة؟».

«نعم. حتى شهر أيلول/سبتمبر».

«ويمكنك أن تفعل أيّ شيءٍ ترغب في فعله خلال هذه الإجازة؟».

قال ميتسوتسوكا: «أظنُّ ذلك»، ولكن بدا عليه التردّد بعض الشيء.

مثل المرّة السابقة تمامًا، كنّا أنا وهو الزبونين الوحيدين في المكان. خلال الصمت، أمكنني الاستماع إلى الموسيقى؛ بيانو يكرّر لحنًا شعرت بأنّني سمعته من قبل، وإن كنت جاهلةً تمامًا بالطبع ما هي هذه الأغنية.

خارج النافذة، كان العالم مُشعًّا بضوء الصيف. وإذا ضيّقتَ عينيك، وركّزتَ، يمكن أن تشعر بأنَّ هناك مسحوقًا ناعمًا خاصًّا مرشوشًا في الأنحاء.

لم أستطِع تبادل النظرات مع ميتسوتسوكا، لذا رمشت مرّةً تلو الأخرى، وحوّلت انتباهي إلى ضوء الصيف. ومع كلّ رمشة، كنت أحسّ بمشاعري وهي تحتلّ مساحةً جديدة، تنضج وهي تكبر. شعرت بالتّيه نتيجة إدراكي أنّني أعيش في المشهد نفسه الذي كنت أتخيّله، من دون انقطاع، قبل أن أغرق في النوم. قلبي ينبض بسرعةٍ تحت أذني.

سألني ميتسوتسوكا فجأة: «هل ستذهبين إلى أيّ مكانٍ هذا الصيف؟».

«لن أذهب إلى أيّ مكان».

مكتبة ياسمين

كان صوتي عاليًا وأنا أجيب، إلى درجة أنّ وجنتيّ احمرّتا خجلًا حين سمعتُ نفسي. فحاولت مرّةً أخرى، هذه المرّة بصوتٍ أخفض:

«لا. لا أظنّ ذلك».

سألني ميتسوتسوكا وهو يأخذ رشفة ماء: «حقًّا؟».

«ماذا عنك؟ هل لديك خطط؟».

«لا. لن أذهب إلى أيّ مكانٍ أنا أيضًا».

ابتسم ميتسوتسوكا وكأنّه لا يعرف ماذا يقول.

«هل هذا هو العاديّ بالنسبة لك».

«في الصيف؟».

«أها».

«أظنّ ذلك. لا أذهب إلى أيّ مكانٍ أبدًا».

«لا تُضطرّ للذهاب إلى المدرسة أثناء العطلة؟».

«كنت أذهب أثناء الصيف، حين كنت مشرفًا على أحد النوادي في السابق. لكنّني منذ أن تركت ذلك، أصبحت آخذ عطلةً صيفيّةً كاملة، مثلي مثل التلاميذ».

سألته: «ما الذي تقصده بالنادي؟»، بعد أن ابتلعت ريقي، لأخمد الحازوقة الآخذة في الظهور. ملأت رائحة الساكي النافذة فمي.

«تذوُّق كلاسيكيّ».

«تقصد الموسيقى الكلاسيكيّة؟».

«بالضبط».

مكتبة ياسمين

«هل تقصد أنّ النادي يجتمع في المدرسة أثناء الإجازة لتستمعوا إلى الموسيقى؟».

«لا يحدث هذا كلّ يوم، لكن نعم، إنّهم يذهبون إلى الحفلات عدّة مرّاتٍ في السنة، والمدرسة تملك استوديو صوتيًا مُجهّزًا، وهو ما نستخدمه في النادي. يقرأ الأولاد في موضوع النقد الموسيقيّ أيضًا، بل يحاولون كتابة شيءٍ في هذه المساحة».

«إذًا فأنت تحبُّ الموسيقى الكلاسيكيّة؟».

«حسنًا، لم أستمع إليها في السابق. كنت كبيرًا في السنّ، في الواقع، حين بدأت ذلك الأمر. لكنّني أتذكّر في مرّةٍ من المرّات، حين كنت طفلًا، أنّني أُعجبت للغاية بمقطوعةٍ لهورويتز أسمعني إيّاها أحد أصدقائي. لم أتعلّق بالأمر وقتها، لكن حين سمعت المزيد انتبهت إلى أنّ هذه الموسيقى جميلةٌ فعلًا، وبدأت أستمع إلى أشياء من هنا وهناك لفترة، في الحقيقة».

سعلت وسألته:

«إذًا فأنتَ تعرف الكثير عن...».

ضحك ميتسوتسوكا وقال:

«على العكس، لا أعرف أيّ شيء. ما نستمع إليه في النادي جديدٌ عليّ، مثلما هو جديدٌ على أسماع التلاميذ».

«حقًّا؟».

«بعد نحو ثلاثة أعوامٍ على إنشاء النادي، جاء إلى المدرسة مدرّسٌ جديدٌ يعرف الكثير عن هذا، لذا

مكتبة ياسمين

تركته يتولّى الأمور».

جاء إلينا الرجل الملتحي بالقهوة التي طلبناها. ارتطم كوبانا على صينيّةٍ فضّيّة، وضعها على الطاولة بيننا. حدّقنا في المشروبين أمامنا، وانتظرنا أن يرحل قبل أن نشرب.

سألته عندها: «هل لديك آلةٌ موسيقيّةٌ مفضّلة؟»، لكنّني ندمت على سؤالي، لأنّني لا أعرف أيّ شيءٍ عن الآلات الموسيقيّة في الحقيقة.

«أحبُّ البيانو».

كما هو متوقّع، لم أستطع التفكير في عازف بيانو واحد.

سألني ميتسوتسوكا: «وماذا عنكِ؟ هل تحبّين الموسيقى؟».

«لا أستمع إليها بصراحة. لا أظنّني فعلت».

«فهمت».

وكأنّ ما قلته أفسد المحادثة. عصرت مقبض كوبي بقوّةٍ كافيةٍ لتحويل إبهامي إلى اللون الأبيض، ورفعت الكوب إلى فمي لأشرب القليل من القهوة. نظرت إلى الأسفل للحظات، ثم أخذت جرعةً أخرى وأطلقت تنهيدة. ثم نظرت خارج النافذة، حيث كانت مجموعةٌ من الأطفال في المرحلة الإعداديّة، يرتدون قبّعاتٍ صفراء، ويضعون حقائب ظهر، ويعبرون الشارع عند إشارة المرور، وهم في حالةٍ من العبث والمرح.

«في طفولتي، كنت أشعر دائمًا بأنّ إجازات الصيف

مكتبة ياسمين

تستمرُ إلى الأبد».

لم أفكّر في الكلام قبل أن يخرج من فمي. حازوقةٌ أخرى، لكنّني قرّرتُ أن أحوّل انتباهي عن التفكير في ذلك. كنت أستطيع الاستماع إلى صوتي، ورغم ذلك لم يبدُ لي أنّني من أتحدّث. وصل الأطفال إلى الناحية الأخرى من ممرّ المشاة الأبيض، واختفوا في الشارع.

«حسنًا... بعض الناس يقولون إنّ الأمر يبدو كذلك للأطفال، لأنّهم حديثو عهدٍ بالدنيا ولم يمرّوا بخبرة الوقت بعد... لكن ليس هناك طريقةٌ لإثبات ذلك بالطبع».

«هل يعني ذلك أنّه كلّما عشنا أكثر، شعرنا بالوقت يمرُّ أسرع؟».

«أظنُّ ذلك. هذه هي الفكرة على الأقلّ».

«هل هذا نوعٌ من الفيزياء؟»

ضحك ميتسوتسوكا وقال:

«ربّما... هناك ارتباطٌ بالطبع، لكنّني أظنُّ أنّ العلاقة الأوثق هي تلك العلاقة التي تجمع بين الوقت والرياضيّات... هل يمكنني أن أسألكِ عن شيءٍ ما؟».

«بالطبع».

«كيف كنت في طفولتك؟».

حاولتُ أن أفهم تعبير ميتسوتسوكا وأنا أقول: «أنا؟»، ثم أكملت:

«طبيعيّة... هذا ما أظنّه».

مكتبة ياسمين

«هل كنت تلعبين في الخارج كثيرًا؟».

هززت رأسي.

«ممم. كنت أبقى في البيت عادة. دائمًا. ليس لأنّني تلميذةٌ نجيبة، أو أنّني كنت أحبّ القراءة، أو أيّ شيءٍ من هذا. لا أعرف بصراحةٍ ما الذي كنت أفعله، لكنّني أعرف جيّدًا أنّني كنت في البيت طيلة الوقت غالبًا».

«حقًّا؟».

«نعم. ولم أكن أحبّه أصلًا».

أخذتُ رشفةً من قهوتي. بردتْ قليلًا. أكملتُ:

«أظنّ أنّني كنت أقضي الكثير من وقتي في النوم. حقًّا. وقتٌ كثيرٌ يضيع وأنا نائمة، ربّما نصف اليوم، وكأنّه لا شيء. وعندما أستيقظ أشعر بألمٍ في رأسي من فرط النوم. لذا كنت أعود إلى النوم مرّةً أخرى».

ضحك ميتسوتسوكا.

«وحتى لو لم أكن نائمة... كنت أحبّ الجلوس فحسب، من دون فعل شيء. كنت أغمض عينيّ ببساطة. ولم أكن أفكّر في شيءٍ ما أيضًا. لم أكن أفكّر في أيّ شيءٍ على الإطلاق».

عندما أغمضتُ عينيّ وتنفّستُ من أنفي، شعرتُ برأسي وهي تدور، وشممتُ رائحة العشب الجافّ. نظرتُ إلى الخارج، نحو أضواء الليل الصيفيّة البيضاء التي تظهر في الحديقة. ذهبتُ إلى حجرتي، وبسرعةٍ شديدةٍ اختفى العالم بأكمله في ظلالٍ ناعمة. جسمي الصغير لا يزال جسم طفلة،

مكتبة ياسمين

مستلقيًا في الظلمة الزرقاء بلا حراك. وعلى الفور، لاحظتُ أنّ السيكادا التي تطنّ وهي تحيط بي أصابها الخوف وهربت، بينما يذوب نسيج التاتامي تحت أطراف أصابعي. حاولت إمساكه، لكنّ معالم جسمي بدأت بالتلاشي، ولمعت في قلبي صورةٌ لم أستطع نسيانها أبدًا. فتحت عينيّ ونظرت إلى ميتسوتسوكا.

«... في الحقيقة، تذكّرتُ شيئًا للتوّ. لقد قضيت وقتًا معتبرًا من حياتي آنذاك وأنا أسد».

«أسد؟».

نظر ميتسوتسوكا إليّ مرّةً أخرى وهو يرفع حاجبيه المتهدّلين. استدارت عيناه على الفور، فضحكت.

«عيناكَ أصبحتا مستديرتَين للغاية».

«حقًّا؟ حسنًا، كُرَتَا العينين مستديرتان على كلّ حال، لذا فليست عيناي أعجوبة. الأمر كلّه متعلّقٌ بمكان حاجبَيّ».

ابتسمت وقلت: «صحيح، لكنّهما استدارتا فجأةً هكذا».

سأل ميتسوتسوكا: «فعلًا؟»، وبدا عليه الخجل. شرب بعض الماء، وسألني: «إذًا... حينما قلت إنّك كنتِ تمضين الوقت كأسد، هل يعني ذلك الزئير كواحدٍ من الأسود؟».

وبينما هو يتحدّث، نظر إليّ وهو يمسح يديه بالفوطة المبلّلة.

مكتبة ياسمين

ضحكت:

«لا. لم أزار أبدًا. حدث هذا وأنا نائمة. أقصد أنّني كنت أنام مثل أيّ شخصٍ طبيعيَ، أو ربّما ليس كأيّ شخصٍ طبيعيَ. ما أقصده هو أنّ نومي طيلة الوقت جعلني أستطيع أن أرى أسدًا».

أومأ ميتسوتسوكا برأسه وقال: «أسد».

«نعم. لبؤة. جلدٌ عارٍ، بلا فرو، وهي في وسط السافانا. لا يوجد حولها إلّا الحشائش على امتداد النظر. وبين حينٍ وآخر، تهبُ الريح وتقطع تلك الحشائش وكأنّها موجةٌ خضراء. كان المنظر مسالمًا للغاية. ووسط ذلك كلّه، اللبؤة. بعد وقت صيدها بقليل، معدتها ممتلئة، وليس لديها ما تفعله. لا شيء على الإطلاق. لا خوف لديها، ولا قلق، ولا واجباتِ مدرسيّة، ولا أيّ نوعٍ من العمل. هذه الأشياء كلُّها هي أفكارٌ بشريّةٌ لا تعني لها أيّ شيء... جسمها قويّ، وقلبها كذلك. ولا يجرؤ أحدٌ على إزعاجها... تجري وسط الحشائس، تأكل حتى التُخمة، ثم تتكوّر تحت ظِلّ شجرة، وهناك تنام حتى تنفتح عيناها من جديد. أثر النسيم جميل، ورائحة الحشائش هي رائحة البيت. كلُّ شيءٍ هادئ، تضجُّ بالطاقة، مخالبها مملوءةٌ بالقوّة. لا تفكّر في شيء، تنام اليوم بأكمله... وفي نومها ينام عالم اللبؤة كلّه. لذا فهي تنام. تترك نفسها للنوم... ولا يحدث أيّ شيءٍ آخر. من دون فكرةٍ واحدة، نائمةً فحسب. وكأنّها حين تنام يصبح النوم والعالم شيئًا واحدًا. الشيء نفسه». لففت رأسي ورفْت عيناي ببطء.

مكتبة ياسمين

«هكذا كنت أنام وأنا طفلة».

بدا التفكير على وجه ميتسوتسوكا. ثم سأل فجأة، وكأنّ الفكرة خطرت له للتوّ، عمّا إذا كنت لا أزال أنام بهذه الطريقة.

قلت لا بالطبع، وضحكت. ضحكةً مختلّةً متقطّعةً خرجت من فمي، شعرت كأنّها أطلقت بعض المخاط. مسحته بسرعةٍ بإصبعي، لكنّني كنت مخطئةً لحسن الحظّ. في تلك اللحظات، كان الكحول قد بدأ تأثيره عليّ أكثر ممّا كان عليه الحال حين وصلت، وكأنّ حديثي يسمح له بالتسرّب إلى أعماقٍ جديدةٍ في جسدي. رأسي وجفناي ثقيلان، لكنّني شعرتُ بالخفّة والاسترخاء. وفضلًا عن ذلك، كنت قادرةً على الخروج من نفسي، والاستمتاع بالكامل بابتعادي عن مشاعر القلق المعتادة.

«لستُ لبؤةً هذه الأيّام. لا أصدّق أنّني نسيت كلّ شيءٍ عن هذا الأمر حتى الآن. وكأنّه لم يحدث أبدًا. أراهن أنّني لو لم أتحدّث معك عن هذا الموضوع لما تذكّرتُ أيّ شيء».

هززتُ رأسي ببطء.

قال ميتسوتسوكا: «وربّما لا». ثم اقترح، مناديًا إيّاي بالآنسة آيري مرّةً أخرى، أن أؤجّل شرب القهوة، وأشرب بعض الماء بدلًا من ذلك.

ابتسمتُ وقلت:

«لا، لا، أنا بخير».

ثم ابتسمتُ ابتسامةً أوسع.

مكتبة ياسمين

«للذاكرة ألاعيب غريبة، أليس كذلك؟ نتذكّر أشياء من دون مناسبة، لكنّ كثيرًا ممّا يحدث لا يخطر في بالنا بعد ذلك أبدًا».

«صحيح».

«وإذا كان هذا صحيحًا، فما هي الذاكرة إذًا؟».

هززت رأسي وعقدت ذراعَي، ثم أكملت:

«أعني أنّ هناك الكثير من الأشياء التي لن تتذكّرها أبدًا. أحيانًا تقفز ذكرى معيّنةً أمامك، رغم أنّ كلّ شيءٍ تقريبًا يضيع إلى الأبد. لكن ماذا لو كانت كلُّ الأشياء التي لا نستطيع تذكُّرها هي في الحقيقة الأهمّ من بين كلّ شيء؟».

في تلك اللحظة تصدّع في داخلي شيءٌ ما، وبدأت الضحك بصوتٍ عالٍ.

بمجرّد أن بدأت، لم أستطِع إجبار نفسي على التوقُّف عن الضحك، وأضحكني ذلك أكثر.

انتظر ميتسوتسوكا حتى انتهيت، ثم ابتسم.

قال: «أمرٌ غريب».

قلت: «فعلًا».

وابتسمت له.

تركنا المقهى، وسرنا معًا إلى المحطّة، كتفًا بكتف، مثل المرّة السابقة تمامًا.

الإسفلت يتلألأ. ضياؤه الغامر تركني في حالةٍ من عدم التركيز، وخفت أن أتعثّر. كنت قد أعددت ترموسًا جديدًا من الساكي وتركته في حقيبتي،

حتى أشرب المزيد بمجرّد أن يختفي تأثيره. لكن بدا لي أنّه لن تكون هناك حاجةٌ إلى ذلك. شعرتُ بحالةٍ من التناغم مع العالم، لو كان لشيءٍ كهذا وجود، وكأنّ صدري يستقبل الأفق، وكلّ شيءٍ أمامي ينتمي إليَ، يجتاحني ويخرج مني، بهدوءٍ وسهولة.

لو فردتُ يدي لأمكنها أن تمتدّ بسهولةٍ إلى الأبديّة. وبقدر ما شعرتُ بالخفّة الغامرة في جسدي كلّه، كانت قدماي تسقطان مباشرةً على الإسفلت المضيء بلا حدود. كنتُ أسير إلى جانب ميتسوتسوكا وأنا أشعر بذلك. السماء زرقاء، لكن بين الأبنية الممتدّة بعيدًا، وأعمدة الهاتف أمامنا، رأيتُ رأس سحابةٍ رعديّة، منتفخةٍ إلى درجة أنّها بدت مزيّفة، وكأنّها قد صُنِعت للتوّ من العدم. توقّفتُ وأشرتُ إليها.

«لا أصدّق ضخامتها!... ضخمةٌ للغاية!».

غطّى ميتسوتسوكا عينيه بيده، ونظر إلى السحابة فوقه للحظة، فبرز ذقنه إلى الخارج.

«انظر إلى هذا اللون الأزرق!».

«لونٌ أزرق؟».

كرّرتُ: «لونٌ أزرق. لونُ السماء»، وأنا أنطق كلّ مقطعٍ بوضوح.

قال ميتسوتسوكا بسرعةٍ وهو يهزّ رأسه موافقًا: «نعم. اللون الأزرق. طبعًا».

وقفنا في مكانينا لبعض الوقت، ننظر إلى كتلة

مكتبة ياسمين

السحاب الشاهقة. لو كان لخطوط السحاب الرشيقة أن تترك انطباعًا بأنّها مزيّفة، فإنّ زُرقة السماء حولها كانت مثاليّةً إلى درجة أنّها وتّرتني. لم يكن هناك أيّ تباين، ولا عمق، كما لو أنّ فوقنا قبّةً من أعتى لونٍ أزرق يمكن للمرء أن يتخيّله.

بعد فترةٍ من الوقت سألت ميتسوتسوكا: «لماذا السماء زرقاء؟ أقصد لماذا تبدو بهذه الزُرقة؟».

قال: «للأمر علاقةٌ بأطوال الموجات». ونظر إلى السحابة بينما تحمي يده عينيه، مثلما فعل سابقًا. ثم أكمل:

«كلّما كان طول الموجة أقصر، زاد تشتُّتها. الطول الموجيّ للّون الأزرق قصيرٌ جدًّا، لذا تبدو السماء شاسعةً وبعيدةً إلى هذه الدرجة».

نظرتُ إلى وجه ميتسوتسوكا، إلى النصف الذي استطعتُ رؤيته.

«ممم. لا أفهم ما تقول».

نظر إليّ وضحك بصوتٍ عالٍ، ثم قال:

«لا تفهمين؟ أسمع هذه الجملة كثيرًا».

حكّ أنفه.

«ضوء الشمس في الأساس ليس لونًا واحدًا، فهو يتكوّن من عددٍ لانهائيّ من نطاقات الألوان».

«لانهائيّ؟».

«صحيح. حسنًا، فلنفترض أنّ هذه الألوان المختلفة كلّها اندمجت مع بعضها البعض، لذا فلو

 مكتبة ياسمين

أنك في الفضاء الآن فلن يكون هناك شيء. ليس هناك شيءٌ بإمكانه الإمساك بالضوء. يستطيع شعاع الضوء أن ينطلق بجوارك تمامًا، لكنّ العين البشريّة غير قادرةٍ على الإمساك به. يمكننا رؤية الضوء حين ينعكس على شيءٍ ما فقط».

«لا يمكننا رؤية الضوء ذاته؟».

«صحيح. حينما نرى شيئًا ما، فالسبب في قدرتنا تلك هو أنّ الضوء يصطدم به. حتى أجزاء السماء التي تبدو خاليةً من أيّ شيء، مثل الغلاف الجويّ، تحتوي في الحقيقة على جزيئات. لذا، أظنُّ أنّ أبسط طريقةٍ للتعبير عن ذلك هي أنّ ما نراه هو ما ينعكس عن تلك الجزيئات».

«آها».

«أمّا عن الألوان، فهي تعتمد أيضًا على الأطوال الموجيّة. الأقصر يبدو أزرق بالنسبة لنا، والأطول يبدو أحمر. ومن بين كلّ الأضواء التي تصل إلينا من الشمس، فإنّ الأجزاء الزرقاء هي أكثر ما يتبعثر. وهذا هو السبب الذي يجعل اللون الأزرق يتنتشر إلى مساحاتٍ أبعد وأبعد، حتى تظهر السماء هائلة، مثلما تبدو الآن».

أسندتُ رأسي المشوّش بيدي، ونظرتُ إلى السماء بصمت. وللحظةٍ فعل ميتسوتسوكا المثل.

«... في الليل تتبعثر الأضواء الزرقاء أكثر، ما يسمح للأحمر بالسيطرة. هكذا نحصل على السماء التي نراها عند الغروب».

مكتبة ياسمين

«حين تقول إنّ الضوء يتشتّت، الأمر يشبه ما يحدث لطبقة الدهان حين تفرشها فتصبح أرفع؟».

«حسنًا... ليس بالضبط، لكن بطريقةٍ ما».

همهمت بكلماتٍ غير مفهومة، ونظرت نحو وجه ميتسوتسوكا مرّةً أخرى. يملك جفنًا مفردًا. وعند زكن إحدى عينيه، لاحظت وجود ندبةٍ صغيرةٍ لكنّها واضحة. الشعر بارزٌ عن أذنيه إلى الخارج قليلًا، وأمكنني رؤية آثارٍ للعرق على جانب رأسه.

أشار ميتسوتسوكا إلى شجرةٍ لم أعرف اسمها، ثمّة أعدادٌ منها مزروعةٌ على امتداد الرصيف، وقال لي:

«هاكِ مثالًا على اللون والانعكاس. هل ترين هذه الأوراق؟ بإمكاننا رؤيتها لأنّ الضوء يضربها. حسنًا؟ لكنّ السبب الذي يجعلها تبدو خضراء لنا، لو تحدّثنا بدرجةٍ من التبسيط، هو أنّ هذه الأوراق تمتصّ الألوان المختلفة التي تأتي من الشمس، باستثناء اللون الأخضر، وتعكس هذا اللون. لو أردنا أن نكون أكثر دقّة... فليس هناك ضوءٌ واحدٌ بعينه هو الذي ينعكس عن الأوراق... لكن... على كلّ حال، ترى أعيننا ما تبقّى بوصفه لونًا أخضر».

«إذًا فالأوراق تتشرّب الضوء؟ وكأنّها تمتصّه؟».

«بالفعل. ليست الأوراق فحسب. الأمر مختلفٌ في حالة الأشياء التي تُطلق ضوءها، مثل التلفاز أو شاشات الكومبيوتر، لكنّنا عندما نرى شيئًا يمتلك لونًا، فإنّ هذا اللون الذي نراه هو اللون الذي لم يُمتصّ».

مكتبة ياسمين

هززت رأسي وأنا أقول: «آآآه».

نظر ميتسوتسوكا إلى وجهي مباشرة.

«إذًا، فببساطة، اللون الذي نراه هو ما تبقّى».

«بالضبط».

قلتُ بمجرّد أن خطرت لي الفكرة: «يبدو الأمر مثل الكتب».

سألني ميتسوتسوكا: «مثل الكتب؟».

«... مثل... لا يوجد هناك كتابٌ مثاليّ، يخلو من الأخطاء. هناك دائمًا خطأ ما يختبئ في مكانٍ ما».

«دائمًا؟».

ضحكتُ وأنا أقول: «دائمًا»، ثم أكملت:

«الكتب مليئةٌ بالأخطاء، إلى درجةٍ تجعلني أفكّر أحيانًا بأنّ سبب وجودها الوحيد هو تمرير جينات تلك الأخطاء من جيلٍ إلى آخر».

«حقًّا؟».

«بالطبع. هناك نقطةٌ يصل إليها المرء، ويصبح عليه فيها أن يتوقّف عن البحث. عليكَ أن تتجاوز الأمر. لكنّ الأخطاء موجودة. دائمًا».

«متى تكتشفين ذلك؟».

«عاجلًا أو آجلًا».

«إذًا فالأخطاء غير موجودةٍ حتى تجدينها...».

أومأت برأسي ببطء، ثم قلت:

«صحيح».

مكتبة ياسمين

بدا على ميتسوتسوكا التفكير العميق وهو يقول:

«غريب... البحث المستمرّ عن الأخطاء بهذه الطريقة... ألا تشعرين بالإنهاك بعض الشيء؟ الاستمرار في البحث عن شيءٍ قرّرتِ أنّه موجودٌ بكلّ تأكيد، في حين أنّكِ لا تستطيعين وضع يدك عليه بصورةٍ يقينيّة؟».

ابتسمتُ وأنا أميل برأسي جانبًا، وقلت: «سؤالٌ جميل... هل يُنهكني ذلك؟... ربّما. لا أعرف. يصعب عليّ القول. هل جعلتُ الأمر يبدو كذلك؟».

أجاب: «لا. أظنُّ أنّ الطبيعيّ عادةً هو أن يَهِبَ الإنسان نفسه للبحث عن شيء، قد يكون موجودًا أو غير موجود، في وقتٍ يُخبر فيه نفسه بأنّه هناك بالتأكيد... أظنُّ أنّ ما فكّرتُ فيه... ما دام ما تبحثين عنه ليس حقيقةً محوريّةً أو إجابةً صحيحة، وإنّما أخطاءً وزلّات... لا بدّ أنّ هذا صعب... الأمر مثيرٌ للتأمّل بالنسبة لي».

ضحكت: «أتقصد أنّه يبدو يائسًا؟».

قال ميتسوتسوكا إنّه لا يقصد ذلك.

هززتُ رأسي وقلت: «من يدري؟... هذا هو ما أفعله، هذا فحسب، ولفترةٍ طويلةٍ من الزمن. لم أغد أعرف حتى طريقة فعل أشياء أخرى».

خيّم الصمت علينا، لكنّه انكسر بصوت أجراسٍ تقترب بسرعة، بينما تمرُّ عدّة دراجاتٍ هوائيّةٍ بيننا على الرصيف. قفزتُ وابتعدتُ عن طريقها، لكنّني تعثّرتُ وفقدتُ إحساسي بالاتّجاهات، وبالكاد

مكتبة ياسمين

سقطت على بعض النباتات. سألني ميتسوتسوكا إذا ما كنت بخير. انحنيت وقلت إنّني على ما يُرام.

قال ميتسوسوكا بعد فترةٍ من الصمت: «كنت تسألين إذا ما كان ذلك يبدو يائسًا. ولكن لو كان ما تهدفين إليه هو إنتاج كتاب، فبهذا المعنى يتوجّب عليك التمشك بشيءٍ ما، الأمل مثلًا، أو ما يشبه ذلك».

نظرت إلى ميتسوتسوكا. ثمّة حرقةٌ في عينيَ، وكأنّني على وشك البكاء. أطلق طائرٌ ما زقزقةً مبتورةً من مكانٍ بعيد. لم أكن قد سمعت هذا الصوت من قبل.

وكأنّ ذلك كان إشارةً لنا من نوعٍ ما، صمتنا أنا وهو فجأة. وبعد مرور لحظة، بدأنا المشي. تخلّفت قليلًا عنه، سائرةً خلفه، لكنّني إلى جانبه بعض الشيء، ليكون باستطاعتي إلقاء نظرةٍ على ظهره، مثل المرّة السابقة تمامًا، بينما أضع قدمًا أمام الأخرى. ألقيت نظرةً على كعب حذائه البالي، إلى المواضع التي بَلِيَت في حقيبته، إلى الطريقة التي يسير بها، شكل كتفيه، وطول عنقه. وبعد مرور القليل من الوقت، وصلنا إلى المحطّة.

من دون أن نتبادل كلمة، اشترينا التذكرتين، وعبرنا بوّابة التذاكر، ثم سرنا نحو الأدراج. ولكن قبل أن يذهب كلٌّ منّا في اتّجاهٍ مختلفٍ عن الآخر، أخرج ميتسوتسوكا كتابًا من حقيبته، وكأنّه تذكّر ذلك للتوّ، وقدّمه إليّ.

«كدت أنسى. عليّ أن أعطيك هذا الكتاب، وإلّا

مكتبة ياسمين

سيكون لقاؤنا اليوم بلا فائدة». عدّل ميتسوتسوكا حزام حقيبته وهو يمسك بالكتاب، ثم أكمل:

«هذا هو الكتاب الذي أرسلتُ لك رسالة إلكترونيّةً بشأنه. كتابٌ جميل. قلت أنّك تحبّين الضوء... لذا».

أخذتُ الكتاب. كان سميكًا بعض الشيء، وملفوفًا بكيسٍ بلاستيكيٍّ شفّاف. بعد أن نظرتُ إلى الغلاف، وضعته بعنايةٍ داخل حقيبتي، وشكرته على إعارتي إيّاه.

«لا. احتفظي به رجاء. عندي نسخةٌ أخرى».

أومأ ميتسوتسوكا بلطف، ثم رفع يديه مودّعًا، وقال: «أراكِ قريبًا». ثم استدار وسار مبتعدًا، متوجّهًا إلى الدّرج مباشرة، مثلما فعل في المرّة السابقة تمامًا. نظرتُ إلى ظهره وهو يبتعد، بتركيزٍ أكبر على شكله من الخلف؛ كيف يثني أطراف بنطاله البيج كاشفًا عن جوارب بيضاء، وكتفه الأيسر المائل قليلًا حتى لَيبدو وكأنّه منحنٍ إلى ناحيةٍ بعينها، النتوء الغريب لسترة البولو فوق حزام البنطال. أثناء صعوده الدّرج، نظر ميتسوتسوكا في اتّجاهي وحرّك رأسه بإيماءةٍ بسيطة، لكنّه اختفى عند المنعطف قبل أن أبادله الإيماء.

بقيتُ واقفةً في مكاني بعد فترةٍ من ذهابه، مثلما فعلتُ في المرّة السابقة، عيناي على الحائط الأبيض المتّسخ عند قاعدة الدّرج. بعد فترةٍ بسيطةٍ سمعتُ صوتًا من ميكروفون المحطّة يعلن وصول قطار، متبوعًا بصوت صفّارةٍ محمومةٍ تعلن مغادرة قطارٍ آخر، وأصوات خطواتٍ تأتي من جهة الأدراج. حتى

بعد مغادرة قطار ميتسوتسوكا للمحطّة بقيتُ واقفةً في مكاني، أنظر من دون تركيزٍ إلى الحائط الذي لم يُظهِر لي أيّ شيء، بغضّ النظر عن الفترة التي بقيتُ أنظر فيها إليه.

***

يوم الاثنين التالي لمهرجان أوبون، اتّصلت بي هيجيري.

«هذه أوّل إجازةٍ حقيقيّةٍ أحظى بها منذ سنين».

ضحكت هيجيري وسألتني بصوتٍ مرحٍ عن أحوالي.

«أنا بخير».

«أنا سعيدةٌ لأنّني استطعتُ أخذ قسطٍ من الراحة أخيرًا. لكنّ أوبون مهرجانٌ مجنون. كلُّ مكانٍ تذهبين إليه مزدحمٌ وباهظ التكلفة. أسوأ بكثيرٍ ممّا توقّعت. لن أكرّر ذلك في العام القادم».

أمضت هيجيري خمس ليالٍ وستّة أيّامٍ في كو ساموي.

«تايلند، صحيح؟».

«نعم. اضطررتُ لأخذ طيّارةٍ أخرى بعد وصولي إلى بانكوك. ظننتُ أنّهما تقعان بالقرب من بعضهما البعض، لكنّها كانت بعيدةً في الواقع».

«واو».

«لا أعرف. أظنُّ أنّه مكانٌ لطيفٌ يذهب إليه المرء للتسكّع وعدم فعل شيء».

مكتبة ياسمين

سمعتُ هيجيري تتثاءب بصوتٍ خفيض.

رغبتُ في سؤالها عمّا إذا كانت قد ذهبت وحدها، لكنّ شيئًا منعني. وبدلًا من ذلك، تركتُ هيجيري تخبرني بكلّ شيءٍ عن الفيل الذي ركبته، وعن العلاجات التجميليّة التي حصلت عليها في كو ساموي.

«قبل الإجازة، كنت أعمل أصلًا على كتابٍ تقع أحداثه في تايلاند. رواية. كان في الكتاب الكثير من الأشياء الكئيبة، والتي تتعلّق بالفيلة في أغلب الأحيان. لستُ من نوع الأشخاص الذين يهتمُّون بهذه الأمور، ولستُ كذلك من النوع الذي يذهب إلى تايلاند ليركب فيلًا. صدّقيني. لم تكن هذه فكرتي، لكنّ الرجل الذي كنت معه قال إنّه يرغب في فعل ذلك. لذا فقد فعلناه. وكان الأمر جنونيًا. كان المدرّب يلكز أذن الفيل بقضيبٍ حادٍّ ليتحكّم فيه. يُملي عليه أين يذهب، ويحدّد السرعة التي يسير فيها. أعرف أنّ الفِيَلة تملك جلدًا قاسيًا، لذا فلا أعرف بالضبط كم كان الأمر يضايقه، لكنّ الفيل نزف بالتأكيد. ليس الأمر أنّ لدى الأفيال قدرةً على الحديث معنا عن مشاعرها، أو حتى الاستفادة مباشرةً من المال الذي يرميه السيّاح الأغبياء من أمثالنا، لكنّني أؤكّد لك أنّني... بمجرّد أن امتطيتُ هذا الشيء، شعرتُ بالاشمئزاز».

«وكأنّ ما يحدث أكثر من اللازم؟».

ردّت هيجيري: «نوعًا ما»، ثم تنهّدت.

«ما أقصده هو أنّني لستُ في موضعٍ يسمح لي

بقول أيّ شيء، ليس بعدما أنفقنا ما يربو على ثروة صغيرةٍ لركوب فيلٍ والتجؤل في الأنحاء، من دون سببٍ حقيقيٍّ يدعونا إلى فعل ذلك».

«إذًا... لماذا كان الشخص الذي ذهبتِ معه يرغب في ركوب فيل؟».

«ليتني أعرف. ربّما ظنّ أنّ الأمر سيكون ممتعًا. ربّما فكّر في أنّ ذلك سيكون وسيلة لـ... لا أعرف... تخليد ذكرى تلك اللحظة. لا بدّ أنّ ذلك هو السبب. إنّه من نوع الأشخاص الذين يرون الجانب المشرق من كلّ شيء. انتظري. لحظة. أنا لا أحاول القول إنّني روحٌ حسّاسةٌ إلى هذه الدرجة، غارقةٌ في أفكاري العميقة. لكن هناك نوعٌ من البشر... متفائلون بالفطرة. لا يفكّرون في أيّ شيءٍ سلبيّ. لا أعرف حتى من أين تأتي هذه الإيجابيّة غير المحدودة. أظنّ أنّ بعض الناس يولدون بها. هكذا هو الأمر مع ذلك الشخص. ما أريد أن أقوله... هو أنّ كون الإنسان هكذا ربّما هو أفضل من أن يكون قلقًا من كلّ شيء، مهما كان تافهًا».

أخذتُ نَفَسًا، ثم سألتها:

«هل مضى على علاقتكما وقتٌ طويل؟».

بدا على هيجيري الدهشة، ثم ضحكت وقالت:

«ها؟ لا. لسنا معًا. ليس الأمر كذلك».

قلت: «حسنًا»، ثم صمتّ. تثاءبت هيجيري مرّةً أخرى، وأخبرتني بأنّها لا تكاد تكتفي من النوم هذه الأيّام، مهما طال وقت نومها، ورغم أنّها تعافت من

مكتبة ياسمين

اختلاف التوقيت الآن. بعد تنهيدة، بدأت تحكي لي عن القريدس هائل الحجم إلى درجةٍ لا تُصدّق، الذي أكلته حيث كانت تُقيم، وكم كان رخيصًا، وكيف حضّروه.

«لماذا لم تواعديه إذًا؟».

سألتها هذا السؤال بطريقةٍ عرضيّة، وكأنّني لا أبالي، ملقيةً إيّاه في الوقت المناسب.

بدا على هيجيري التشكُّك وهي تقول: «مَن؟ الرجل؟ لا أعرف... لا أشعر بهذه الأشياء نحوه».

«فعلًا؟».

«نعم».

«إذًا... ما شعوركِ نحوه؟».

رفعتُ الهاتف إلى أذني، وسِرتُ إلى المطبخ حيث فتحتُ الثلّاجة، وأخرجتُ عبوة بيرة وشربتُ نصفها وأنا واقفة.

«شعوري نحوه؟... حسنًا... هو يعجبني. لكنّني لا أقصد أنّه يعجبني بالطريقة التي تفهمينها. في هذا العمر، لا أستطيع أن أرى أيّة علاقةٍ تبدأ بهذا النوع من المشاعر، صدقًا، أو تنشأ بين شخصين يقولان إنّهما معجبان ببعضهما البعض. في العادة، ينخرط الناس في العلاقات قبل أن يتحدّثوا عن مشاعرهم. أقصد... هذه هي الطريقة الوحيدة. لماذا نُتعب أنفسنا بالتظاهر بأنّنا مراهقون، ونقطع تلك الوعود الكبيرة كلّها؟ وبالطبع ليست مسألة ما إذا كانت العلاقة حصريّةً أمرًا مهمًا، إن كنت تفكّرين في

مكتبة ياسمين

الزواج أو شيءٍ كهذا. لكنّ عدم التورّط الكامل في الإعجاب بشخصٍ ما هو أمرٌ ممتعٌ في الحقيقة».

«ممتعٌ... بأيّ طريقة؟».

« بشتّى الطرق... بإمكانكِ أن تكوني كريمة».

«كريمة؟».

«أعرف. من أنا؟ صحيح؟ ما أقصده هو... أنك لا تُحاصرين بكلّ تلك الأشياء المزعجة. حين يكون الأمر للمتعة فحسب، من النادر أن يُصاب أيّ إنسانٍ بالأذى. بإمكانكِ التركيز على قضاء وقتٍ ممتعٍ مع بعضكما البعض».

«لكنّكِ لا تُقابلين أحدًا في الوقت الحاليّ، صحيح؟».

بدا على هيجيري الاستمتاع وهي تسأل: «ها! ماذا بكِ اليوم؟ لا أظنّني سمعتكِ تتحدّثين بهذه الطريقة أبدًا. هل حدث شيء؟».

ضغطتُ على العبوة، واكتشفتُ أنّه لا يزال فيها بعض البيرة. قلتُ لها إنّه لم يحدث شيء. ثم جلستُ على الكنبة، قبل أن أبدّل وضع الهاتف إلى يدي اليسرى.

قالت هيجيري: «على أيّة حال، بالنسبة لي، لم أعد أعرف ما الذي يعنيه أن يكون الإنسان مع شخصٍ آخر. ومن ناحيةٍ أخرى، حتى لو شعرتُ نحو إنسانٍ ما بهذه الأشياء، فمسألة التواصل معه هي مسألةٌ أخرى تمامًا».

«التواصل؟».

مكتبة ياسمين

أخذت هيجيري شهيقًا.

«لا بأس بأن يُعجب الإنسان بإنسانٍ آخر، لكنّ هذا لا يعني أنّ الآخر سيبادله المشاعر ذاتها. وليس بالضرورة أن يكون فعل هذا الشيء أمرًا جيّدًا، أو أيّ شيءٍ من هذا القبيل. لكن ربّما ليس هناك ما يعيب في أن يُعجب الإنسان بإنسانٍ آخر على هذا النحو. أن يتورّط في الأمر بصورةٍ ما».

فكّرتُ فيما قالته هيجيري، ووقفتُ من دون سبب. ثم عدتُ لأجلس على الكنبة.

قالت هيجيري:

«لا أعرف ما إذا كان بإمكاننا أن نَصِفَ أربعة وثلاثين عامًا بالوقت الطويل، لكن لو أنّ هناك شيئًا واحدًا قد تعلّمته في حياتي حتى الآن، فهو ألّا نأخذ الأشياء بجدّيّةٍ بشكلٍ عامّ».

«بشكلٍ عامّ؟».

«صحيح. طالما تعيشين على هذا الكوكب، فعليكِ أن تكوني جادّةً فيما يتعلّق بشيءٍ ما. لكن من الأفضل أن تكون الأشياء التي تتعاملين معها بجدّيّةٍ محدودة العدد».

ضحكت هيجيري للحظة، ثم أضافت أنّها تعرف أنّ هذا الكلام قديم، وأنّ الناس يقولون مثله منذ قديم الأزل، لكنّها تظنّ أنّ هناك جانبًا من الحقيقة فيه. تابعت:

«شخصيًا، عندي الكثير من الأشياء التي أفضّل التركيز عليها بدلًا من أمور الرومانسيّة والحُب.

مكتبة ياسمين

وأعرف أنّ قول ذلك قد يبدو لك غباء، لكن ما الذي يعنيه أن يُعجب شخصٌ بشخصٍ ما أصلًا؟».

تمتمث بإجابةٍ مُبهمة، ثم وضعث عبوة البيرة على الأرض، وأومأث برأسي.

أكملث هيجيري: «بالنسبة لي، لا يقتصر الأمر على الإعجاب. أنا، بكلّ صدق، لم أفهم مشاعري أبدًا».

«مشاعركِ؟».

«نعم».

«أفكّر كثيرًا في المدّة التي انقضت وأنا على هذه الحال، ولا أستطيع أن أتذكّر. ليس الأمر أنّني أحاول... لكن حينما يتعلّق الأمر بالمشاعر، العواطف، الأمزجة، هذه الأشياء كلُّها، أصبح عاجزةً بالكامل عن إدراك متى ينتهي ما يخصُّني، ومتى يبدأ ما يخصُّ الآخرين».

التقطث العبوة الفارغة، ورفعتُها إلى فمي. عضضث بلطفٍ على الحافّة، بينما أستمع إلى هيجيري وهي تتحدّث.

«لا أعرف. أظنُّ أنّني أشعر بالسعادة أحيانًا، أو الحزن، أو القلق... أو أغرق في مشاهدة شيءٍ ما على التلفاز، أو أُعجب بطعم قريديس عملاقٍ مثلًا، أيًا كان. لكنّني في أحيان أخرى، أتساءل إن كانت هذه الأفكار أو المشاعر قد جاءت من أشياء أقرأها في العمل. حين أتأثّر بشيءٍ ما، أعجز عن الجزم بما إن كنث أشعر بالفعل بما أشعر به. ماذا لو أنّ تلك المشاعر هي مجرّد شيءٍ كتبه أحدهم في كتاب؟

مكتبة ياسمين

أو ربّما هو سطر، أو أداء ممثّلٍ في فيلم؟... في كلّ الأحوال، ينتابني ذلك الشعور، وكأنّني أقتبس عمل شخصٍ آخر».

«تقتبسين؟».

«نعم. وكأنّ تلك المشاعر لا تخصُّني».

«تقصدين أنّها لا تبدو حقيقيّة؟».

«ليس هذا بالضبط. الأمر مختلف. إنّها تبدو لي حقيقيّةً بالكامل. هذا هو ما يجعل الأمر كلّه سخيفًا. إنّها تبدو لي حقيقيّةً على كلّ المستويات. يُربكني ذلك تمامًا. لكنّني لا أستطيع قبولها، ليس بصورةٍ كاملةٍ على الأقلّ. الأمر أقرب إلى أنّني في كلّ مرّةٍ أبدأ فيها التفكير بشيءٍ ما، أو الشعور بشيءٍ ما، تظهر تلك الأسئلة الغبيّة لتعبث برأسي. ما أن تتحرّك مشاعري، أو أيّ شيءٍ آخر كهذا، يصبح عالمي فارغًا، وكأنّ هناك ما يستولي عليّ بالكامل. ثم أبدأ التشكيك في كلّ شيء، مثل: ماذا لو كانت حياتي بأكملها مجرّد اقتباسٍ من شخصٍ آخر، وأنّني لم أنتبه إلى ذلك من قبل؟ هذه هي الأماكن التي يذهب إليها دماغي».

أومأت برأسي.

«أقصد أنّني أشعر كأنّني لا أملك شيئًا، وأنّني أخذت الشيء الذي لديّ من مكانٍ ما، بل أفكّر أحيانًا بأنّني سرقته. حالتي ميؤوسٌ منها، أعرف ذلك».

ضحكت هيجيري، ثم أكملت:

«أمّا حين يتعلّق الأمر بالحبّ، حيث سلاحنا

الوحيد هنا هو مشاعرنا، صحيح؟ فما الحال إذًا والأساس الذي تبنين عليه متهاوٍ بالكامل؟ في هذه الحالة، لا يوجد أيّ أملٍ في أن أدخل علاقةً جادّةً مع أيّ شخص».

«أنتِ جادّةٌ بشأن عملك، رغم ذلك كلّه... صحيح؟».

«طبعًا. أعرف بالطبع أنّه قد يبدو وكأنّ العمل يتعلّق بالعلاقات الشخصيّة بين الناس، لكن في الحقيقة لا علاقة للعمل بالناس إطلاقًا. الأمر كلّه مسألة بنية. مواقف. يُصيبني العمل بالجنون أحيانًا، لكنّني لا أسمح لذلك بأن يترك في نفسي أثرًا. أعرف أنّني أشتكي كثيرًا بخصوص هذا الأمر، لكنّني حائط طوب. لا شيء يؤثّر فيّ، أبدًا. وصدّقيني، فكرة أنّني سرقتُ تلك الطريقة التي أشعر بها تجاه عملي مرّت برأسي هي الأخرى. لا بُدّ أنّني التقطتها من مكانٍ ما، أنا متأكّدة. أشعر بأنّ ذلك هو السبب الذي يجعل العمل بالنسبة لي المكان الوحيد الذي أسمح فيه لنفسي بأن أكون جادّة. لا يمكن للإنسان أن يتعامل مع كلّ شيءٍ في حياته بالطريقة نفسها، سيكون هذا جنونًا محضًا. بالنسبة لي، العمل هو الشيء الوحيد الذي يجب عليّ فعله. وهذا الهراء الذي تحدّثنا عنه من قبل... نعم... هذا النوع من الأشياء يُغضبني. يُغضبني إلى درجةٍ لا يمكن تخيّلها. لكنّ هذا الغضب، حسنًا، هو مشكلتي. وفي الوقت نفسه، فهو ليس كذلك. وهذا هو السبب الذي يجعلني أتصالح مع احتمال أن تكون مشاعري كلّها منحولة، والسبب الذي سيخلق مشكلةً لو لم تكن هذه هي الحال، لأنّني أحتاج إلى أن تكون مشاعري

مكتبة ياسمين

منحولةً على هذه الشاكلة التي وصفتُها لك. فبهذه الطريقة يمكنني الاستمرار في الغضب، لأنّ الغضب الذي أشعر به هو تحديدًا غضب شخصٍ آخر، وهياج شخصٍ آخر، ومشاعر شخصٍ آخر».

«أتقصدين... شيئًا مثل... غضبٌ من أجل الحقّ؟ ردُّ فعلٍ عاطفيٌ على ما ترينه أمرًا غير أخلاقيّ؟».

قلتُ ذلك بينما أتحرّك نحو الثلّاجة. بعد تفكيرٍ استمرّ لحظة، قرّرتُ ألّا آخذ بيرة أخرى، وبدلًا من ذلك أخذتُ زجاجةً صغيرةً من الساكي لفتت نظري. أملتُ كتفي لأضع الهاتف بينه وبين أذني، ثم فتحتُ غطاء الزجاجة وأخذتُ رشفة.

ضحكت هيجيري، وقالت: «على الإطلاق... الفقاعة الصغيرة التي أعيش فيها مشرقةٌ ومريحة، إلى درجةٍ يصعب معها أن أشعر بأيّ شيءٍ له علاقةٌ بذلك. أقصد أنّه، بعد كلّ ما قلته، أظنّ أنّ الأمر يتعلّق بفكرةٍ بسيطة... بغضّ النظر عمّن يملك تلك المشاعر في الأصل، فأنا لا أحبُّها فحسب. هذا كلُّ شيء».

استكملت هيجيري حديثها عن الرجل الذي ذهبت معه في الرحلة، وكيف أنّ كلّ شيءٍ كان جميلًا مشرقًا، لكنّها كانت تجد باستمرارٍ أشياء جديدةً تضايقها فيه، وقالت إنّها ستنفصل عنه قريبًا على الأغلب. عندها آخرون سواه... تمارس الجنس معهم أو تخرج لتناول الطعام، لكن يخطر لها الآن أنّ هذه الأشياء ليست مهمّةً على كلّ حال. عادت من الإجازة لتجد فوضى عارمةً تنتظرها: اختلافٌ في

مكتبة ياسمين

وجهات النظر بين مؤلِف ومدقِّق.

كنت أستمع إلى هيجيري وهي تتحدّث، وأستعيد شكل ميتسوتسوكا من الخلف، وهو يدفع نفسه عبر البوّابة المعدنيّة الدوّارة، ويتّجه نحو الدّرج. ثم أغمضت عينيَ، وحاولت أن أتخيّل وجهه. تذكّرت التجاعيد التي تنتشر فيه، الطيّة العميقة في ركني عينيه، الندبة الصغيرة. ثم فكّرت في صوته، الذي لم يكن مرتفعًا أو منخفضًا، ولا يميّزه شيء. حين فكّرت في ميتسوتسوكا، كانت هذه الأشياء الثلاثة هي أقصى ما استطعت الوصول إليه، رغم كلّ محاولاتي للبحث في ذاكرتي.

كانت هيجيري تُكمل حديثها، حين خطرت لي فكرة. لم أكن أعرف أيّ شيءٍ عن ميتسوتسوكا. لا أعرف عمره، أو اسمه الأوّل، أو أين يعيش... وما إذا كنت سأراه مرّةً أخرى.

مكتبة ياسمين

- 6 -

مارست الجنس للمرّة الأولى في عامي الأخير بالمدرسة الثانويّة. كان معظم تلاميذ مدرستي متوسّطي المستوى. أطفالٌ أداؤهم الدراسيّ ليس جيّدًا بالمطلق، وليس سيئًا بالمطلق. ومنذ عمرٍ مبكّر، كنت أجد صعوبةً دائمًا في التواجد وسط مجموعة، أو الاختلاط بالناس. ما يعني أنّه لم يكن لي أعداء، ولكنّه جعل تكوين الصداقات أمرًا صعبًا عليّ كذلك.

في ذلك العام، تزاملث أنا ونوريكو هاياكاوا في فصلٍ واحد.

لم أكن أراها في القطار إلّا وحيدة، تقرأ في كتاب، وترتدي جوارب بيضاء فاتحة، تظهر من تحت تنّورتها التي تبدو ثقيلة. كنت أراها طيلة الوقت، لكنّنا لم نتحدّث أبدًا، رغم أنّني شعرث بالفضول نحوها، بحقيبتها المدرسيّة، كحليّة اللون، التي تضعها عند قدميها، والتي تخلو من أيٍّ من سلاسل المفاتيح البرّاقة ذات الصوت المعدنيّ، التي كانت تحظى بشعبيّةٍ كبيرةٍ عند الفتيات الأخريات.

بعد أن أصبحنا في الفصل نفسه، بدأنا الحديث قليلًا حين كنّا نرى بعضنا في القطار أو داخل المحطّة. ولم يمرّ وقتٌ طويل، ومن دون أن نناقش ذلك، حتى أصبحنا نركب القطار معًا، ذهابًا إلى المدرسة وعودةً منها. صوت نوريكو خفيض، يهتزُّ بنبرةٍ محيّرة، وكأنّه يطير في مهبّ الريح. أخبرتني بأنّها بسبب ذلك، ولأنّها منذ كانت صغيرةً تتعرّض

مكتبة ياسمين

للكثير من المضايقات، فقد أصبحت خجولًا لا تحبّ الحديث.

قالت لي وهي تضحك: «الأصوات مهمّة».

«لكن... لا أعرف. ليس سيئًا مثلما تظنّين».

«بالطبع. هو أفضل الآن على الأقلّ. حين كنت صغيرة كان أسوأ بكثير... بكثير. وكأنّني كنت أتنفّس الكلمات بدلًا من نطقها. بدوث غريبة الأطوار حقًّا».

سألتها: «هل سبق لكِ الغناء؟».

ابتسمث نوريكو ابتسامةً غريبة.

«الغناء هو آخر شيءٍ قد أفعله... لا أعرف كيفيّة فعل ذلك حتى. لا أعرف من أين أبدأ. لم أحاول أبدًا».

قلث مصدومة: «أبدًا؟».

«نعم. حتى في حصص الموسيقى».

بينما كانت تتحدّث، وضعث نوريكو شعرها خلف أذنها، بعيدًا عن خدّها، ثم أكملت:

«أنا متأكّدةٌ من أنّ حبالي الصوتيّة مشوّهة».

مع تمايل القطار من جانبٍ إلى آخر، تخيّلث حبال نوريكو الصوتيّة الصغيرة، داخل صدرها، تحت ياقة قميصها الأبيض. لكنّني لم أملك أيّة فكرةٍ عن الشكل الذي يُفترض بالحبال الصوتيّة أن تبدو عليه، أو أين تقع حتى.

كانت نوريكو طفلةً وحيدة، تدير عائلتها مصنعًا

مكتبة ياسمين

كبيرًا، يصنعون فيه الكنزات. قالت لي إنّها تساعد في العمل أحيانًا؛ تصمّم زقع الحيوانات الصغيرة التي يضيفونها إلى الكنزات على سبيل التزيين. أرتني عددًا من الرسومات في دفترها. الكثير والكثير من المخلوقات ذات الآذان الغريبة، التي رُسِمت بقلم رصاصٍ رفيع الرأس. وكانت الصفحات رماديّةً متّسخة، كأنّها تعرّضت للدّعك باستخدام ممسحة.

قالت لي نوريكو:

«زبائننا في العادة من السيّدات العجائز. هنّ من يشترين الكنزات... في الحقيقة، هُنّ فقط من يشتريها. هل تعرفين سلاسل المتاجر الكبيرة التي تضمُّ أقسامًا فيها أكوامٌ من الملابس؟ نحن من يصنع الكنزات التي ترينها هناك».

«حقًّا؟».

«نعم. المبيعات جيّدةٌ كذلك. والكنزات التي تحمل علامةً من نوعٍ ما هي أكثر ما يُباع، أكثر بمراحل من الكنزات السادة. تفصيلٌ طفيفٌ مثل هذا كافٍ لجعل تلك السيّدات يشعرن بأنّهنّ يحصلن على شيءٍ مميّز».

«تصميماتك جميلةٌ جدًّا. أنا فاشلةٌ في الرسم».

قلت ذلك وأنا أعنيه. لكنّ نوريكو نظرت إلى الصفحات المفتوحة من دفترها وتنهّدت، ثم ابتسمت قليلًا.

«ليس الأمر بهذه الأهمّيّة، أيّ شيءٍ سيؤدّي

مكتبة ياسمين

الغرض. فأرٌ ربّما، أو نمر، أو قطّة. المطلوب فقط أن يكون لطيفًا ومنفوشًا. لا يكلّف أحدٌ خاطره للنظر كي يرى ما هو نوع الحيوان. لا أحد يهتمُّ فعلًا».

«حقًّا؟».

«نعم. لذا أمزج كلّ شيء، وأرسم ما أريد. أرنبٌ أو قطّةٌ أو نمرٌ أو حصانٌ أو خروف... لأنّ الناتج النهائي يبدو كأنّه خليطٌ من هذا كلّه».

نظرتُ إلى الدفتر وقلت: «يبدو هذا صعبًا في الحقيقة».

قضينا بعض الوقت ونحن ننظر إلى وجوه الحيوانات التي رسمتها. يملك كلُّ واحدٍ منها الشريطة الصغيرة ذاتها حول عنقه.

«ستُدهشين بصراحةٍ لو عرفتِ كم كنزةً نبيع. كم كنزةً لديكِ أنتِ؟».

«ليس لديّ الكثير. اثنتان ربّما».

«كافٍ. بطريقةٍ ما، يستمرُّ الناس في شراء كنزاتنا. هذا جنون. كلّ يومٍ هناك شخصٌ ما يشتري واحدة. وعند هذه النقطة، يستحيل أن يكون هناك شخصٌ ما لا يملك واحدةً من كنزاتنا. أقصد... يحدث هذا كلّ أسبوع. أرى تلك الشحنة العملاقة وهي تغادر المصنع، وكأنّها جبلٌ من الكنزات. يجعلني ذلك أغرق في التفكير. الأمر مذهل. أكوامٌ وأكوامٌ من الكنزات. كلُّها على شكل النصف العلويّ من الجسم، وعليها بطاقات السعر... تُحمل إلى مكانٍ ما، وتوضع في واجهات العرض، ثم يشتريها أحدهم ويأخذها إلى

مكتبة ياسمين

المنزل، لتصبح جزءًا من ملابسه. شخص لا أعرف عنه أيّ شيء. يصعب عليّ فهم ذلك».

قلت: «نعم»، وأومأت برأسي.

ضحكت نوريكو وقالت:

«لكنّ هذه الكنزات هي التي سمحت لأبويّ بتربيتي. استطاعت عائلتي تحقيق شيءٍ ما بفضل سلسلة البشر التي تذهب إلى المحالّ لتشتري هذه الكنزات الرخيصة، التي تحمل رسمةً لحيواناتٍ بلهاء».

قلت وأنا أضحك:

«أراهن أنّ أمّي تملك واحدة».

ضحكت هيجيري بدورها، وقالت: «في المرّة القادمة التي ترينها مرتدية كنزةً ما، تأكّدي إن كانت تحمل رقعة حيوان».

«أفهم أنّ الأمور تكون مزدحمةً في الشتاء، لكن ماذا عن الصيف؟».

خطَر السؤال في بالي فجأة، وسألته مباشرةً من دون تفكير. لكنّ نوريكو نظرت إليّ وكأنّني مجنونة.

«كنزاتٌ صيفيّة. يعشق الناس الكنزات الصيفيّة».

بعد فترةٍ من ذلك، أعطتني نوريكو كنزةً كحليّةً تحمل رقعة قطّة. اهتزّ صوتها وهي تقول لي: «عندي واحدةٌ مثلها»، وابتسمت. فكّرت في شيءٍ أعطيها إيّاه بالمقابل، واستقرّيت في النهاية على قصّاصة أظافر، وجدتها في محلٍّ صغيرٍ داخل الحيّ الذي أسكن فيه. عندما كان الجوّ يبرد، كنت

مكتبة ياسمين

أرتدي هذه الكنزة فوق القميص، بل أرتديها أحيانًا حين أذهب إلى المدرسة. ارتديث هذه الكنزة لفترةٍ طويلةٍ بعد التخرّج، حتى بعد أن توقّفنا أنا ونوريكو عن رؤية بعضنا. لكن حتى عندما كنّا نتسكّع معًا، لم نكن نتقابل خارج المدرسة، أو نذهب إلى أيّ مكانٍ معًا. الأوقات الوحيدة التي كنّا نقضيها برفقة بعضنا البعض كانت قبل مواعيد المدرسة وبعدها. لم نكن نتحدّث أبدًا عن أيّ شيءٍ له معنى. لكنّ نوريكو كانت الشخص الأوّل الذي أعتبره صديقي. هذا ما كانت تعنيه بالنسبة لي.

في أحد الأيّام بعد المدرسة، خرجتُ مسرعةً من الحصّة الأخيرة لألحق بنوريكو عند البوّابة، وأثناء ذلك كدتُ أصدم ميزونو برأسي. كان معي في الفصل، وفي صفّ الخطّ كذلك، لكنّنا بالكاد كنّا نتحدّث إلى بعضنا البعض. أتذكّر ذلك على الأقلّ.

آسفة. قلتُ له بسرعة. وكدتُ أكمل سيري، لولا أنّني سمعتُ ميزونو يقول شيئًا ما خلف ظهري. لم أكن متأكّدةً ممّا قاله، لذا بقيتُ واقفةً حتى سمعتُه يقول مرّةً أخرى: «هل انسحبتِ؟». وبما أنّنا لم نكن قد تحدّثنا من قبل، فلم أعرف ما الذي يتحدّث عنه بالضبط، أو كيف أردّ. لذا بقيتُ واقفةً عند الباب، من دون أن أقول شيئًا.

قال وهو ينظر إليّ: «النادي».

مع بداية سنتي الدراسيّة الأخيرة، وبعد عامين من عضويّةٍ فاترة، توقّفتُ عن الذهاب إلى نادي الخطّ. لم يكن هناك سببٌ محدّد. توقّفتُ فحسب. كثيرٌ من

مكتبة ياسمين

التلاميذ جاءوا وذهبوا حين كنتُ هناك، ولم يبدِ أيَّ اهتمامٍ على المشرف أو الأعضاء الآخرين. لم أكن أتخيّل أنّ هناك من سينتبه إلى غيابي، لذا حين لاحظتُ أنّ ميزونو كان يتحدّث عن النادي، شعرتُ باستغراب.

أومأتُ برأسي وقلت: «نعم».

ردّ: «حسن». ثم دخل قاعة الصف.

كان ميزونو صامتًا على الدوام. بالكاد يتحدّث أو يعبّر عن عواطفه. لم أرَه يبتسم أبدًا، ولم يكن من النوع الذي يعبث مع الأولاد، أو يتصرّف بطريقةٍ غير لائقة. وخلال فترات الراحة بين الدروس، كنت أراه جالسًا في طرف حُجرة الدراسة على الدوام، يتحدّث مع فتى آخر له طوله وحجمه نفسهما. لكنّ هذا لا يعني أنّه كان يجلس وحده دائمًا، أو أنّه لم يكن محبوبًا من قِبل الصبيان الآخرين. الأمر وما فيه أنّه كان من نوع الأولاد الذين قد يحضرون إلى الفصل كلّ يوم، أو يختفون لمدّة شهرٍ كامل، من دون أن يهتمّ أحدٌ بذلك. بعبارةٍ أخرى، كان يشبهني أنا ونوريكو.

في إحدى الليالي، بعد حوالى الشهر من حديث ميزونو معي أثناء خروجي من قاعة الدرس، اتّصل بي على الهاتف. لحُسن الحظّ كنت بالقرب من الهاتف حين رنّ. أصبتُ بالدهشة نفسها التي أصابتني حين تحدّث معي أوّل مرّة، لكنّني تماسكتُ بسرعة. حوّلتُ المكالمة إلى الهاتف اللاسلكي، ثم أغلقتُ الخطّ الرئيسيّ وذهبتُ إلى حُجرتي. قال

مكتبة ياسمين

على الفور إنّه ليس لديه شيء محدّد يرغب في قوله، لكنّه رأى رقمي في ملفّ الفصل وقرّر أن يتّصل.

لم تكن قد تسنّت لي الفرصة من قبل لأفكّر في صوته، وكنتُ قد نسيت شكله بصراحة. لكنّ الصوت الذي جاء عبر السمّاعة بدا لي عميقًا بصورةٍ غريبة، ومُبهمًا، وكأنّ من يتحدّث على الطرف الآخر من الخطّ ليس زميلي في الصف فعلًا، بل شخصًا آخر لم أقابله في حياتي من قبل. أشعرتني المكالمة المفاجئة بالقلق الشديد، ووجدتُ صعوبةً في تكوين الكلمات. لم يقُل ميزونو شيئًا تقريبًا. وبعد فترةٍ طويلةٍ من الصمت، طويلةٍ إلى درجة أنّني شعرتُ بأنّها ستستمرّ إلى الأبد، أخبرني ميزونو عن يومه. حضر جلسةً تعريفيّةً في إحدى الجامعات. وفي المحطّة بجوار الكلّيّة، رأى أستاذ الرياضيّات الذي كان يُدرّسه، والذي نُقِل إلى مدرسةٍ أخرى في العام السابق كما يبدو. جلستُ على السجّادة، وأسندتُ ظهري إلى الحائط، وبدأتُ أردّ باستجاباتٍ مُبهمةٍ على امتداد المحادثة، التي استمرّتْ عشر دقائق. قال ميزونو إنّه سيذهب. قلتُ لا بأس. وبينما أنتظر أن يقول شيئًا آخر، كان قد أغلق الخطّ بالفعل.

بعد ذلك، بدأ ميزونو يتّصل بي هاتفيًا مرّةً في الأسبوع تقريبًا.

من دون أن نحدّد موعدًا، أصبحنا نتحدّث في ليالي الأربعاء، عند الساعة الثامنة. كنت أقف دائمًا بجوار الهاتف لأردّ بسرعة. في البداية، لم يكن أيٌّ

مكتبة ياسمين

منّا يقول أيّ شيء، لفتراتٍ طويلةٍ من الوقت. ولكن بعد أن أصبحنا أكثر راحةً قلّت فترات الصمت. ورغم أنّه لم يكن لدينا مواضيع محدّدةٌ للحديث فيها، فقد بدأنا نتبادل الدعابات خلال المحادثة، بل نتشارك الضحك. سريعًا ما وجدث نفسي أنتظر مكالماته. وبعد قرابة الثلاثة شهورٍ بداْث أحسّ بحميميّة معه، تختلف عمّا كنث أحسّ به تجاه نوريكو.

أمّا في المدرسة، فلم يكن ميزونو يُظهِر أبدًا ما يدلّ على أنّ شيئًا كهذا يحدث بيننا.

في اتّصالاتنا، يتحدّث ميزونو عن الأغاني التي يحبّها، أو الروايات التي قرأها، وكنت أسمعه. لكنّني حين أراه في المدرسة، لم يكن ينظر إليّ مباشرة، ناهيك عن الحديث معي. يمكنني القول إنّ سلوكه هذا كان السلوك المعتاد منه، إذا وضعث في الاعتبار أنّ هذه كانت طريقته قبل أن نبدأ حديثنا على الهاتف. لكنّ الحقيقة هي أنّ علاقتنا قد تغيّرت، مهما كان صِغر هذا التغيير، ما جعلني أشك في أنّ لديه دوافع خفيّة. من دون انقطاع، كان يتّصل بي كلّ ليلة أربعاء، ما أشعرني بأقصى درجات الارتباك.

لم أخبر نوريكو أبدًا بخصوص محادثاتي مع ميزونو عبر الهاتف.

ليس الأمر أنّني وعدث ألّا أقول شيئًا، ولكن راودني شعورٌ بأنّ ميزونو سينزعج لو اكتشف أنّني أخبرث أحدًا. وبالإضافة إلى ذلك، لم نتحدّث أنا ونوريكو عن الصبيان من قبل أبدًا. لذا احتفظث

مكتبة ياسمين

بالأمر لنفسي.

حتى في العطلات الصيفيّة، كان يتّصل بي وكأنّ شيئًا لم يتغيّر. وظلّ ميزونو هو من يتّصل بي. لم أتّصل به أبدًا في أيّة مرّة. وقرابة نهاية شهر آب/أغسطس، ذهبتُ إلى منزله في النهاية. قال لي إنّه عثر أخيرًا على نسخةٍ من أسطوانةٍ نادرة، وإنّه يريدني أن أسمعها.

ركبتُ حافلتين، ووصلتُ إلى محطّةٍ لم أسمع بها من قبل. عندما تحرّكت الحافلة، أدركتُ فجأةً كم ابتعدتُ عن البيت، ما جعلني أشعر بالقليل من قِلّة الحيلة. نظرتُ إلى الساعة على الحائط المتشقّق في محطّة الحافلات، وفكّرتُ بأنّه لا تزال أمامي خمس عشرة دقيقةً قبل أن يصل هو. لذا جلستُ على أحد المقاعد ذات الطلاء المتقشّر، وانتظرتُ وصول ميزونو. تركني الركّاب الآخرون وغادروا المحطّة في اتّجاهاتٍ مختلفة، ولم يبقَ أحدٌ حولي.

حوض الزهور بالقرب من المحطّة، الدرّاجات المتروكة، الإسلفت الذي تحوّل لونه إلى الأبيض الحليبيّ تحت ضوء الشمس العنيف، والمشهد بأكمله مُتوّجٌ بأزيز السيكادا.

لم تكن هناك سحابةٌ واحدةٌ في سماء آب/أغسطس. كانت صافيةً إلى درجة أنّ النظر إليها يكاد يكون مؤلمًا.

جالسةً في مكاني، مُحاطةً بالسماء الزرقاء والبياض، شعرتُ كأنّ شعورًا بالاكتئاب بدأ يتسرّب إليّ. شعورٌ ومضَ عبر جسدي، يخبرني بأن أترك أمر

مكتبة ياسمين

ميزونو هذا، وآخذ أقرب حافلةٍ إلى البيت. لكنّني فكّرث بأنّه في طريقه إلى هنا غالبًا. استدرث إلى ظهر المقعد، وأسندث كوعي إلى المسند الخلفيّ. ثم أغمضتُ عينَيّ، ووضعتُ راحة يدي على جبيني، وأنا أشعر برأسي تثقل، وتثقل.

سمعتُ صوتًا فنظرت. ميزونو، يقف على مقربة. يرتدي بنطالًا لونه بيج، وسترة بولو بيضاء، عليها بقعةٌ كبيرةٌ مستديرةٌ عند الصدر، بدت تحت الضوء كثقبٍ مفتوحٍ باتّساع. كانت هذه هي المرّة الأولى التي أراه فيها خارج المدرسة. بدا غريبًا من دون زيّ المدرسة التقليديّ. رجلٌ لم ألتقِ به في حياتي. لكنّ وجهه كان كالمعتاد. ميزونو الذي أعرفه من مدرستي. عظامُ وَجنةٍ بارزةٌ قليلًا، وجفنٌ فرديّ، وذقنٌ مدبّبةٌ بعض الشيء. كان الشعر الذي يُحيط بجبينه مبلّلًا بالعرق للغاية، حتى تجعّد. «آيري». سمعتُ ميزونو ينادي عليّ باسمي، فقفزتُ مباشرةً على قدمَيّ. بدا أقصر من العادة.

مشينا في شارعٍ قصير، كانت أغلب واجهات العرض فيه مغلقة. حكى لي ميزونو عن بعض المحالّ. هنا نُظهّرُ الصور. مكتبة بيع الكتب هذه يملكها والدا طفلٍ يذهب إلى المدرسة معنا، في الصفّ المتوسّط. سرنا تحت ضوء الشمس الذي يزداد حدّة، ساقطًا من دون عائقٍ علينا من أعلى نقطةٍ في السماء. كنت أردّ بإجاباتٍ قصيرةٍ توحي بأنّني أسمعه. حرارةٌ تجعل العين تضيق، مثلما يحدث في الظلام. قدماي متعرّقتان ولزجتان في الصندل بصورةٍ مقرفة.

مكتبة ياسمين

بعد مرور حوالى عشر دقائق من المشي في مناطق سكنيّة، انتهى الرصيف مفسحًا المجال لطريقٍ ترابيّةٍ تميل إلى الأعلى قليلًا. رأيث مزارًا مقدّسًا إلى اليمين، وعددث الظلال الزرقاء للأشجار الهائلة التي سقطت على الأرض حولنا ونحن نسير. ثم مشينا تحت أضواء إشارات مرور، بدت في غير محلّها بصورةٍ غريبة، وعبرنا جسرًا من الحجر فوق مصرف ريٍ، قادنا إلى منطقةٍ مفتوحةٍ من المزارع والدفيئات. وهنا أشار ميزونو إلى الأمام، وقال إنّ بيته يقع هناك.

يعيش ميزونو في بيتٍ من طابقين، ترى منه كلّ ما يحيط به. في مقدّمة المنزل بوّابةٌ صغيرةٌ مزخرفة، تحيطها أصص وردٍ من مختلف الأشكال والأحجام، في بعضها زهورٌ متفتّحة، وفي البعض الآخر عشبٌ ميت، أو ترابٌ فحسب. فتح ميزونو البوّابة وعَبَرَ إلى الداخل، فخطوث وراءه.

أغلقث الباب خلفي، فغرق البيت في ظلمةٍ كاملة، وتطلّب الأمر بعض الوقت حتى اعتادث عيناي غياب الضوء. طلب منّي ميزونو الصعود إلى الطابق العلويّ، ثم فتح بابًا قريبًا من المدخل، وغاب في ردهة. وجدث صعوبةً في فكّ إبزيم الصندل، الذي كان عالقًا على غير العادة. ركّزث حركة أطراف أصابعي، ثم انحنيث وحاولث أن أجد المشبك. لكنّ ذلك جعل العرق المتصبّب من جسمي يتحرّك في اتّجاهٍ معاكس، متجهًا بقوّةٍ إلى وجهي، وسقطت قطراتٌ من العرق عن طرف أنفي فوق الأرضيّة،

مكتبة ياسمين

مُحدِثةً بقعًا ملتوية.

في غرفة ميزونو بالطابق العلويّ، وجدتُ خزانة كتبٍ كبيرةً ومكتب دراسة، موضوعَين بمحاذاة خزانةٍ منخفضة. على النافذة ستائر كريميّة اللّون. كانت الحُجرة صغيرةً، لكنّها مرتّبة. على المكتب عدّة قواميس، تقع بين مساند الكتب، وكوبٌ فيه أقلام رصاص، بجواره منبّهٌ كبيرٌ فضّيُ اللّون موضوعٌ بعناية. جلستُ على وسادةٍ موضوعةٍ على الأرض، جلبها لي ميزونو من الحُجرة الأخرى. لكنّ ميزونو نفسه جلس على الكرسيّ المقابل للمكتب وهو يشرب الموغيشا (شراب الشعير). سمعتُ قعقعة الثلج في الكوب، وكان هذا هو الصوت الوحيد في الغرفة. المنزل بأكمله صامتٌ تمامًا، من دون أدنى صوت. ومن الواضح أنّه لا يوجد أحدٌ غيرنا. غرفته تشعُّ برائحة منزلٍ غريبٍ وحرارته. كنت أعرق بلا توقُّف، ونسيج فستاني المصنوع من البوليستر يعلق بمؤخُرة ظهري وفخذيّ. لم أرَ مكيّفًا في الجدار، لذا سألته إذا كان بإمكاني استعارة ملفٍّ أو شيءٍ كهذا لأستعمله كمروحة. مرّر ميزونو يده عبر الستائر ثم فتح النافذة، وناولني مروحةً دائريّةً كانت موضوعةً على خزانة الكتب.

بعد فترةٍ قصيرةٍ من الوقت، سحب ميزونو صندوق ورقٍ مقوًى من تحت المكتب، وأخرج الأسطوانات التي أراد أن يريني إيّاها. وبينما كنت أنظر إلى الغلاف، المملوء بتجمُّعاتٍ ممّا يُشبه الحروف الهيروغليفيّة، حرّك ميزونو يده ليمرِّر أصابعه على التصميمات، شارحًا لي كيف أنّ هذه

مكتبة ياسمين

الألبومات تُعتبر عناصر مهمّة عند هواة جمع هذه الأشياء. أخبرني بحماسٍ عن الموسيقيّين، وهم من الأرجنتين، ونوع الموسيقى التي يعزفونها. لم أستطِع التركيز. كنت متوتّرةً وأشعر بالحرّ، ومشتّتة بالرائحة الحامضة الخافتة التي تخرج مع أنفاسي، ما صعّب عليّ الحديث. لكنّني استمرّيت في إعطاء ردودٍ قصيرة.

أنهى ميزونو فكرته، وارتشف من الموغيشا، وأخذ نفَسًا. ثم نزع الأسطوانة من غلافها، ووضعها برفقٍ في الفونوغراف، وخفض الإبرة. لم تكن عندي أدنى فكرةٍ عن نوع هذه الموسيقى، لكنّها كانت مُربكة. أنغامٌ ثقيلةٌ تخرج من آلةٍ وَتريّة مثل جدار موجٍ في الليل، نشأ من تداخل الأصوات. ومن وقتٍ إلى آخر يظهر صوت صرير، وكأنْ شخصًا يدوس مكابح عجلةٍ صدئة. ومع مرور الوقت أصبح العزف أغرب فأغرب. لم تكن هناك أغنية ولا لحن. وبعد عدّة دقائق من الاستماع نظرتُ إلى ميزونو، الذي بدا عليه الاندماج الكامل مع الموسيقى، جالسًا على كرسيّه معقود الذراعين.

وبينما أستمع إلى هذه الضوضاء التي يطلق عليها اسم الموسيقى، نظرتُ إلى الأسفل نحو الزغب في السجّادة التي وضعتُ عليها يدي وحقيبتي. تخيّلتُ كرةً أرضيّةً في المسافة التي تفصلني عن السجّادة. أخذتُ وقتي في الإبحار في مختلف المحيطات. وجدتُ أميركا الجنوبيّة، وعندها عملتُ على تحرير الإسفين الذي يشبه الأرجنتين، وكأنّني أنزع قطعة بازل من مكانها، أقلبها، ثم أضعها داخل دول أخرى،

مكتبة ياسمين

أو قاراتٍ أخرى، أو حتى أغرقها في مسطّحاتٍ مائيّةٍ لا أعرف أسماءها، مرّةً تلو الأخرى تلو الأخرى.

توقّفتِ الموسيقى فجأة. سألني ميزونو عن رأيي، فهززتُ رأسي عدّة مرّاتٍ فقط.

استمعنا إلى الألبوم كاملًا، الوجهين، عدّة مرّات. تحدّث ميزونو عن خططه لما بعد التخرّج، وأنّه سيدخل امتحانات القبول في بعض جامعات طوكيو. ثم أراني مجموعةً من المصادر وامتحانات التدريب، التي يستخدمونها في المدرسة التحضيريّة التي كان يذهب إليها في السنوات الماضية. وبعد فترةٍ من الوقت، نظر إليّ وسألني عمّا سأفعله حين تنتهي الدراسة.

«... أظنّني سأذهب إلى الجامعة. لكنّني لم أحسم قراري بعد».

«أليس الوقت متأخّرًا من أجل اتّخاذ القرارات الآن؟».

«نعم».

«هل ستذهبين إلى مكانٍ ما في ناغويا، إن كنتِ ستذهبين؟».

«... أظنّ أنّني غير قادرةٍ على تخيّل نفسي في طوكيو. أقصد أنّ أغلب الناس هنا ممّن يذهبون إلى الجامعة يختارون أماكن ما في ناغويا. لكن لا أحد يذهب إلى طوكيو تقريبًا».

بعد فترة صمتٍ قال ميزونو: «لا أعرف... لا أطيق ناغويا. كلّ الطلّاب في مدرستنا يحصلون على

مكتبة ياسمين

الدرجات نفسها تقريبًا، لذا فكلُ هذه المدارس ستمتلئ بوجوهٍ مألوفة. سأذهب إلى أيّ مكانٍ باستثناء ناغويا. ليس الأمر أنّ هناك مكانًا محددًا أرغب في الذهاب إليه، أو شيئًا أريد أن أفعله حقًا، لذا فلا أظنُ أنه يهمُّ أين سأذهب، طالما أنّني لا أعرف أحدًا هناك. أمضيث بالفعل ثمانية عشر عامًا وأنا محبوسٌ هنا».

نظر ميزونو إلى يديه بعمق، ثم أكمل:

«سئمتُ من هذه البلدة الصغيرة، ومن الطريقة التي يتعامل بها الناس».

لم أعرف بماذا أردّ، لذا صمتّ. ألقيتُ نظرةً على الساعة فوق المكتب، ورأيتُ أنّ الوقت يقترب من الثالثة.

«ما يهمُني أنّني سأتخلّص من كلّ هذه الأشياء المحكوم عليّ بها».

لم يرفع ميزونو نظره عن يديه وهو يقول هذه الكلمات. أشعّة الشمس تخترق الستائر وتُنير جسمه من الخلف، بينما يغرق وجهه في الظلّ.

«لم أختر أيّ شيءٍ من هذا. لم أختر عائلتي، أو منزلي، أو أبويّ، أو مدرستي. هذه المدينة تعجُّ بأشياء لم أرغب فيها أبدًا. لكنّ كلّ الناس هنا يحملون على وجوههم تعابير فارغة، وكأنّهم يرتدون أقنعةً متطابقةً أو شيئًا كهذا. الأمر يرعبني. يخلط الناس هنا بين الملل والركود، وبين الأمان والسلامة. أقسم لك إنّ كلّ الناس هنا عبارةٌ عن بقر. يمضون في قطيعٍ ويخورون، يأكلون العشب وينامون، ثم

مكتبة ياسمين

ينجبون. ويبدأ كلُّ شيءٍ دورته من جديد. يمضي الناس أعمارهم بالكامل على هذا الشكل، من دون أن يفكّروا حتى. يُرعبني ذلك. حين أذهب إلى طوكيو، سأغيّر كلّ شيءٍ داخل نفسي. ربّما أغيّر اسمي أيضًا».

كرّرتُ في رأسي ما قاله ميزونو للتوّ. ينسكب الضوء على السجّادة، ويتحرّك قليلًا نحو مركز الغرفة. لونه أقوى الآن بصورةٍ ما، أكبر.

«لهذا أحتاج إلى الخروج من هنا، كي أستطيع عيش حياتي بشروطي، وبالطريقة التي أختارها. سأذهب إلى مكانٍ لا أعرف فيه أحدًا، ولا أحدَ فيه يعرفني، وأصنع حياةً حقيقيّةً لنفسي، وكأنّ حياتي الحقيقيّة لم تبدأ بعد أصلًا».

شرب ميزونو ما تبقّى في كأسه، وأطلق تنهيدةً طويلة. ولدقيقةٍ جلسنا من دون أن نقول شيئًا.

بعد فترةٍ قلت: «أتمنّى أن تحقّق ما تريد في طوكيو».

تبع ذلك فترةٌ أخرى من الصمت المرتبك. ثم نهض ميزونو فجأةً من مكانه، وجلس بجواري على الأرض.

جفلت من السرعة التي حدث بها ذلك، ثم تراجعت مرّةً أخرى، وكأنّني أؤدّي ما يشبه الحركة الراقصة. وفي أثناء ذلك شددتُ جزءًا من السجّادة، ثم ضحكت.

ضحك ميزونو هو الاخر، وسألني: «ما الذي

مكتبة ياسمين

يضحكك؟».

هززتُ رأسي وقلت: «لا شيء. لم يكن هذا ضحكًا. كنت فقط... أصدِر أصواتًا».

بدا على ميزونو الجدّيّة فجأة، وقال على وقع أنفاسه المسموعة: «حسنًا». بعد لحظات، وضع ذراعه حول كتفي. تشنّج جسدي كلّه، وكأنّني ضُرِبت. سحبتُ قدميّ بشكلٍ جانبيّ، وابتعدتُ وأنا أغطّي ركبتيّ بطرف فستاني. تكوّرتُ وأنا أبتعد عنه وأرفع كتفيّ. ولفترةٍ من الوقت بقينا على هذه الحال، من دون أن يتحرّك أيٌّ منّا.

أمضينا فترةً طويلةً في هذا الوضع غير الطبيعيّ، ولم أعُد أعرف كم من الوقت مرّ بالفعل. أردتُ أن أبتعد، أن أُبعِدَ ذراع ميزونو وألتمس عذرًا ما. أن أخبره مثلًا بأنّني مضطرّةٌ لاستخدام الحمّام، ثم أرحل من هنا. لكنّ محاولة الوصول إلى قرارٍ بشأن ما أفعله جعلتني متوتّرة. كدتُ أسمع صوت جسمي يتصدّع وهو ينكمش، حتى وصلتُ إلى مرحلةٍ لم أعُد متأكّدةً فيها أيّ عضلةٍ سأحتاج إلى تحريكها لأجعل ذراعيّ وساقيّ تفعل ما أريدها أن تفعله. كان شعورًا غريبًا، كما لو أنّ صميم جسمي كان ملويًا بإحكامٍ إلى أقصى درجةٍ يمكن أن يتحمّلها الجسم البشريّ، أو كما لو كنت أتهشّم إلى قطع.

أمكنني سماع صوت تنفُّس ميزونو عبر أنفه. وكان الصوت يعلو مع الوقت، ولكنّني جلستُ ثابتةً تمامًا، وأنا أحتضن ركبتيّ، وأضغط إحدى أذنيّ على ذراعي لأبتعد عن رطوبة أنفاسه.

مكتبة ياسمين

بعد فترةٍ وجيزةٍ كنت أطفو في مكانٍ ما فوق زاوية الغرفة مباشرة، أحدّق في كلينا، وفي الجدران الأربعة التي تضمُّنا. بدا وكأنّ تسلسل الأحداث هو جزءٌ من حلمٍ زارني دائمًا، حيث تحاصرني صورةٌ لنفسي، لسببٍ لا أعرفه.

رفع ميزونو ذراعه عن كتفي، ولفّ يديه حول فكّي، ثم أمال وجهي، ونظر مباشرةً في عينيَ. نظرتُ إليه بدوري، وخطَر لي أنني لم أر في حياتي وجه شخصٍ من هذا القُرب. ولسببٍ ما، بدا وكأنّه على وشك الابتسام، ما جعلني غير واثقةٍ إلى أيّ جزءٍ من وجهه ينبغي أن أنظر. الجرح الصغير تحت أنفه، مسامه التي تنضح قطراتٍ من العرق تبدو بطريقةٍ غريبةٍ ثلاثيّة الأبعاد، ثم رائحة النَّفَس الحامضة، التي لم أكن أعرف إن كانت منه أو منّي.

أمسكني من رسغي ودفعني إلى الخلف، ثم أصبح فوقي وتوزّع ثقل جسده على كامل جسدي، ثم ضغط بشفتيه على جانب عنقي. بعدها قرّب وجهه من وجهي، وقبّلني عدّة مرّاتٍ على شفتَيَ. شعرتُ بنفسي أنجرف، وأنا أراقب جسمي ينضغط ويتقلّص مع بقية الغرفة، بينما يجثم ميزونو فوقي بجسمه. نسخة نفسي في تلك الغرفة كانت مسطّحة بصورةٍ مروّعة، وتخلو من أيّ عمق. ليس أكثر من رسمةٍ على قطعةٍ من الكرتون. تجوّلت يدا ميزونو على فستاني، ثم وضع يده بين فخذيَ، وببطءٍ تحرّك إلى الأعلى حتى لمس لباسي الداخليَ. سمعتُ نفسي أقول لا، لكنّ تأثير ذلك في ميزونو اقتصر على جعل أنفاسه أعلى، بينما

مكتبة ياسمين

يتحرّك إلى الأعلى والأسفل، ويهزُّ رأسه. يده، التي وضعها على مؤخّرتي، تحت لباسي الداخليّ، كانت ترتجف. أغمضتُ عينيّ مرعوبةً من النظر إليه. قلتُ لا ثانيةً، لكن بدا أنّه لا يستطيع سماعي. سحب لباسي الداخليّ إلى الأسفل حتى ركبتيّ، ثم دفعه إلى كاحليّ مستخدمًا كعبه، مُحرّرًا إحدى فتحتيه من قدمي. نزع بنطاله، ووضع نفسه بين ساقيّ المفتوحتين. وبعد لحظة، شعرتُ بأنّه يدسّ رأس قضيبه فيّ. قلتُ لا، مرّةً أخرى، والتويتُ بعيدًا عنه وأنا أدفع كتفيه مستخدمةً كوعَيّ. لكنّه لم يتوقّف. لم يكن متأكّدًا أين يُدخله بالضبط، وكان عليه التأكُّد من ذلك أكثر من مرّة، من خلال التبديل بين إصبعه وقضيبه. ثم حاول أن يجرّب جالسًا، لكنْ أيًّا من ذلك لم يُفلح. مرّةً تلو الأخرى، مرّر أصابعه على فمه ليحصل على بعض اللعاب، ولمسني، ثم حاول نكزي بقضيبه نصف المنتصب. حاول مرّةً تلو الأخرى، ثم شعرتُ بحرقةٍ تنتشر في جسمي، وأمسكتُ بكتفَيّ ميزونو. أصدر جسمي صوتًا، وكأنّه ينقسم مع دخول قضيبه فيّ. ألمٌ يستعصي على الوصف. تخيّل فأسًا عملاقةً تضرب جذع شجرةٍ عملاقة، ويدان تتسلّلان في الشقّ لتقسما الشجرة إلى نصفين. غمرني الألم تمامًا، وصرختُ به كي يتوقّف. لكنْ ميزونو كان قد قذف سريعًا.

عدتُ من الحمّام لأجد ميزونو متهاويًا على الأرض، يحتضن إحدى ركبتيه وينظر إلى الأسفل. لا يتحرّك. قدمه الأخرى ممدودةٌ في بقعةٍ من نور شمس الغروب.

مكتبة ياسمين

شعرت كما لو أنّ الحرارة والشمس قد خفّتا، وحوافّ كلّ شيءٍ من حولي غير واضحة. كنت قادرةً على سماع صوت ضربات قلبي، لكنّها بدت غريبةً عليَّ، وكأنّها لم تكن تأتي من داخلي، بل من مكانٍ آخرَ تمامًا.

من مكاني عند الباب استمعتُ إلى هذا الصوت، وتركتُ نظراتي تسقط على المكتب، أو المنضدة، أو قدمي ميزونو، مُحدّدةً موقع كلّ هذه الأشياء في ذهني. سمعتُ نعيق غرابٍ يأتي من مكانٍ ما، وهبّتْ رياحٌ عبر الستائر، مطلقةً كتلةً عجيبةً من السكون خارج الباب. جلس ميزونو مكانه في الوضع نفسه، من دون أن يتحرّك، لفترةٍ طويلةٍ جدًّا من الوقت. وفعلتُ المِثل.

قلت: «عليّ أن أذهب إلى البيت قبل حلول الظلام». بدا صوتي مبحوحًا بطريقةٍ غريبة. ذكّرني على نحوٍ ما بصوت أمّي. أخذتُ نَفَسًا عميقًا وأخرجته ببطء، كي لا يخرج باندفاع. سريعًا ما كانت الشمس معلّقةً في السماء، تكاد تراها تثقل، بينما تحمل هبّات الريح المتفرّقة لمحاتٍ من الليل.

قال ميزونو: «سأذهب معكِ»، وهو يعصر الكلمات عصرًا. وجهه لا يزال مدفونًا بين ذراعيه.

قلت بعد لحظة: «لا بأس».

أخذ ميزونو نفسًا عميقًا من أنفه، ورفع وجهه قليلًا، ثم نظر إلى الأسفل مرّةً أخرى.

التقطتُ حقيبتي، وجلستُ على الأرض بجوار ميزونو. عندما فعلتُ ذلك، قال لي إنّه آسف، بصوتٍ

مكتبة ياسمين

بالكاد كان مسموعًا.

«منذ قليل... كنت تقول إنّك ترغب في الذهاب إلى طوكيو... كي تتّخذ قراراتك بنفسك».

تحدّثت ببطء، متأنّية في اختيار طريقة تشكيل الكلمات.

هزّ ميزونو رأسه عدّة مرّات. جبهته تضغط على ذراعه التي تمسك بركبته.

«إذًا... ما حدث... أيّ قرارٍ كان ذلك؟».

نظر إليّ ميزونو وسألني: «ماذا تقصدين؟».

«هل كان ذلك أحد قراراتك؟».

سألني: «قرارات؟»، ناظرًا نحوي مباشرة. بادلت ميزونو النظر، وفي رأسي عرفت ما الذي أريد أن أسأله إيّاه بالضبط. لكنّني لم أعثر على الكلمات التي توصلني إلى فكرتي. ورغم ذلك، لم أستطِع البقاء صامتة. خرجتِ الكلمات من فمي بقرارها الشخصيّ.

عبس ميزونو، وسألني بلهجةٍ أكثر حِدّة: «أيّ قرارات؟».

تمكّنتُ في النهاية من قول: «أقصد...»، لكن كان هذا كلُّ ما استطعتُ قوله.

سأل ميزونو، بغيظٍ بادٍ: «هل تظنّين أنّ هناك علاقةً بين ما أريد فعله في الجامعة، وبين ما فعلناه للتوّ؟».

«أقصد... لهذا سألتك».

قال متجهّمًا: «تقصدين؟ ماذا تقصدين؟ لا أعرف ما

مكتبة ياسمين

الذي تريدين قوله».

بعد فترةٍ من التردّد، قال: «حسنًا... أنا أسحب اعتذاري. لقد اخترتِ أن تأتي إلى هنا، وكنت جزءًا ممّا فعلناه، مثلي تمامًا».

بقيث صامتة، بينما يتكرّر ما قاله ميزونو في رأسي، مرّةً تلو الأخرى. كان صحيحًا أنّني جئت إلى هنا بقراري. جئت إلى البيت، خلعت صندلي، وذهبت إلى حجرته. هذا هو ما حدث.

تركت الغرفة، ونزلت الدّرج وصولًا إلى المدخل. كانت الظلال أسمك من السابق على نحوٍ واضح. قلت لنفسي: وكأنّني تحت الأرض.

نزل ميزونو خلفي.

قال بهدوء: «مجرّد الوجود بقُربكِ يُصيبني بالغضب». وصلتني كلماته من الخلف، بينما أرتدي صندلي.

«لا يمكنكِ الحديث أو التفكير بنفسكِ. تتحرّكين وسط المشاعر لا أكثر. لا أعرف ما الذي تفكّرين فيه عندما تكونين في المدرسة أو على الهاتف. لا أظنُّ أنّكِ تفكّرين أصلًا. وكأنّه لا يوجد هناك شيء. مجرّد الوجود معكِ يصيبني بالغضب حقًّا».

بدأت السير، وشعرت على الفور بموجةٍ حادّةٍ من الألم وعدم الراحة تندفع من بين قدميَ. كان هواء الليل البارد الساكن يقترب من خلفي، وكأنّه يتبعني، لذا بدأت أسرع في السّير، ثم شرعت بالركض سريعًا. صدري الذي يرتفع وينخفض، وصوت

مكتبة ياسمين

تنفُسي، ويداي وساقاي الذين يتأرجحون إلى الأمام والخلف، بدأث أشعر كأنّهم أقلّ حقيقيّة. وكأنّني سأطير في الهواء في أيّة لحظة. لا يهمُّ كم حاولت أن أغرس خطواتي في الإسفلت، إذ لم يبدُ لي أنّها تلمسه. وفي الوقت نفسه كنت أضرب الأرض بكلّ تأكيد، بينما ذراعاي شاحبتان في ضوء الغسق، تتلاشيان في الهواء البارد.

لم تكن عندي أيّة فكرةٍ عن المكان الذي أذهب إليه، أو ما الذي أفكّر في فعله. لم أكن متأكّدةً حتى من أنّني سأصل إلى مكانٍ ما على الإطلاق. جريث بقوّةٍ حتى حَسِبتُ أنّ جسمي سينهار، وأنا أستمع إلى صوت تنفُسي المبحوح. لم يسعني إلّا التّفكير في نوريكو.

توقّفت مكالمات ميزونو بعد ذلك. ورغم أنّنا كنّا نرى بعضنا البعض من حينٍ إلى آخر في المدرسة، إلّا أنّنا لم نتحدّث بعد ذلك أبدًا.

مرّت بقيّة سنتي الدراسيّة من دون أحداث، وخضعتُ لامتحان القبول في جامعةٍ خاصّةٍ في طوكيو، كانت على استعدادٍ لقبولي رغم أنّ درجاتي متوسّطة. وقد قبلوني. سمعث بالصدفة من شخصٍ ما في المدرسة أنّ ميزونو لم يحصل على خياره الأوّل، لكنّني لم أعرف أبدًا ما الذي حصل معه بعد التخرّج.

كانت هذه هي المرّة الأولى والأخيرة التي مارستُ فيها الجنس.

مكتبة ياسمين

- 7 -

بالكاد أمطرت في آب/أغسطس.

أتوقّف عن العمل كلّ مساءٍ عند الساعة السادسة، وأشرب كلّ يوم، بلا استثناء. ولمّا لم تغد عبوات البيرة وأكواب الساكي تكفيني، انتقلت إلى شراء زجاجاتٍ أكبر. اكتشفت بعدها أنّ تلك المشروبات تكون أرخص بكثيرٍ إن اقتنيتها عن طريق الإنترنت بالصندوق، لذا بدأت وضع طلبات شرائي العاديّة بالجملة.

لأكثر من مرّةٍ في اليوم، كنت أبحث عن اسم ميتسوتسوكا.

أشرب وأكتب اسمه في شريط البحث: ميتسوتسوكا. الشيء الوحيد الذي ظهر لي في النهاية كان مكانًا اسمه ميتسوتسوكا، والحساب الشخصيّ لباحثٍ شابّ. بحثت كثيرًا، لكنّ النتائج كانت نفسها في كلّ مرّة. لم يكن اسمًا شائعًا، وبدا على هذا الباحث، بشكلٍ من الأشكال، أنّه عالِم، لذا فكّرت بأنّ من المحتمل أنّهما قريبَين، لكن لم تكن هناك طريقةٌ أمامي لأتأكّد بها من ذلك. وحتى لو كانا قريبين، فما الذي يعنيه ذلك؟ بعد أن تجوّلت في نتائج البحث لمدّة ساعةٍ على الأقلّ، اعترفت لنفسي بأنّني لن أجد ميتسوتسوكا مهما فعلت، وعادت إليّ الذكرى المؤلمة بأنّني لا أعرف حتى اسمه الكامل. أغلقت الصفحة وتنهّدت.

في أوقات فراغي من العمل، كنت أكتب اسم ميتسوتسوكا على قطعةٍ من الورق. ميتسوتسوكا،

مكتبة ياسمين

ميتسوتسوكا... وفي كلّ مرّة، كانت عناصر اسمه تتفكّك إلى خطوطٍ منفصلة، حتى لم تغد عيني قادرةً على تتبّع ما أكتبه. هززث رأسي، وشربث المزيد من الساكي.

بحثث وبحثت، حتى وأنا أعرف أنّني لن أجد شيئًا. لكنّ روتيني اليوميّ أثمر بدرجةٍ ما، على أيّة حال. اكتشفث تعبيرًا غامضًا لا يعرفه الكثيرون: «ميك ـ أبو ـ نو ـ سانزوكوامي»، والذي يستخدم رموز كلمة «ميتسوتسوكا» نفسها، لكنّ نطقه يكون: «سانزوكو». تشير هذه العبارة إلى شكلٍ من أشكال الاستحمام السريع. من الواضح أنّ هناك جبلًا اسمه ميكابو في محافظة غونما. وعندما يظهر رأس سحابةٍ رعديّةٍ عند قمّة هذا الجبل، تعرف أنّك ستغرق في الأمطار قبل أن تتمكّن من جمع ثلاث زززمٍ («سانزوكو») من الدقيق. قلث لنفسي: سان ـ زوكو ـ آمي. يمكنني رؤية ذلك الآن. تُعتّم السماء عند الجبل، تقترب، ثم تنطلق قرقعة الرعد، لتتساقط بعدها أمطارٌ عنيفةٌ تُغرِق الأرض بصوتٍ يبدو معه كما لو أنّ كلّ ورقةٍ في العالم تتمزّق. ركّزث خيالي على المطر، تاركةً إيّاه يجرف كلّ ما أمكنني رؤيته، وكلّ ما لم أستطع رؤيته، ماحيًا كلّ شيء. ثم تخيّلث ميتسوتسوكا، واقفًا وسط ذلك كلّه، بلا مظلّةٍ فوق رأسه. لم أستطع رؤية وجهه في المطر. هززث رأسي، ثم أغلقث اللابتوب. على حافّة مكتبي مجموعةٌ من مخطوطات الكتب التي يتوجّب عليّ العمل عليها في الغد. أمسكث مخطوطًا منها وقلّبث صفحاته. كان مجموعةً من

 مكتبة ياسمين

المقابلات مع روائيٍ مشهورٍ غزير الإنتاج. مرّةً تلو الأخرى، قال إنّ ما يحاول التقاطه في رواياته ليس اليأس، بل الأمل.

وهكذا مرّت الأيّام، كلّ يومٍ يشبه الآخر. أستيقظ من النوم وأعمل، ثم أبدأ الشرب في السادسة مساء. ورغم أنّ شهيّتي لم تكن قويّةً أبدًا، إلّا أنّني في تلك الأيّام لم أكن آكل أيّ شيءٍ تقريبًا. ربّما السبب هو حرارة الصيف. قلم رصاصٍ في يدي، أضع علامات استفهامٍ على أنواعٍ مختلفةٍ من التضارب في تهجئة الكلمات. وعندما يُذكَر كتابٌ كلاسيكيٌّ ما في النصّ، أتأكّد من المترجم الذي ترجمه، ثم أقارنه بالشخص الذي ذكره الكاتب. أضع الملاحظات حين يتطلّب الأمر. في يوم إعادة التدوير، أجلب ما تجمّع لديّ خلال الأسبوع إلى منطقة التقاط القمامة. عبواتي وزجاجاتي وحدها كانت تملأ الصناديق الموضوعة ليستخدمها الناس. في أحد الأيّام، قابلتني هيجيري في الحيّ لتعطيني هديّةً جلبتها لي من رحلتها إلى كو ساموي. قالت إنّها آسفةً لأنّها تأخّرت، وأنّ هذه الهديّة هي شيءٌ اشترته من السوق الحرّة، وليس لها علاقة بكو ساموي. ضحكتُ وهي تمدّ يدها لي بالعلبة. وجدتُ بداخلها زجاجة عطرٍ لونها أصفر باهت، عليها شعار الشركة التي تصنعها، واسمها «كلويه». وضعتُها مرّةً أخرى في علبتها، ثم فتحت الدُرج ووضعتُها في مكانٍ عميق.

في كلّ مرّةٍ أذهب فيها إلى النوم، مهما بلغت درجة تعبي أو سُكري، كنتُ أفتح الكتاب الذي أعطاني إيّاه ميتسوتسوكا. كانت طباعته بحروفٍ صغيرة. ورغم

مكتبة ياسمين

أنّ تاريخ النشر المكتوب ضمن معلومات الكتاب في متنه لم يكن بعيدًا، فإنّني كنت أشمّ رائحة الورق القديم في كلّ مرّةٍ أفتحه فيها. كنت أقرّب أنفي من الصفحات، واستنشق بقوّة. لم أتقدّم في القراءة بسهولة. أتوقّف مرّةً تلو الأخرى، وأتنهّد. وحتى عندما أكون في كامل تركيزي، وأعطي الكتاب كلّ المجهود الممكن، كان عقلي يسحبني إلى طريقتي المعتادة في القراءة؛ تنزلق عيناي على الكلمات، من دون أن يجد أيّ تفصيلٍ أساسيّ طريقه إلى رأسي.

وبالرغم من ذلك، فقد فتحت الكتاب وشققت طريقي في كلّ سطرٍ من سطور النصّ. كان الكتاب يتحدّث عن أمورٍ عملاقةٍ مثل حدود الكون، وأمورٍ صغيرةٍ مثل الأشياء التي تُكوّن أجسادنا، كما أنّه يغوص في فرضيّاتٍ تربط تقسيمات هذه الظواهر. قرأت عن نظريّة النسبيّة الخاصّة، أو النظريّة الموحّدة العظمى. أشياء كنت أعرف أنّني رأيتها أو سمعت عنها من قبل في مكانٍ ما، لكنّني عانيت في استيعابها عند القراءة عنها في جملة. بذلت أقصى جهدي في تشكيل معنى ما لها داخل رأسي.

حتى وأنا أمضي اليوم بأكمله في قراءة تفسيراتٍ للموجات الكهرومغناطيسيّة، وجزيئات الضوء كما فهمها نيوتن، وحزم الضوء التي تخلقها المواشير الزجاجيّة، والتشتّت، والقمم الموجيّة، والفوتونات، كنت أرى الكلمات فحسب: لا شيء منها يعلق في ذهني على الإطلاق. وكنت أجد نفسي أقع في فخّ إعادة قراءة الفقرة نفسها التي قرأتها في الليلة السابقة، وأستغرق وقتًا طويلًا حتى اكتشف ذلك،

مكتبة ياسمين

الأمر الذي تحوّل سريعًا إلى قراءة السطر نفسه عدّة مرّات. وإذا سهوت للحظات، يهرب تركيزي من الورقة، وأجد نفسي أتذكّر سريعًا كلّ تفصيلٍ دقيقٍ من يوم لقائي الأوّل مع ميتسوتسوكا، من البداية إلى النهاية، متمنّيةً أن أملأ عالمي بكلّ ما يتعلّق بميتسوتسوكا... ثم أنام.

متى سأتمكّن من رؤية ميتسوتسوكا مرّةً أخرى؟

ربّما سأتمكّن من طلب اللقاء بميتسوتسوكا عندما أنتهي من قراءة الكتاب، لكي أشكره. لكن بإمكاني شُكره عبر الهاتف. حسنًا، لكن ماذا عن إعطائه شيئًا ما في المقابل؟ لا. ربّما أفرض نفسي عليه بهذه الطريقة أكثر من اللازم. قد يكون من الخطأ أن أفكّر هكذا أصلًا، فأنا وميتسوتسوكا لم نكن مرتبطَين بأيّة طريقة. لم يُعِرني هذا الكتاب، بل أعطاه لي. لكن ما الذي يعنيه ذلك؟ كان الكتاب مفتوحًا في حِجري، فيما ملأت هذه الأفكار رأسي. تظهر وتختفي، وهي أفكارٌ لا علاقة لها بمحتوى الكتاب.

انتهى الليل، وجاء النهار. وبينما أنظر إلى الخارج، نحو الزرقة التي تمتدّ في أركان السماء، فكّرتُ فيما قاله لي ميتسوتسوكا عن هذا الضوء كلّه الموجود في كلّ مكان، والذي يستحيل رؤيته في الوقت نفسه. عملتُ طيلة الوقت، حتى تسلّل الشفق. يومٌ آخر، مثل بقيّة الأيّام، يتحوّل إلى ليل.

في صوت الدوش أو الصنبور، في رذاذ المياه التي تسقط على الأطباق في حوض المجلى، سمعتُ الكلمات التي تشاركناها أنا وميتسوتسوكا، ومعها

مكتبة ياسمين

كلُّ الكلمات الأخرى التي سنتشاركها في المستقبل. لم نكن قد التقينا إلّا مرّاتٍ معدودة، ما صعّب عليّ فهم السبب الذي يجعلني أشعر بهذا كلّه. لم أكن أعرف عنه أيّ شيء، ولم أستطع التعمّق في مشاعري لأفهم معنى تلك المشاعر. مرّةً تلو الأخرى، سألت نفسي إن كان هذا كلّه خطأً من نوعٍ ما. في كلِّ مرّةٍ أجلس فيها ومعي كوبٌ من الساكي، وأفكّر كم هو غريبٌ أن أمضي كلّ هذا الوقت في التفكير بشخصٍ لا أعرفه من الأصل. وكان ينتهي بي الأمر دائمًا وأنا أفكّر فيه. كنت أفكّر فيه طيلة الوقت.

كنتُ أسمع صوت هيجيري أحيانًا وهي تقول لي إنّ كلّ شيءٍ مشتقّ. الحزن والسعادة هي مشاعر اختبرها أشخاصٌ قبلنا، ونحن نتبع خطواتهم فقط. فكّرتُ في أنواع الأقلام التي يضعها ميتسوتسوكا في جيب السترة التي يلبسها، وأشكال أغطيتها المختلفة. ثم فكّرتُ في جبهته العريضة، والطريقة التي ينزاح بها شعره إلى الجانبين، أو الزاوية التي تحمل بها يده كوب القهوة. بل أمكنني استعادة معالم أظافره، كما لو أنّني أراها أمامي في هذه اللحظة. الندبة عند ركن عينه. ندفة الجلد الميت طارت من على شفته حين تنفّس. أشياء كنت واثقةً من أنّني لم ألحظها في وقتها، أشياء ربّما لم تحدث أصلًا، وأشياء لم أكن أتخيّل أنّني سأتذكّرها، تفتّحت وتضاعفت كأنّها زهورٌ بريّة، تنمو بصمتٍ وسرعةٍ مذهلة، تملأ عينيّ وأذنيّ وقلبي.

***

مكتبة ياسمين

مات أحد مدرائي السابقين. سمعت الأخبار من كيوكو.

الأسبوع الأخير من شهر آب/أغسطس. أخبرتني كيوكو بأنّها تفكّر في الذهاب إلى مراسم ما بعد الدفن، وسألتني بتنهيدةٍ إذا ما كنت سأذهب معها. لم نكن أنا وهو مقرّبين على نحوٍ خاصّ، لكنّه كان من الأشخاص القليلين الذين أظهروا لي ما يشبه الطيبة. قلت لها إنّني سأراها هناك، وسألت عن الوقت والمكان، ثم أغلقت الهاتف.

ميّزتني كيوكو من بعيد، وسمعت صوتها وهي تنادي عليّ، ثم دخلنا المكان معًا، في الوقت الذي كان فيه الكاهن قد بدأ إنشاده. جرى توجيهنا إلى مقعدين في الصفّ الخلفيّ. انتظرنا دورنا، ثم قُمنا لحرق البخُور. ضممت يديّ إلى بعضهما البعض، وأغلقت عينيّ، وانحنيت وأنا أتذكّر ابتسامة مديري السابق. وبينما كنّا نتّجه في طريقنا إلى الخروج، التقينا بعددٍ من زملاء العمل السابقين، لكنّني لم أتحدّث كثيرًا. اقتربت منهم كيوكو وهي تضع منديلًا على فمها، ثم تبادلت معهم الانحناء وبعض الكلمات الخفيضة.

انتظرت كيوكو عند طرف البهو لكي أشكرها وأودّعها، لكنّها جاءت لتسألني عمّا سأفعل بعد ذلك. أخبرتها بأنّني سأذهب إلى البيت في الغالب، فقالت لي إنّه يجب علينا أن نذهب إلى مكانٍ ما ونحتسي بعض الشاي. غادرنا وتجوّلنا لفترةٍ باحثتين عن مكانٍ نجلس فيه، واستقرّ بنا الحال في مقهى يتبع

مكتبة ياسمين

سلسلة مقاهٍ عند اخر الشارع.

تنهّدت كيوكو وقالت:

«أعرف أنّهم قالوا إنّها أزمةٌ قلبيّة، لكنّه انتحر في الغالب».

«هل تظنّين ذلك؟».

قالت كيوكو بنبرةٍ معترِفة: «نعم. لا توجد طريقةٌ للتأكّد»، وحكّت حاجبها.

«هذا هو ما أشعر به فحسب، من سماعي كلام زوجته وكلّ شيء. عمّي قَتَلَ نفسه. من الشائع القول إنّها أزمةٌ قلبيّة».

طلبنا شايًا مثلّجًا، وجلسنا في صمت، كلُّ واحدةٍ منّا مشغولةٌ بأفكارها الخاصّة.

قالت كيوكو في النهاية: «أقصد... لم يكن من النوع الذي يتحدّث كثيرًا».

أومأتُ وقلت: «نعم. هذا حقيقيّ».

«أفكّر في هذا الآن. أظنّه كان مكتئبًا بعض الشيء بشكلٍ دائم. لكن ما الذي يمكن للمرء أن يفعله؟ صحيح؟ لو كان شخصٌ ما سيموت، فإنّه سيموت. صحيح؟».

كانت كيوكو أكثر امتلاءً مقارنةً بآخر مرّةٍ قابلتها فيها، والتي كانت منذ عدّة سنواتٍ مضت. أضخم وأكثر امتلاءً بشكلٍ عامّ. إبطا ثوبها غامقين بفعل العرق، الذي كانت قطراته عالقةً على جبهتها كذلك. كانت تحرّك يدها كالمروحة أمام وجهها، وترفع رقبتها قليلًا متجوّلةً ببصرها في الأنحاء، كأنّها

مكتبة ياسمين

تبحث عن مكان المكيّف. علّقت مرّةً أخرى على درجة الحرارة، بينما تضع فوطةً مبلّلةً على جبهتها.

سألتني كيوكو: «متى تقابلنا آخر مرّة؟».

قلتُ إنّ ذلك كان منذ فترة.

«ثلاث سنوات؟ أربع؟ لا أتذكّر». ضحكتْ، ثم أكملت:

«أعرف أنّني قلت لكِ إنّني سأتّصل، لكنّ الأمور كانت مجنونةً في المكتب، ولم أعد قادرةً على السيطرة عليها. لكنّني أعيب ذلك على نفسي. لقد ساعدتني، أعرف ذلك، ولا توجد لي أعذار، لكنّني لم أنسَ».

هززتُ رأسي وأنا أقول:

«لا. لا بأس. لا بأس حرفيًا».

قالت كيوكو بلهجةٍ عابثة: «ها! انظروا من يحتاج إلى مدقّق. لا أظنّ أنّ أحدًا يعلّق الآن على هذه المسألة، لكنّني أتذكّر أوقاتًا كان فيها لكلمة «حرفيًا» معنى حرفيًا».

هززتُ رأسي وقلت: «صحيح».

«على كلّ حال، من يهتمّ أصلًا؟ حسنًا... أظنّنا نحن من يهتمّ. أوه، أعرف أنّ هذا ليس الوقت الأنسب لفعل ذلك، لكن... كنتُ أريد أن أعطيك هذا».

أخرجت كيوكو علبةً صغيرةً من حقيبتها القماشيّة، ووضعتها في منتصف الطاولة. كانت ملفوفةً بورقٍ أزرق فاخر.

مكتبة ياسمين

«هذه طريقتي في شكرك. كان بإمكاني أن أرسلها إليك، أعرف ذلك، لكنّني قرّرتُ أن أعطيها لك بنفسي، بما أنّنا سنلتقي».

«أوه. لكنّكِ فعلتِ الكثير لي بالفعل. أنت الشخص الذي ساعدني في الحصول على العمل الذي أمارسه الآن. أنا الشخص الذي يجب عليه أن يشكرك أصلًا».

قالت كيوكو وهي تبتسم بكلّ عضلةٍ في وجهها: «سعيدةٌ بسماع أنّ الأمور سارت على ما يُرام. لم تتسنّ لي فرصة المتابعة معكِ، لكنّني سمعتُ أنّ كلّ شيءٍ على ما يُرام. وأنتِ تعملين بصورةٍ حُرّةٍ الآن، أليس كذلك؟».

«صحيح».

قالت كيوكو: «ليست بالشيء الكبير»، بينما تشير إلى العلبة الزرقاء الموضوعة على الطاولة، ثم أكملت:

«شعرتُ بالقلق من أنها ربّما ستكون «بنّاتيّةً» أكثر من اللازم. لكنّني فكّرتُ بأنّكِ لا تملكين الكثير من هذه الأشياء. آمل أن تعجبكِ».

هززتُ رأسي مرّةً أخرى، متردّدةً بشأن ما إذا كان فتح الهديّة أمامها هو الفعل اللائق في هذا الموقف. ثم شكرتُها بصوتٍ خفيض، بينما أمرّر أصابعي على ورق التغليف.

«ليست بالشيء الذي يستحقُّ فتحه هنا. يمكنك أن تفتحيها حين تعودين إلى المنزل».

قلتُ: «حسنًا»، وهززتُ رأسي مرّةً أخرى. وعندما

مكتبة ياسمين

شكرتُها مرّةً أخرى، قالت كيوكو إنّ عليّ التوقُّف عن شكرها، لذا انحنيتُ وأنا أضع العلبة بعنايةٍ في حقيبتي.

صببنا مُحلّيًا سائلًا في شاينا المثلّج، وقلبناه بالشاليمونة. شربتُ من كوبي بصمتٍ لفترةٍ من الوقت.

«بالمناسبة، كيف أحوال إيشيكاوا؟».

«هيجيري؟».

«نعم، نعم. هيجيري».

وسّعت كيوكو عينيها وفرقعت بأصابعها، فصدَرَ صوتٌ يعلو على صوت أيّة فرقعةِ أصابع سمعتها من قبل، ثم أكملت:

«لم أرها كثيرًا في الفترة الأخيرة. كيف حالها؟ من دون أن أسألكِ، أعرف أنّها بخير. أذكر أنّنا تحدّثنا مرّةً في الوقت الذي كنت تبدأين فيه العمل. هل لا تزال هي الشخص الذي تتعاملين معه؟».

«نعم. هي الشخص الذي أعمل معه طيلة الوقت».

«واو. أنتما الاثنتان في العمر نفسه تقريبًا، صحيح؟».

«نعم. العمر نفسه بالضبط».

«بجد؟ لكنّكما مختلفتان تمامًا. أنا واثقةٌ من أنّ هذا هو أحد الأسباب التي سمحت لكما بالاستمرار طيلة هذا الوقت».

أخذت كيوكو أوّل رشفةٍ من الشاي، ومسحت

أطراف أصابعها بالفوطة المبلّلة الموضوعة على الطاولة بجوار كأسها، ثم تنهّدت لتبدي تردُّدها في الحديث عمّا قرّرتِ الحديث عنه، وقالت:

«إيشيكاوا تُوقع نفسها في المتاعب دائمًا. هي تعرف جيّدًا ما الذي يجب عليها قوله، وهي شخصٌ يعمل بمنتهى الجدّيّة، ويقول الأمور بمنتهى الوضوح، مهما كان الشخص الذي تتعامل معه. لا تُجري أيّ مساوماتٍ على أيّ صعيدٍ من الأصعدة، وفوق ذلك كلّه هي شخصٌ رائع. شخصٌ جميلٌ إلى درجةٍ تجعل الناس يُنصتون إلى ما تقول حين تتكلّم. لا يقدر أحدٌ أن يردّ عليها، ورغم ذلك... وربّما بسببه... فهي تقع في المتاعب دائمًا».

«أيُّ نوعٍ من المتاعب؟».

«نحن نعمل مع الأشخاص أنفسهم، وهم أشخاص يعملون في الخفاء في معظمهم. وما يخبرونني به دائمًا... حسنًا، ليس أنّها مُثيرةٌ للمتاعب، لكن أنّ من الصعب التعامل معها. مستحيلٌ في الحقيقة. لا يريدون أن تكون لهم أيّة علاقةٍ بها».

«فعلًا؟».

أجابت كيوكو: «بجدّ»، لكن من دون أن تبدو عليها الجدّيّة على الإطلاق. أكملت:

«إنّها شخصٌ يصعب فهمه. تبدو مقتنعةً تمامًا بأنّ كلّ الناس قادرةٌ على أداء العمل بدرجة إتقانها له بالضبط. لذا فعندما ترى أشخاصًا حولها لا يؤدّون عملهم كما هو مطلوب، فإنّها تظنُّ أنّهم كسالى لا أكثر. تريد من الناس الذين يعملون معها أن يكون

مكتبة ياسمين

عندهم المعايير نفسها التي تتبنّاها هي، بل أعلى أحيانًا. من سيجاري هذا؟ البشر مختلفون، لهم دوافع مختلفة، وطرقٌ مختلفةٌ في التعامل مع العمل. على كلّ حال، يكون العمل معها مستنزفًا أحيانًا. من يرغب في العمل مع كلّ هذا التوتُّر؟ هذا ما يقوله الناس حين يشتكون لي، أو يتكلّمون بذلك أمامي».

«حقًّا؟».

سألتني كيوكو بعينين فضوليّتين: «ماذا عنكِ؟ ألم تكن الأمور كذلك بالنسبة لكِ؟».

«كذلك...».

كرّرت الكلمة التي اختارتها كيوكو. لم أجِب مباشرة، لأنّني لم أفكّر في الأمر من قبل بهذه الطريقة أبدًا. لكنّني قلت ما ورَدَ إلى ذهني، متحرّية الصدق قدر الإمكان:

«لم أفكّر في الأمر من قبل».

نظرت كيوكو إليّ للحظة، ثم رفعت حاجبيها وأدارت وجهها إلى الناحية الأخرى. أمسكت شاليمونتها وأخذت جرعةً من الشاي. مسحت أطراف أصابعها بالفوطة المبلّلة مرّةً أخرى، ثم قالت:

«مجدّدًا، ربّما شخصيّتك هي المشكلة هنا».

«مشكلة؟».

«ليست المشكلة ربّما. أقرب إلى النقطة».

«نقطة؟».

مكتبة ياسمين

نظرت إليّ مرّةً أخرى طويلًا، ثم قالت:

«أنت تعرفين. ربّما الأمر يناسب شخصًا مثلك، لا يرفع صوته. لا تفهميني خطأ، حسنًا؟ أنا أقول إنّ هذا أمرٌ جيّد. هناك الكثير من الناس الذين يريدون أن يُبرزوا أنفسهم، متنافسين على بقعة الضوء والاهتمام، ما يخلق مشاكل أكثر بالنسبة للبقيّة منّا. لكنّك لا تقلقين من هذه الأمور لأنّك لست مثلنا، وهذا هو نوع الأشخاص الذي تميل إيشيكاوا إلى التعامل معه. تأخذهم... أو ربّما تستفيد منهم».

أومأتُ. قلت: «حسنًا...»، حتى وأنا غير قادرةٍ على فهم ما تقصده بالضبط.

أكملت كيوكو:

«باختصار، الأشخاص من أمثالها يستغلُّون الناس الذين مثلكِ لإثبات صحّة آرائهم. شخصٌ مثل إيشيكاوا لا يرضى بإجبار الناس حوله على تقبُّل طريقته، أو المنهج الذي يرى به العالم. هي تشعر بأنّ عليها تجاوز الحدود، لكنّني أظنُّ... بدرجةٍ ما... أنّ كلّ الناس لديهم حاجةٌ عميقةٌ للتحدُّث عمّا يفكّرون به، ووضع أفكارهم في كلمات. فكّري فحسب في الطريقة التي تعمل بها النصيحة. كلُّ الناس يطلبون النصيحة طيلة الوقت، أليس كذلك؟ لكنّهم لا يطلبون في الحقيقة رأي شخصٍ آخر، أو ما الذي سيفعله هذا الشخص في موقفٍ مشابه. على العكس تمامًا، ما يفعلونه في الحقيقة هو وضع أفكارهم، أو خبراتهم الحياتيّة، في كلمات. هذا هو السبب الذي يجعل الناس لا يحلُّون أيّ

مكتبة ياسمين

شيءٍ أبدًا. هل سمعت أبدًا بنصيحةٍ قادث إلى حلٍ؟ وضع الأشياء في كلماتٍ، بهذه الطريقة، يُضيف إلى قائمة المشاكل مشكلةً جديدة. هذا بالتحديد ما يجعل المشاكل أكثر تعقيدًا. هذا هو ما أقوله على كلّ حال. إيشيكاوا تعرف جيّدًا كيف تستفيد من شخصٍ مثلك. إسفنجةٌ تمتصُّ كلّ شيءٍ من دون أن تردّ بشيء، وهذا يُشعرها بالأهمّيّة. إنّها نموذجٌ لهذا النوع من الأشخاص. تستمتع بجعل الناس يستمعون إليها وهي تتحدّث عن كلّ هذه الأفكار والآراء الرائعة، لأنّ هذا يجعلها أقوى يومًا بعد يوم. لا يتحمّل كلُّ الناس هذه الطريقة، أليس كذلك؟ بعضهم مشغولون أو ناضجون. إلى جانب ذلك، هم لا يهتمُّون بإيشيكاوا أدنى اهتمام، ولا بطموحاتها. لذا يهربون. لكنّ ذلك لا يحدث بسبب شخصيّتها فحسب. المشكلة الحقيقيّة أنّها لا تلاحظ كم هي محظوظة. تظنُّ أنّ كلّ الناس بدأوا مثلها، وهي مقتنعةٌ بأنّ كلّ الناس بإمكانهم النجاح بقليلٍ من الجهد والتصميم. أنتِ تمزحين! بعض الناس بإمكانهم الحديث عمّا يدور في أذهانهم، وبعضهم لا يستطيع ذلك ببساطة. ليس هذا اكتشافًا مهمًّا، أعرف ذلك. وإيشيكاوا ليست الشخص الوحيد. كلُّ الطموحين مثلها تمامًا، يضغطون بشدّةٍ على النساء من حولهم».

«يضغطون؟... هيجيري؟».

«طبعًا. إنّها مقتنعةٌ تمامًا بأنّ كلّ الرجال، وكلّ زملائها، لقد أقنعث كلّ الرجال، وكلّ زملائها، بأنّ النساء في المكتب يحتجن للاقتداء بنموذجها، بل

مكتبة ياسمين

يحتجن إلى أن يكنّ جميلاتٍ وهنّ يفعلن ذلك. وكأنّ ذلك جزءٌ من العمل. النساء من أمثالها يخبرنك سريعًا بأنّهنّ لا يغازلن الرجال من حولهنّ أبدًا، لكنّهنّ يفعلن. إنّهنّ لا يلحظن أنّهنّ يفعلن ذلك فحسب».

هززتُ رأسي عدّة مرّات، وعيناي تركّزان على ذقن كيوكو. بدأتْ تتحدّث بسرعةٍ أكبر فأكبر.

«وهذا هو السبب... وأعرف أنّني أقفز من موضوعٍ إلى آخر... الذي يجعلك تشعرين أحيانًا كأنّها لطيفةٌ أكثر من اللازم معكِ، إن حدث لكِ هذا. والسبب في الغالب أنّها تحتاج إلى وجودكِ بجوارها بأيّة طريقةٍ ممكنة. تحتاج إلى شخصٍ يسمع، ليسمعها. كلُّ شيءٍ يدور حولها. أقصد خارج العمل بالتأكيد».

شربتُ بعض الماء.

«أتمنّى أن تعرفي أنّني لا أشعر نحوها بأيّ شعورٍ سلبيّ. أنا أتحدّث فقط عن سمعتها، بكلّ موضوعيّةٍ ممكنة. أنا أهتمُّ لأمركِ فحسب. حسنًا؟».

أجبتُ إجابةً مُبهمةً وأنا أهزُّ رأسي.

عادت كيوكو لتقول، وهي تقلب الثلج بشاليمونتها: «وشيءٌ آخر... أعرف أنّ هذا الأمر لا علاقة له بما نتحدّث عنه، لكن عندها شهيّةٌ كبيرةٌ للرجال».

«شهيّة؟».

قهقهتْ كيوكو ومالتْ مقتربةً منّي، ثم قالت:

«نعم. ليست عندها أيّة سيطرةٍ على نفسها. ستنام مع أيّ شخص، وكأنّ الأمر لا يهمّ. رجالٌ من العمل، رجالٌ قابلتهم قبل يوم، أو حتى في اليوم نفسه. لا

مكتبة ياسمين

مشكلة. حسنًا، هكذا تقول الإشاعات، باستثناء أنّ الإشاعات حقيقيّة. بل إنّني أعرف رجلًا...».

قطعت كيوكو حديثها لتدفع الكرسيّ إلى الخلف، وتتمكّن من الانحناء إلى الأمام مقتربةً منّي أكثر، ثم أكملت:

«سقط في شباكها».

«فعلًا؟».

«نعم. وهي لا تظنّ أنّ هناك أيّ شيءٍ خاطئٍ فيما تفعل. هذا هو المخيف في الأمر. وكأنّها لا تعرف شيئًا اسمه مشاعر الآخرين. أقصد أنّها واحدةٌ من النساء الجميلات. هذا هو الأمر. من رأسها إلى أخمص قدميها. لذا فليس في الأمر ما يفاجئ. تُقدّم للرجال عرضًا كاملًا، حريصةً كلّ الحرص على ألّا تثير عندهم شعورًا بالتهديد أو الخوف. تخفّف من حزمها المعتاد فقط. لكنّني لو كنت رجلًا، لم أكن لأنام معها أبدًا. مستحيل».

ضيّقت كيوكو عينيها لإضفاء تعبيرٍ دراميّ على كلامها، ثم هزّت رأسها وأكملت:

«ولو أنّها شعرت بالفضول نحو رجل، فإنّها ستنام معه لتنتهي من الأمر. النهاية. وإذا كانت هناك امرأةٌ لا تحبّها، امرأةٌ تهدّد مكانها أو كبرياءها، فإنّها ستسرق الرجل الذي تسعى وراءه تلك المرأة، ثم تنام معه أوّلًا. لعلّها تظنّ الأمر لعبة، أو شيئًا كهذا. بجدّ. ستنام مع أيّ شخص، وهي تفعل هذا طيلة الوقت، وكانت تفعله دائمًا. منطقيٌّ ألّا يكون لشخصٍ مثلها أيّ أصدقاء، أليس كذلك؟».

مكتبة ياسمين

«هل تظنّين ذلك؟».

«طبعًا. إنّها وحيدةٌ طيلة الوقت. أقصد عندما لا تكون مع أحد الرجال. قد يبدو الأمر وكأنّها تحظى بأجمل أوقات حياتها، لكنّها لا تبدو سعيدةً إلى هذه الدرجة، أليس كذلك؟».

هزّت كيوكو رأسها وابتسمت بأسى، ثم قالت:

«الأمر وحسب... كوني حذرة. حسنًا؟».

قلتُ شيئًا لا معنى له، ووجّهتُ انتباهي إلى أطراف أصابعها. شربت كيوكو ما بقي من شايها المثلّج، ثم نظرت إلى ساعتها.

«هل أنتِ مستعدّةٌ للحركة؟».

أومأتُ وقلتُ طبعًا.

«شكرًا على هذا اليوم... كنتُ أتمنّى أن نلتقي في ظروفٍ أفضل، لكنّني سعيدةٌ بأنّنا قضينا بعض الوقت معًا. أبهجني ذلك فعلًا، وتسنّى لي أن أعطيكِ هديّتكِ أخيرًا».

لملمنا حقيبتَينا ووقفنا، ثم سرنا إلى المحاسب. أخرجتُ محفظتي وطلبتُ منها أن تسمح لي بالدفع، بما أنّها كانت من دفع في المرّة الأخيرة.

«حسنًا إذًا... شكرًا على الشاي».

فور خروجنا، قالت لي كيوكو إنّ طريقها من الجهة الأخرى، وتوجّهت إلى هناك. رفعتُ يدي لألوّح لها مودّعة، لكنّها قالت لي إنّ لديها الكثير من العمل، وعليها الإسراع لتُنجز بعضه. قلتُ لها شكرًا على كلّ

مكتبة ياسمين

شيء. وقالت لي ها، وكأنّها تذكّرت شيئًا للتوّ.

«سأطلب منك خدمة. لا تُخبري إيشيكاوا بأيّ ممّا قلته لكِ اليوم، حسنًا؟ لا يجب أن تعرف. هذا بيني وبينكِ. أقصد أنّني الشخص الذي عرّفكِ عليها، لكن، بصراحة، أنا أبذل كلّ جهدي لأتجنّب التعامل معها. خُذي حذرك، حسنًا؟».

بهذه الكلمات الوداعيّة عبرت كيوكو الشارع واختفت.

عندما عدتُ إلى البيت، فتحتُ الهديّة التي جلبتها لي كيوكو. كانت زجاجة عطر. الزجاجة نفسها التي أعطتني إيّاها هيجيري.

مكتبة ياسمين

ـ 8 ـ

«تفضّلي بالجلوس».

ابتسم لي ميتسوتسوكا، وكأنّنا خطّطنا للّقاء.

قلت مرحبًا، وأنا أسحب كرسيًا وأنحني.

شعرت بالمساحة التي تقع خلف عينيّ وهي تتفكّك، ومعها عضلات وجهي. قلت لنفسي لا بأس، عدّة مرّات، وأنا أطمئنها بأنّ الكحول سيساعد. سيتغلغل الكحول، ولن يكون هناك ما يُقلق. عندما جلست وأصبحت عينانا في المستوى نفسه تقريبًا، داهمني الشعور فجأة: إنّني أنظر إلى ميتسوتسوكا فعلًا. ثم شعرت بالقلق من أنّني ربّما قلت الفكرة الأخيرة بصوتٍ عالٍ.

قال ميتسوتسوكا: «بالأمس كانت درجة الحرارة سبعًا وثلاثين، واليوم هي ثلاثون درجةً تقريبًا». ثم أغلق الكتاب الذي كان يحمله، ونظر إلى الخارج عبر النافذة، ثم أكمل:

«لكنّ درجات الحرارة سترتفع مرّةً أخرى، بدءًا من الغد».

«إنّه شهر أيلول/سبتمبر. موسم الرعد».

كنت سكرانةً كليًّا، ولم أكن واثقةً تمامًا ممّا أعنيه بهذا الكلام. لكنّ ميتسوتسوكا أومأ برأسه موافقًا.

قلت: «أنا أحبّه فعلًا... أقصد الرعد».

«نعم... ماذا تشربين؟».

«شايٌ مثلّج».

مكتبة ياسمين

مرّت دقيقةٌ أو نحو ذلك، وجاء الرجل ذو اللحية الكاملة الذي كان في المرّة السابقة، ثم وقف قُرب طاولتنا. طلب ميتسوتسوكا لي الشاي، وعندما سأله الرجل إن كان يريد المزيد من القهوة أجاب بنعم، عبر هزّةٍ من رأسه.

«آسف. كنت تقولين شيئًا... عن الرعد».

«نحن في موسم الرعد».

قال ميتسوتسوكا طبعًا. ثم شرب ما بقي في كوب قهوته.

«شكرًا على الكتاب. كان شديد الصعوبة، لكنّني فهمتُ بعضه. كنتُ أقرأ فيه كلّ ليلةٍ قبل النوم».

«يسعدني ذلك».

اتّصل بي ميتسوتسوكا بعد عشرة أيّامٍ من إرسالي الرسالة الإلكترونيّة.

استغرق الأمر منّي شهرًا، لكنّني انتهيتُ من الكتاب الذي أعطاني إيّاه. شعرتُ بالصفحات غير المقروءة تتناقص في قبضتي، حتى انتهيتُ من الصفحة الأخيرة، وأغلقتُ الكتاب. كان الصوت أعلى بكثيرٍ ممّا يجب عليه أن يكون، أو بدا لي كذلك على الأقلّ. وفي اليوم التالي، بعد أن انتهيتُ من العمل وأمضيتُ بعض الوقت في الشرب واللّاشيء، استلقيتُ في السرير لأجد أنّه لم يعُد هناك ما يشغلني، ما أفسح المجال أمام شعورٍ لا يمكن وصفه بالوحدة، وإن كنتُ غير قادرةٍ على تمييز السبب الذي جعلني أشعر بذلك الشعور، وبالسبب الذي

مكتبة ياسمين

جعله يبلغ ذلك المبلغ من الحدّة.

كنت أعرف أنّه ليس بإمكاني التواصل مع ميتسوتسوكا من دون سببٍ واضح، لكن مرّ ببالي عَرضًا أنّ بإمكاني فعل ذلك عبر مشاركة بعض الخواطر عن الكتاب. وعلى مدار ثلاثة أيّام، جمعتُ بعض الملاحظات في رسالةٍ إلكترونيّة، نقّقتها حتى صارت لامعة، ثم أمضيت يومين في قراءتها مرّةً أخرى. حتى جاء يومٌ شربتُ فيه، وأرسلتُ الرسالة. لم يردّ ميتسوتسوكا على رسالتي. أصابني البؤس بعدما لاحظتُ أنّ العبارة التي تقول: «نحن نندم على الأشياء التي لم نفعلها أكثر من تلك التي فعلناها» لا علاقة لها بالصحّة.

كنتُ ما أزال على هذه الحال عندما جاءني اتّصالٌ من ميتسوتسوكا، إلى درجة أنّني لم أستطِع الردّ عليه. استمرّ الهاتف في الرنين، وأنا أخبّط بقدميّ وألفّ في دوائر. لكن عندما لاحظتُ أنّ رنين الهاتف قد توقّف، اتّصلتُ به مباشرة. قال ميتسوتسوكا إنّه كان يريد الردّ على رسالتي، لكنّه لم يستطع الدخول إلى بريده الإلكترونيّ.

هل تعطّل جهاز الكومبيوتر؟ لا. جهازه على ما يُرام. المشكلة هي في شركة الإنترنت. شركةٌ جديدةٌ أغرقته بالإعلانات، فقرّر أن يغيّرها. لكنّ المشكلة أنّه لا يستطيع الوصول إلى الشبكة الآن. ولمّا كان لا يعرف متى ستُحلّ هذه المشكلة، فقد فكّر في أن يتّصل، ليشكرني على الرسالة على الأقلّ. شكرًا، قلتُ له، وأنا أنحني ممسكةً الهاتف. ثم

مكتبة ياسمين

لاحظتُ أنّ فمي جافٌّ كالتراب.

قال ميتسوتسوكا إنّ ردّي المفضّل جعله يرغب في إعطائي شيئًا آخر. قرصٌ مُدمج. سألته عمّا إذا كان موسيقى كلاسيكيّة، فأجاب بنعم. هناك مقطوعة بيانو لشوبان يريدني أن أسمعها. تهويدة. قلتُ له إنّه لطيفٌ معي للغاية؛ يعطيني كتابًا، والآن هذا... ينبغي أن يسمح لي بفعل شيءٍ أظهر به امتناني. قال ميتسوتسوكا ضاحكًا ما رأيكِ بأن تشتري لي قهوةً في وقتٍ ما. قلتُ إنّني سأكون سعيدةً بفعل ذلك. قال إنّه يذهب إلى المقهى نفسه كلّ يوم خميسٍ بعد الظهر. قلتُ له حسنًا، ثم أغلقتُ الهاتف.

ضغطتُ الهاتف على أذني بأقصى قوّة، ثم شددتُ جسدي وأفرغتُ رئتيّ من الهواء.

سألتُ: «هل بدأتِ المدارس؟».

«نعم».

«لم تضطرّ للذهاب إلى المدرسة اليوم؟».

«لستُ مسؤولًا عن فصلٍ بعينه، لذا لا أضطرّ للذهاب إلّا للتدريس فقط».

«أوه. فهمت».

بعد وقتٍ قصير، جاءت قهوة ميتسوتسوكا ومعها شايي. أخرجتُ الشاليمونة من غلافها الورقيّ، ودفعتُها بين مكعّبات الثلج التي تملأ الكوب الزجاجيّ. وبينما أقلّب الثلج، وأنظر إلى الضوء المنعكس على سطح الثلج والزجاج، تحدّثتُ مع ميتسوتسوكا. تحدّثنا عن الضوء.

مكتبة ياسمين

«إذًا... كنت أقرأ في غرفتي».

«نعم».

«كان الوقت ليلًا، لذا أضأتُ النور، وأُنيرت الحجرة».

«تمام».

«وأصبح بإمكاني رؤية كلّ شيءٍ في الصفحة».

«صحيح».

«ثم أطفأتُ النور، وعاد الظلام ليغطّي كلّ شيء».

«نعم».

«بهذه البساطة».

«نعم».

«إذًا... كلُّ هذا الضوء الذي كان هناك، أين ذهب؟ أقصد أنّه سيذهب إلى مكانٍ ما، صحيح؟».

«يُمتصَ. أغلب الضوء يُمتصُّ عبر الأجسام، ويختفي».

نظرتُ إليه.

«يختفي فحسب؟».

«ليس كلّه. ينعكس بعضه. لكنّه سيصطدم بشيءٍ ما في النهاية. وعندما يحدث ذلك يُمتصَ. وفي النهاية يختفي. نعم».

«واو».

«نعم. لكنّ بعض أجزاء الضوء التي لا تُمتصُّ تتمكّن من الهرب، ربّما عبر النافذة».

مكتبة ياسمين

«تقصد نافذةً مفتوحة».

هزَّ ميتسوتسوكا كتفيه، وقال ضاحكًا:

«لا. ليس الأمر كذلك. لا يقفز الضوء من النافذة، أو شيئًا كهذا. إنّه يمرُّ عبر الزجاج».

«يمرُّ عبره؟».

«بالضبط. ويستمرُّ بعضه في الحركة، حتى يصل إلى الفضاء».

قلتُ ببطء، متمعّنةً في كلِّ كلمة:

«إلى الفضاء؟ إلى هذه الدرجة؟».

«نعم».

«من حُجرة نومي إلى الفضاء الخارجيِّ؟...».

«هذا صحيح».

«تقصد أنَّ بعض هذا الضوء الذي كان في حُجرتي هو الآن في مكانٍ ما في الفضاء الخارجيِّ؟ هل أفهم هذا بشكلٍ صحيح؟».

قال ميتسوتسوكا:

«هذا ممكن... فكما تعرفين، يسافر الضوء بسرعةٍ رهيبة. سرعةً مذهلة. سرعةً تسمح له بالسفر حول الكوكب سبع مرّاتٍ ونصف المرّة في الثانية الواحدة. إذًا، فحتى لو كان الضوء سيستمرُّ من دون أن يُمتصَّ، ففي النهاية، وبعد كلِّ هذا الانعكاس والانتقال، لن تستطيع العين البشريّة رصده. وإلى جانب ذلك...».

«ماذا؟».

مكتبة ياسمين

«في النهاية، سيمتصّ».

«لا يعيش الضوء إلى الأبد إذًا؟».

«صحيح».

«يختفي كلُّه؟».

ساد الصمت لفترة. ونظر كلانا إلى الخارج عبر النافذة، نراقب بشرودٍ الناس الذي يمشون. عندما رفعت رأسي، رأيت مصباح إضاءةٍ غير بعيدٍ عن رأس ميتسوتسوكا، تُضيء اللّمبة في داخله تحت مظلّةٍ سوداء قصيرة.

نظرتُ إلى الوقت. كانت الساعة قد تجاوزتِ الخامسة بقليل.

سحب ميتسوتسوكا شيئًا مسطّحًا من حقيبته، ووضعه على الطاولة وهو يقول:

«قبل أن أنسى».

كان الشيء موضوعًا في كيسٍ أصفرَ بلاستيكيٍّ متجعّد.

ضحك وقال: «إنّه ألبومٌ رائعٌ حقًّا. أظنّكِ ستحبّينه فعلًا».

«أتساءل إذا ما كنت سأفهمه أصلًا. لم أستمع من قبل أبدًا إلى الموسيقى الكلاسيكيّة».

«ستفهمينه. إنّها موسيقى فحسب. جرّبيها. سترين بنفسك».

قلت حسنًا، ثم شكرته وحنيت رأسي.

«في الحقيقة، المقطوعة الأولى في هذا الألبوم

مكتبة ياسمين

تُذكِّرني بالضوء».

«بالضوء؟».

«نعم. جميلةٌ فعلًا. لا يتحدّث الناس عنها عادة، لكنّها مقطوعتي المفضّلة لشوبان».

«واو». أومأت برأسي، وأنا أتلمّس التجاعيد على الحقيبة البلاستيكيّة الصفراء بأطراف أصابعي.

سألني ميتسوتسوكا بعد صمت: «للضوء أنواعٌ كثيرة. ما هو نوعكِ المفضّل؟».

سألته، من دون أن أفكّر كثيرًا فيما أقول: «لماذا نظرتَ إليّ بهذه الطريقة في وقتٍ سابق؟ هل كنتَ مُحرَجًا؟».

قال ضاحكًا: «أووه. ثانيةٌ واحدة، فلنتحدّث عن بُعدٍ واحدٍ في كلّ مرّة».

قلت وأنا أميل برأسي جانبًا: «بُعد؟».

«عندما تُجيبين عن سؤالٍ ما بسؤالٍ آخر، فإنّكِ تفتحين بُعدًا جديدًا. لا بأس بهذا. إلّا... حسنًا... لو كان السؤال الثاني يقع ضمن نطاق السؤال الأوّل».

«حسنًا».

«على كلّ حال، آمل أن تحبّي هذا الألبوم».

سعل ميتسوتسوكا مرّة، ثم اضطرّ لشرب الماء.

«بالمناسبة، هل تحبّين عازف بيانو معيّن».

«لا. على الإطلاق. لا أقصد أنني لا أحبهم، لكنّني لم أسمع من قبل فعلًا لـ... أنت تعرف، موسيقى بيانو حقيقيّة. لا أتذكّر عازفًا بعينه».

مكتبة ياسمين

«ولا حتى المشهورين منهم؟».

«ولا حتى المشهورين جدًا منهم».

«فعلًا؟ ماذا عن آرغريتش؟ يُخيّل إليّ أنّ كثيرًا من النساء يستمعن إلى موسيقاها».

«لا. لم أسمع بها من قبل».

«وماذا عن غلين غولد؟»

«سمعتُ الاسم. هل يعزف في هذا الألبوم؟».

«لا. في هذا الألبوم عازف بيانو يابانيّ».

«آه. فهمت».

قال ميتسوتسوكا: «في الحقيقة، كان غولد يكره شوبان. لم يكن عزفه يتعلّق إلّا بشيءٍ واحد: الإنسانيّة. الحالة الإنسانيّة. لا شيء عن الضوء، ولا أيّ شيءٍ آخر. أنا أحبّ غولد. لكن مع تقدّمي في السنّ، أجد نفسي أقلّ اهتمامًا بسماع موسيقاه».

«الإنسانيّة أثقل عليكَ من اللازم؟».

ضحك ميتسوتسوكا وقال: «شيءٌ من هذا القبيل. وإن كنت أشعر بأنّ كثيرًا من الناس يشاركونني هذا الشعور. ليس هذا هو السبب الوحيد، لكنّه يزعجني بشكلٍ ما».

بعد ذلك أخبرني ميتسوتسوكا بأنّ غلين غولد كان عاشقًا للكلاب، وأنّه يصعب نسيان وجوه كلابه في العادة، بالمقارنة مع وجه غولد نفسه. وكيف أنّه، في إحدى المرّات على المسرح، تشتّت انتباهه بسبب شعر الكلاب على بذلته، إلى درجة أنّه بدأ يُزيله

مكتبة ياسمين

مستخدمًا قطعةً من الشريط اللاصق أو ما يشبهه، رغم أنّ الأوركسترا كانت في منتصف العزف.

لم يعُد هناك أحدٌ في المقهى غيرنا، ولم يبدُ أنّ هناك من سيأتي في أيِّ وقتٍ قريب. بقي الضوء مركز حديثنا. كان دوري في المحادثة الاستماع إلى ما يقوله ميتسوتسوكا. ولكن في الأوقات التي كنتُ أميل فيها برأسي كان هو يلاحظ ذلك، ويتروّى ليشرح لي. بل إنّه أخرج من حقيبته مفكّرة، وفتحها على صفحةٍ بيضاء ليشرح لي نقطةً معيّنة. بينما أستمع إلى حديثه، لاحظتُ طول أصابعه وهي ملتفّةٌ حول القلم، ودرجة لون بشرته. ثم نظرتُ إلى الأقلام في جيب سترته، ورأيتُ عينيه الموجّهتين إلى الصفحة، والبقع البنّيّة في الجلد المحيط بهما. نقاط عرقٍ تتجمّع في أماكن مختلفةٍ من جبهته. لاحظتُ أنّ عنده شامةً ضئيلةً فوق أحد حاجبيه. يشرح ميتسوتسوكا التفاصيل المتعلّقة بالرسومات التي وضعها للتوّ على الورقة، ناقرًا عليها بطرف القلم الجافّ. وكنتُ أهمهم بينما يشرح، مسترخيةً في نغمات صوته.

«حسنًا، جاء دوركِ الآن لترسمي شيئًا ما».

كنتُ مستغرقةً في أفكاري حين قال لي ميتسوتسوكا ذلك من العدم، وكأنّه فكّر للتوّ بأنّها فكرةٌ رائعة. ناولني القلم، وقلب المفكّرة على صفحةٍ جديدة.

شعرتُ بالتشوُّش وأنا أتعرّض لهذا الاهتمام. لكنّني أخذتُ القلم بالفعل، وتمتمتُ لنفسي:

مكتبة ياسمين

«ماذا يجب أن أرسم؟».

قال ميتسوتسوكا ضاحكًا: «أيّ شيءٍ تحبّينه».

«لكنّني لا أستطيع الرسم. لا أستطيع حتى رسم رسمٍ بيانيّ».

«لا بأس».

نظر ميتسوتسوكا إلى اليد التي كنت على وشك أن أرسم بها. أشعرتني فكرة أنّ ميتسوتسوكا ينظر إلى يدي بالحرارة، وامتدّت هذه الحرارة لتشمل المنطقة المحيطة بعنقي، ثم تجمّعت في النهاية عند خدّيَ، قبل أن تنتشر في وجهي بأكمله.

«لا أعرف ماذا أفعل».

«ارسمي أيّ شيء... أيّ شيءٍ تحبّينه».

«... هل يمكنني أن أكتب شيئًا؟».

«بالطبع».

«حسنًا، ماذا أكتب؟».

«أيّ شيء».

«أيّ شيءٍ على الإطلاق؟».

«حسنًا. ما رأيكِ في أن تكتبي كلمةً لم تكتبيها أبدًا؟».

«ممممم»، أومأت وأنا غير واثقةٍ ممّا أقول. كلمةٌ لم أكتبها من قبل. حاولت، لكنّني لم أستطع الوصول إلى شيء. وللحظة، فكّرت في كتابة كلمة: «تفسّخ»، لكنّني لم أكن واثقة من تهجئتها من دون أخطاء.

«هل يمكنني أن أكتب شيئًا آخر؟».

مكتبة ياسمين

«طبعًا».

«حسنًا».

كتبتُ اسمي وعنواني.

قال ميتسوتسوكا وهو يمسك بالمفكّرة على مقربةٍ من وجهه، ويبدو عليه الإعجاب فعلًا:

«ها! خطُّكِ جميل».

قلتُ بصوتٍ خفيض: «لا، ليس كذلك على الإطلاق. إنّه يتفادى الأخطاء فقط. لا أعرف...».

«هل تظنّين ذلك؟ أظنّه جميلًا».

لم أعرف كيف أجيب، لذا هززتُ رأسي مرّةً تلو الأخرى.

***

سريعًا أصبحت أقضي معظم اليوم في الاستماع إلى تهويدة شوبان، التي أعطاني إيّاها ميتسوتسوكا. حمّلتُ المقطع من الإنترنت، وشغّلته من دون انقطاعٍ على جهاز الكومبيوتر. وعندما كنت أقوم من وراء المكتب، كنت أوصل سمّاعتَيّ إلى مشغّل الأقراص، الذي استطعتُ العثور عليه في خزانتي. ورغم أنّني لم أكن أستطيع الاستماع إلى هذه المقطوعة في الحمّام، فقد كنتُ أتركها تُعزف في كلّ دقيقةٍ أكون فيها داخل البيت، حتى وأنا أطبخ أو أتناول طعامي.

كان هذا الألبوم يضمّ مقطوعات بيانو لأكثر من عازف، لكنّني استمعتُ إلى تهويدة شوبان تلك

مكتبة ياسمين

حصرًا. صورة الغلاف لفنّانٍ في شبابه، يعزف على البيانو، ووراءه خلفيّةٌ من الأزرق الداكن. ومثلما قال ميتسوتسوكا تمامًا، فالمقطوعة تمتلئ بخواصّ الضوء، وكأنّها تُشير برفقٍ إلى شيءٍ ما، أو تُرشد شيئًا في طريقه. كلُّ صوتٍ يتألّق داخل حجابٍ من الظلمة التي تحيطني عندما أغلق عينيّ. في كرسيّ، أستسلم لعالمِ من الصوت الذي لا يمكن وصفه إلّا بالمتلألئ. تدور رأسي، وتثقل أنفاسي، بينما تتسلّق قدماي درجًا تتلاشى درجاته بالتدريج. تستقرُّ كلُّ خطوةٍ على صفحةٍ من ضوء، فتتلألأ في اللحظة التي يلمسها باطن قدمي، ثم تتلاشى متحوّلةً إلى غبار نجومٍ حين تتركها قدمي، لتعود إلى الحياة مرّةً أخرى مع الخطوة الجديدة، مشيرةً بِرِقّةٍ إلى الطريق التي أمشي فيها. دَرجُ ضوءٍ حلزونيّ، يتعرّج ببطء، ويخترق الظلام بحرّيّةٍ إلى الأعلى. ورغم أنّني لم أكن واثقةً إلى أين سيأخذني، أو ما الذي سأعثر عليه حين أصل، إلّا أنّني كنتُ أعرف، طيلة فترة استماعي إلى الموسيقى، أنّه لا يوجد ما أخاف منه، وأنّ بإمكاني الذهاب إلى أيّ مكانٍ أريده. أصعد دَرَجةً تلو الأخرى، وأمرّر الجزء الناعم من أصابعي على كلّ نغمةٍ لامعة. أخيطها في قلادةٍ أضعها على صدري، أو أمسكها بيديّ كلتيهما وأفردها لتتحوّل إلى صورة طوقٍ من الضوء يمكنني الدخول إليه، والانتقال عبره، مرّةً تلو أخرى. أخذتُ نفسًا هائلًا، فتلألأ صدري الشفّاف بالضوء، وكأنّني ابتلعتُ سديمًا على بُعد عشرات الآلاف من السنوات الضوئيّة. يتلألأ زفيري بسديم الضوء، يحوم حولي،

مكتبة ياسمين

وعندما أمدّ يديّ لأمسكه بهما، وأخذ نفسًا عميقًا آخر، تشعّ ذراعاي وحلقي من الداخل، وصولًا إلى راحتي يديّ. أنظر إليهما، وأجدهما يحلّقان في الفضاء. أغلق عينيّ، وأمسك بذراعيّ، وأهزّ جسدي وراسي بكلّ الطرق الممكنة. أرقص، وأقلّب الضوء، بينما أرقص فالسًا لا نهاية له في أنحاء شقّتي.

كلّ خميس أذهب إلى المقهى لأقابل ميتسوتسوكا.

في أوقاتٍ نادرة، نرى بعض الزبائن الآخرين. لكن يقتصر الزبائن علينا أنا وهو في العادة. أخذ ميتسوتسوكا وقته في شُرب قهوته. وحاولت أن أشرب شايي المثلّج بالسرعة نفسها، غير راغبةٍ في أن يمتزج بسرعةٍ مع الكحول الذي أشربه منذ الصباح. أصرّ ميتسوتسوكا منذ البداية على أن يدفع، لكنّني اقترحت أن نتبادل أدوار الدفع. كنت أجده هناك كلّ خميس، كما قال تمامًا. ولم يمضِ وقت طويلٌ على لقائنا حتى بدأنا الحديث في مختلف أنواع المواضيع.

كنّا نُمضي معًا قرابة ثلاث ساعاتٍ كلّ أسبوع، يتحدّث ميتسوتسوكا في أغلبها عن الفيزياء، رغم أنّني لم أكن قادرةً على فهم معظم ما يقول.

سألته في إحدى المرّات بشكلٍ عرضيّ عن أصغر شيءٍ في العالم، فأمضى ساعةً يشرح لي كلّ أنواع الأجسام، بالطريقة نفسها التي يمكن للأستاذ أن يشرح فيها ذلك لتلميذه. شرح لي ماهيّة الجسيمات الأوّليّة، التي لا يمكن تكسيرها إلى جزيئاتٍ أصغر منها، والمثال على ذلك هو الكواركس والليبتونات،

مكتبة ياسمين

التي جرى تصنيفها بعد ذلك في «نكهاتٍ» مختلفة، أو أنواعٍ مختلفة. شرح لي أنّ رقم ثلاثة له أهمّيّةٌ غامضةٌ في علوم الفيزياء، فالكواركس والليبتونات توضع في مجموعات، ولأسبابٍ لا يعرفها، فهناك ثلاث مجموعاتٍ من الـ«نكهات». قلتُ له إنّني أظنّ أنّ كلمة كوارك ظريفةٌ بدرجةٍ كبيرةٍ على أن يحمل جزيءٌ اسمها، فردّ بأنّني أشعر بذلك بسبب طريقة هجاء الكلمة فحسب. وشرح أنّ الجزيء قد حصل على هذا الاسم من الطريقة التي يغنّي بها أحد الطيور ثلاث مرّات: «كوارك، كوارك، كوارك»، في روايةٍ غريبةٍ اسمها جنازة آل فينيغان، كُتبت باللغة الإنكليزيّة، لكنّها تضمّنت كلماتٍ من لغاتٍ أخرى، من أماكن مختلفةٍ حول العالم. أخبرني كذلك عن المدرسة الفكريّة التي ترى أنّ أصغر موادّ الكون ليست على هيئة جزيئات، بل أوتار. ثم عرّفني على الفكرة التي تقول بوجود احتمالٍ بأن نكون كلّنا مصنوعون من أوتارٍ متناهية الضآلة، قد تتضمّن في الواقع أبعادًا لا تُحصى، صغيرة الحجم إلى درجةٍ يصعب علينا استيعابها. كنت مفتونةً بما أسمع، ولم أستطِع فعل ما هو أكثر من الإيماء، ثم الإيماء أكثر.

يجلس ميتسوتسوكا على المقعد نفسه دائمًا، مرتديًا سترة البولو الباهتة نفسها، وحاملًا حقيبة الكتف نفسها، بزواياها المنسّلة. لم يكن ميتسوتسوكا يسمع أسئلتي البلهاء باهتمام، بل كان يضحك من وقتٍ إلى آخر، بشكلٍ يبدو معه أنّه يحظى بوقتٍ طيّب.

كان يحكي لي أحيانًا أشياء تحدث في المدرسة

مكتبة ياسمين

الثانويّة التي يُدرّس فيها. كانت مدرسته متقدّمة على نحوٍ ملحوظٍ في الإجراءات التي تتّخذها لمواجهة التحرّش الجنسيّ، ومنع حدوثه، وكذلك استغلال السلطة، حتى أصبحوا يُوصفون، في أكثر من مرّة، بالمدرسة النموذجيّة. ونتيجةً لذلك، فقد أصبح ميتسوتسوكا خبيرًا في هذه المسائل. أيّ بابٍ مُتاحٍ للتلاميذ ينبغي أن يبقى مفتوحًا طيلة الوقت. ومن المحظور على التلاميذ والأساتذة أن يمضوا أيّ وقتٍ معًا وحدهم، سواء أخارج المدرسة أو داخلها. ولا يُسمح للمدرّسين أن يخاطبوا تلاميذهم بأسمائهم الأولى حتى.

سألت، وأنا أتحدّث عبر الضباب المحيط برأسي: «حقًّا؟ لم تكن هذه الأمور تحدث وأنا طفلة».

«الأمور مختلفةٌ الآن».

«لكن، لا أعرف... أنتَ دائمًا...».

«نعم؟».

كادت تصيبني حازوقة، لكنّني أكملت:

«دائمًا ما تُعلّمني أشياء جديدة... حتى وأنا كبيرة، كما هو واضح، على المدرسة الثانويّة».

قال ميتسوتسكا وهو يضحك: «صحيح».

قلت وأنا أثبّت ابتسامةً صغيرةً على وجهي: «لكنّني أشعر وكأنّ... طالما أنّك تعلّمني أشياء جديدة، فأنا تلميذتك عمليًا».

ردّ ميتسوتسوكا بعد فترة: «لكن لو أنّك تلميذتي، لما استطعنا اللقاء بهذا الشكل».

مكتبة ياسمين

نظرتُ إلى الخارج عبر النافذة بعض الوقت، قبل أن أُعيد انتباهي إلى الطاولة.

أخذتُ نفسًا سريعًا عبر أنفي، فانتشرت رائحة الساكي الخافتة عبر فتحتيه.

«لا أعرف. أظنُّ أنّ هذا هو ما أشعر به، بالنسبة لي. باستثناء أنّني أكبر... ولا شيء أمامي، و... حسنًا، هذه ليست مدرسة».

«لم يخطر ذلك في بالي».

غرقنا في الصمت مرّةً أخرى.

سألني في النهاية: «هل يُشعِرُكِ هذا بعدم الراحة؟».

مصدومةً من الكلمة، كرّرتُها مرّةً أخرى: «عدم الراحة؟».

«أقصد بما أنّكِ ذكرتِ الأمر لتوّكِ، شعوركِ وكأنّكِ تلميذة».

«لا. ليس بهذا الشكل».

سكتنا من جديد.

قال ميتسوتسوكا في النهاية: «حسنًا. المهمُّ أنّكِ تشعرين بالراحة»، ثم أخذ رشفةً من قهوته.

حدّقتُ في الغلاف الورقيّ الذي جاءت فيه شاليمونتي، المكرمش على الطاولة. فُتح الباب مصحوبًا بقرقعةٍ رنّانة، ودخل عامل توصيلٍ يحمل صندوقًا من الورق المقوّى، كبيرًا إلى درجة أنّه كان يجد صعوبةً في النظر من فوقه. وبينما كان المالك

مكتبة ياسمين

الملتحي يوقّع قسيمة الاستلام، قال عامل التوصيل ما يبدو أنّه نكتة، وضحكا معًا. أخذ رجل التوصيل القسيمة، وتأكّد من أنّ كلّ شيءٍ في مكانه، ثم شكر المالك بصيحةٍ مرحة، وخرج سريعًا من المقهى.

«ميتسوتسوكا؟».

«نعم».

«أظنّني ربّما أشعر... بقليلٍ من عدم الارتياح».

تحدّثت بصوتٍ خفيض، وأنا أرى الباب يتأرجح منغلقًا. بعد أن قلتُ تلك الجملة، شعرتُ بضوضاء غليظةٍ تصعد من حلقي، وشعرتُ بيديّ تحيطان بحلقي في محاولةٍ لمنع ذلك من الانسكاب خارج جسدي.

قال ميتسوتسوكا: «فهمت. تعالي نأخذ خطواتٍ لحلّ هذه المشكلة».

لم أستطِع النظر إلى ميتسوتسوكا في عينيه، لذا نظرتُ إلى الخارج. وعندما لم يَعُد هناك ما أنظر إليه، حوّلتُ نظري إلى كوبي، الذي كان الثلج قد ذاب فيه، تاركًا شايًا عديم اللون إلى درجةٍ ما.

في النهاية سمعته يقول: «فهمت. سأتوقّف عن مناداتك آنسة آيري. ما رأيك؟ فويوكو؟».

رفعتُ رأسي ونظرتُ إلى وجه ميتسوتسوكا.

«لا يُسمح لي بمناداة تلاميذي بأسمائهم الأولى، لذا سيُبقي هذا الأمور في نصابها».

«حسن».

مكتبة ياسمين

«ومرّةً أخرى، نحن نلتقي بهذا الشكل، وهذا شيءٌ لا يمكن أن يحدث أبدًا مع تلميذة».

«نعم».

«هل يبدو هذا مناسبًا لكِ؟».

«نعم».

«وأنت لم تنادني سينسي أبدًا، على كلّ حال».

«صحيح».

«ولو وجدنا ما هو أفضل، فسنتعامل على أساسه».

«حسنًا».

«ما رأيكِ؟ هل هذا مناسب؟».

«... حسنًا».

لم أستطِع النظر إلى ميتسوتسوكا مرّةً أخرى. أبقيت رأسي كما هو، وقلت حسنًا لمرّةٍ أخيرة، ثم هززت رأسي مرّةً تلو الأخرى.

فور أن تركنا هذا وراءنا، وأصبح ميتسوتسوكا يناديني فويوكو، بدأنا نلتقي طيلة الوقت. لم تكن رحلاتي الأسبوعيّة إلى المقهى للّقاء به في أمسيات الخميس مرتَّبًا لها، أو مُتّفقًا عليها، بطريقةٍ رسميّةٍ على الأقلّ. لكن سريعًا ما أُضيفت إليها أمسيات الأحد، وأصبحت أرى ميتسوتسوكا مرّتين في الأسبوع.

عرفت أنّه في الخمسين من عمره، وأنّ تاريخ ميلاده هو العاشر من كانون الأول/ديسمبر، وأنّه حصل على رقمٍ قياسيٍّ في لعبة «سبايس إنفيدرز»

مكتبة ياسمين

حين كان أصغر في السنّ، وأنّه لا يفضّل أو يكره طعامًا بعينه، وأنّه نادرًا ما يأكل وجباتٍ خفيفةً بين الوجبات الرئيسيّة، وأنّه لعب كرة السلّة لفترةٍ قصيرةٍ أيّام دراسته، وأنّه لا يهتمُّ بالموسيقى الشعبيّة، وأنّه وُلد في طوكيو، وأنّ طوله مترًا وسبعين سنتيمترًا، وأنّه لم يكسر عظمةً في جسمه، أو حتى يُجرح إلى درجةٍ تستدعي الخياطة، وأنّ زُمرة دمه هي A. أخبرتُهُ بأنّني نشأت في ناغانو، وأنّ عيد ميلادي هو ليلة عيد الميلاد، وأنّني لم أذهب إلى أيّ مكانٍ هذا الصيف، وأنّني أصاب بصداعٍ خفيفٍ كلّما تناولت الأنكو، وأنّني تعرّضت لحادث سيّارةٍ وأنا طفلة، حين كنت أركب الدرّاجة، وغِبتُ عن رحلةٍ مدرسيّةٍ بسبب إصابتي بالتهاب الزائدة الدوديّة، وأنّ هناك حديقةً صغيرةً خلف العمارة التي أسكن فيها. أخبرته أيضًا بأنّني لا أموّج شعري أبدًا، وأنّني لم أغادر اليابان. ثم أخبرني بأنّ خطّ شعره بدأ في التراجع حين كان في أواخر ثلاثينيّاته. وفي لحظةٍ معيّنة، مارس أمامي خدعة بأوراق اللعب، لكنّني عرفت الخدعة من المحاولة الأولى. احمرّ وجهه معترفًا بعدم نجاح خدعته. وفي المرّة التالية التي التقينا فيها، أحضر لي كتابًا فيه أنواع الخدع السحريّة كلّها. وحين كانت قدمانا تصطدمان تحت الطاولة، كنّا ننطلق في سلسلةٍ من الاعتذارات، تليها فترة صمتٍ متوقّعة. في غالبها، كانت الأشياء التي تشاركناها طفوليّة، لكنّها أصبحت مع الوقت حجر الأساس الذي قامت عليه علاقتنا، ما جعلني أشعر وكأنّني أضع علاماتٍ معيّنة

مكتبة ياسمين

في ذاكرته.

لكنّني لم أعرف إلّا القليل من الأشياء التي أردتُ معرفتها حقًّا عن ميتسوتسوكا. لم تجد الأسئلة طريقها في صورة كلماتٍ أبدًا. ليس الأمر أنّه كان يَصعب عليّ السؤال، بل على العكس. لكنّني لم أستطع نطق الكلمات ببساطة.

كان الجوّ شديد الهدوء في طريقنا إلى المحطّة.

ما كان أيّ شخصٍ آخر ليراه طريقًا عاديّةً من المساء إلى الليل، كان غسقًا أزرق اللون تحرّكنا فيه وكأنّنا نخلق طريقنا الخاصّة، لحظة لمعتُ فيها أنا وميتسوتسوكا باللون نفسه. في كلّ مرّةٍ كان يودّعني ملوّحًا بالطريقة نفسها، ثم يختفي عند الناصية ويصعد الدّرج. كان هناك شيئًا أتمنّى دائمًا لو أنّني قد قلته، شيئًا آخر أردتُ أن أتشاركه معه. ولكن قبل أن أعثر على الكلمات وأرسِلها عبر الهواء، كنت أجده دائمًا عند الناصية، ثم يختفي.

***

في أوّل يوم إثنين من شهر تشرين الأول/أكتوبر، اتّصلت بي هيجيري لتسألني عن الأحوال. بين فترة أعياد أوبون ونهاية شهر أيلول/سبتمبر، تلقّيتُ من المخطوطات ما يقلّ بكثيرٍ عن العادة. أطفأتُ التهويدة، وضغطتُ التليفون على أذني، ثم أومأتُ استجابةً للقوّة التي كانت تتحدّث بها. ولاحظتُ أنّه قد مرّ وقتٌ منذ تحدّثنا أنا وهي آخر مرّة.

«كلّ شيءٍ متأخّرٌ عن جدول التسليمات. كنتُ أتوقّع أن تهلّ علينا هذه المسوّدات خلال فترة

مكتبة ياسمين

الصيف، لكنك تعرفين الكتّاب وعاداتهم! على كلّ حال، يبدو أنّ الأمور ستكون مزدحمة خلال شهري تشرين الأول/أكتوبر وتشرين الثاني/نوفمبر، لذا فقد أحتاج إلى إرسال الكثير من العمل لك. هل يناسبك هذا؟».

أعطتني جدول الشهور المقبلة، وكنت أومئ برأسي وأنا أكتب بعض الملاحظات في التقويم. بعد أن انتهينا من الحديث عن العمل، بدأت هيجيري تخبرني بتفاصيل ما كانت تفعله خارج أوقات العمل. وبينما كنت أستمع إليها، رأيت كيوكو أمامي، صورةَ وجهها، وإحساسَ صوتها، في تلك الأمسية البعيدة.

قالت هيجيري: «أعرف أنّكِ قلتِ إنّكِ لن تذهبي إلى أيّ مكانٍ هذا الصيف، لكن كيف كان شهر أيلول/سبتمبر؟».

«بقيت في المنزل».

سألتني هيجيري بصوتٍ عالي النبرة على نحوٍ مُبالَغٍ فيه: «لم تذهبي إلى أيّ مكانٍ فعلًا؟».

«فعلًا».

«أظنّكِ قلتِ بالفعل إنّك لن تعودي إلى ناغانو».

«ماذا عنك؟».

«لا أعرف. فعلت أيّ شيءٍ وحسب».

«أيّ شيء؟».

«نعم. بعض العمل. قابلت بعض الناس. خرجت لتناول الطعام. الأشياء العاديّة. فعلًا».

مكتبة ياسمين

سألت: «ما الذي حدث مع رجل الفيل؟».

سألت هيجيري: «رجل الفيل؟ آه، تقصدين ذاك. الأمر معقّد بعض الشيء، لكنّنا لا نزال نلتقي أحيانًا».

«حقًّا؟».

«فعلنا ذلك لفترة. كنت أفكّر في أنّ علينا التوقّف عن ذلك، لكن بمجرّد أن بدأت التفكير بهذه الطريقة انزاح عنّي كلُّ الضغط. غريب، أليس كذلك؟».

«نعم».

«أنا واثقةٌ من أنّه يشعر بالمِثل. بيننا كيمياء لطيفة، وهذا ما يساعد. لكن يبدو أنّ الأمر يستمرّ لفتراتٍ طويلة. هل تفهمين قصدي؟».

كانت هيجيري تتحدّث كما لو أنّها تتحدّث عن حياة شخصٍ آخر.

قلت: «يبدو هذا صعبًا»، بينما أنظر إلى التقويم، حيث رسمتُ دوائر على التواريخ التي رأيت فيها ميتسوتسوكا في المقهى.

بدت هيجيري متحيّرةً وهي تسألني: «ما الذي تقصدينه؟ ما قلته للتوّ؟».

سألت وأنا حريصةٌ على ألّا يخرج الكلام منّي بسرعةٍ أكبر من اللازم: «... أقصد أنّك مشغولةٌ بالفعل. لكن... حسنًا... ألم تقولي إنّك ترين أشخاصًا آخرين؟».

قالت بنبرةٍ تعني أنّ الأمر لا يهمّها كثيرًا: «نوعًا ما. لكن ليس هذا ما يمكنني أن أصفه بالصعب على كلّ

مكتبة ياسمين

حال».

ضحكت هيجيري، ثم قالت:

«ليس الأمر وكأنّنا نلتقي من أجل العمل، أو أيّ شيءٍ كهذا. لو لم أرغب في رؤيتهم، سأتوقّف ببساطة».

«لكن ألم تقولي إنّهم يعجبونك؟ يبدو هذا صعبًا، بالنسبة لي على الأقلّ».

«إنّه ليس كذلك بالنسبة لي، صدقًا».

«فعلًا؟».

«نعم. نحن لا نلتقي إلّا حين أريد ذلك».

«فهمت».

«ألم أقل لكِ ذلك في المرّة الماضية؟ على كلّ حال، ما يشغل تفكيري حاليًا هو المال الذي أنفقته. أوّلًا الرحلة، ثم اشتريت مجموعةً من مستحضرات العناية بالبشرة، إلى جانب زوج أحذيةٍ أعجبتني، الموديل نفسه بألوانٍ مختلفة. أعرف أنّ هذا غباء، لكنّني اشتريت لنفسي معطفًا آخر حين ظهرت تشكيلة الشتاء. بمجرّد أن يبدأ المرء، يصعب عليه التوقّف. في كلّ عامٍ أتساءل إلى متى سأتمكّن من فعل ذلك، لكنّني أعرف أنّني أفعل ذلك لأنّني أحبّه، صحيح؟ لا جدوى من مقاومة الأمر. هل تفهمين قصدي؟».

ضحكت هيجيري وكأنّها تستمتع بوقتها.

«ها... هل تتذكّرين حين خرجنا لتناول بعض الشراب منذ وقت؟ حين كنت أرتدي معطف

مكتبة ياسمين

الكارديغان؟».

«نعم. أتذكّر ذلك».

«الرماديّ».

«نعم. أعرف ما الذي تتحدّثين عنه».

«هل تريدينه؟».

«ماذا تقصدين؟».

«حسنًا... لقد عبّرتِ عن إعجابكِ الشديد به. أنتِ تذكرينه، صحيح؟ المعطف ذو الخرز على الصدر، هذا الكارديغان. اشتريث واحدًا آخر يشبهه بعض الشيء، لذا تساءلث إذا ما كنتِ تريدين ذلك المعطف».

بدأتُ الحديث بـ«أعني...»، لكنّ هذا كان كلّ ما استطعتُ قوله. لم أستطِع التفكير في شيءٍ أرتديه ليناسب قطعة ملابس بهذا الجمال، أو متى سأتمكّن من ارتدائها أصلًا. قلث لها:

«هذا لطفٌ بالغٌ منكِ. لكنّني لا أظنُّ أنّه سيبدو جيّدًا عليَ».

بدا على هيجيري عدم الاقتناع وهي تسألني: «لماذا؟»، ثم تُكمل:

«الكارديغان هو الكارديغان. لا يبدو جيّدًا ولا سيّئًا على أيّ إنسان. أنت تلبسينه فحسب. هذا كلُّ شيء».

عبثًا حاولث الخروج بإجابة... «لكن...»، قاطعتني هيجيري لتقول إنّ لديها بعض الأشياء الأخرى التي

مكتبة ياسمين

ترغب في إرسالها لي، وأنّ بإمكاني الاحتفاظ بما أريده منها، والتخلّي عن الباقي.

ثم أغلقتِ الخطّ.

ـ 9 ـ

«خمسة عشر عامًا! شيءٌ لا يُصدّق، أليس كذلك؟».

ابتسمت لي نوريكو هاياكاوا ابتسامةً تكاد تكون خجولًا. لم نرَ بعضنا البعض منذ التخرُّج إلّا عدّة مرّات، وانقضى الكثير من الوقت بالفعل. هو شيءٌ لا يُصدّق، هكذا أجبت. ضحكتُ وضحكت نوريكو. أعادني هذا الصوت إلى الماضي فعلًا.

قالت: «أنا سعيدةٌ جدًا لأنّنا تمكّنا من اللقاء. أعرف كم أنتِ مشغولة».

«على العكس تمامًا، كنتُ سعيدةً بأنّكِ اتّصلتِ».

«لم أكن واثقةً من ردّ فعلكِ. أعني، باللّه عليكِ، أنتِ لم تأتِ إلى اجتماع لمّ الشمل. كان هذا من ستّ سنينٍ أو سبع! كنتُ آمل أن أراكِ هناك».

«أوه. أنا آسفة».

هزّتْ نوريكو رأسها، ثم تلفّتتْ حولها في أنحاء المطعم.

«لا يمكنني أن أتذكّر آخر مرّةٍ كنت فيها في طوكيو. هل مضت عشرة أعوام؟ كنت أتمنّى أن أتمكّن من القول إنّها تبدو مختلفة، لكنّني لا أتذكّر أيّ شيءٍ عن آخر مرّةٍ جئتُ فيها إلى هنا».

«هذا هو ما أشعر به بالضبط. أشعر بذلك تمامًا، وأنا أعيش هنا أصلًا».

سألتني نوريكو: «هل تأتين إلى هذا الجزء من المدينة كثيرًا؟». أجبتُ بالنفي، ليس كثيرًا، بالكاد

مكتبة ياسمين

اتي إلى هنا. وعند هذه اللحظة وصلت السباغيتي التي طلبناها إلى المائدة.

اتسعت عينا نوريكو وهي تقول: «إنّهم يُحضرون الطلبات بسرعة، أليس كذلك؟».

«أها».

«هاراجوكو مزدحمةٌ جدًا. تلك الرؤوس كلُها، تبدو مثل ضفائر متعرّجةٍ على تمثالِ عملاقٍ لبوذا».

كانت نوريكو ترسل لي بطاقات عيد الميلاد كلّ بضع سنين، ربّما كلّما تذكّرت، وعن طريق بطاقات المعايدة تلك عرفتُ أنّها تزوّجت، وأنّ عندها طفلين. كتبتُ لها عدّة مرّاتٍ بدوري. هكذا بقينا أنا وهي على تواصلٍ طيلة هذه السنوات، لكنّنا لم نتحدّث أبدًا عبر الهاتف. لذا فعندما اتّصلت بي الأسبوع الماضي، ورغم أنّ اسمها ظهر أمامي على شاشة الهاتف، فقد استغرق الأمر منّي عدّة ثوانٍ لأدرك من هي.

«كم ستمكثين في طوكيو؟».

«حتى نهار الغد».

كوّنت نوريكو كرةً من السباغيتي حول شوكتها، ثم أخذت قضمةً منها. تغيّر وجهها بعد ذلك، كأنّها تفاجأت من لذّة طعمها. «هذا مذهل، ليس لدينا هذه السلاسة في مدينتي».

أخذتُ قضمةً من السباغيتي بدوري، ثم أومأتُ وأنا أسألها: «كيف كانت ديزني لاند؟».

«مزدحمةٌ للغاية. كانت المرّة الأولى لنا جميعًا، لذا فلم يكن أحدٌ يعرف ما الذي يجب أن نفعله، أو إلى

مكتبة ياسمين

أين يفترض أن نذهب. لكنّنا استطعنا رؤية موكب الاستعراض على الأقلّ. كان هذا لطيفًا».

وجودي مع نوريكو أشعرني بقليلٍ من الارتباك، في مكانٍ ليس لدينا فيه أيّ تاريخٍ مشترك.

بدت نوريكو قلقةً وهي تسألني:

«انظري كم أنتِ نحيفة. ألا تأكلين جيّدًا؟».

قلت وأنا ابتسم: «بلى، بالطبع».

«حقًّا؟ طالما أنّ هذا صحيح، تبدين مختلفةً فحسب».

النوريكو التي أراها الآن أمامي أكثر بدانةً بكثيرٍ من النوريكو التي أتذكّرها. بدت كأنّها شخصٌ مختلفٌ تمامًا. وكانت أكمام الكارديغان الذي ترتديه ضيّقةً بشكلٍ لافتٍ حول الجزء العُلويّ من ذراعيها.

قَرَصت نوريكو الجزء الأماميّ من الكارديغان الذي ترتديه، وقالت:

«ها ! انظري! ما زلنا نصنع هذه الأشياء، هل تذكرين؟».

ضحكتُ وأنا أقول: «طبعًا».

«لكن انظري إلى نفسك. أحبّ شكلكِ. لا بُدّ أنّ تلك الكنزة كلّفتكِ الكثير».

«ليس إلى هذه الدرجة».

خرج منّي ما يشبه الضحكة، وأنا ألمس الخرز المنتشر على صدري.

سألتُ: «كيف حال الناس عندك في البيت؟».

مكتبة ياسمين

ضحكت نوريكو بعد تنهيدةٍ أخرجتها وهي تقول: «إنّهم بخير... في هذه الأيّام، تُصنّع أغلب الشركات بضاعتها في الصين لتقليل التكاليف. الإنتاج أقلّ بكثيرٍ ممّا كان عليه في الماضي. بالكاد نقف على قدمينا، وأهلي تقاعدوا كلّهم الآن».

نوافذ الطابق الثاني، حيث جلسنا، مفتوحةٌ على شوارع هاراجوكو المزدحمة. أشخاصٌ يمشون في الشارع. تعاقبٌ من الإشارات المضاءة بكلّ الألوان التي يمكن تخيّلها. فكّرتُ في أنّ كلّ الألوان التي أراها هي الألوان التي تُركت. أين تذهب الألوان الحقيقيّة؟ كنتُ أعرف ما شرحه لي ميتسوتسوكا سابقًا بصورةٍ واضحة، وشعرتُ بالإحباط من كوني غير قادرةٍ على التذكُّر الآن. الدرّاجات محشورةٌ إلى جانب بعضها البعض على الرصيف أسفلنا. راقبتُ فتاةً صغيرةً تمرّ تحتنا، وتلقي عبوةً بلاستيكيّةً في واحدةٍ من السلال الأماميّة.

تناولنا السباغيتي. حكتْ لي نوريكو عن حياتها، وأخبرتُها عن عملي كمدقّقة. قالت لي إنّني لطالما أحببتُ الكتب، وأجبتُها ليس تمامًا. ردّتْ لا أعرف، هذا ما أتذكّرك عليه بالتأكيد. ثم لفّتْ شوكتها على بعض السباغيتي، ورفعتها إلى فمها.

عندما قُدّمت القهوة بعد العشاء، أطلقتْ نوريكو تنهيدةً أخرى.

«... على كلّ حال، هذا هو ما أفكّر فيه. لا أعرف ماذا أفعل».

«لكن كانت هناك بالتأكيد بعض الأيّام الجيّدة،

مكتبة ياسمين

أليس كذلك؟».

هزّت نوريكو كتفيها.

«أوقاتٌ جيّدة... ما الذي يعنيه هذا أصلًا؟ عندما يُكمل المرء عشر سنواتٍ من الزواج، يفقد قدرته على تتبُّع الأشياء».

قالت نوريكو وهي تضحك:

«لن تُفيد الشكوى. على كلِّ حال... هكذا هي الأمور على ما أظنّ. عشر سنواتٍ أو عشرون من الشيء نفسه، كلَّ يوم، حتى يصبح الإنسان غير قادرٍ على الاستمرار لِمَا هو أبعد من ذلك. ثم ينتهي كلُّ شيء».

«هل كان هناك شيءٌ آخر تفضّلين فعله؟».

«لا. لكن ليس هذا ما أتحدّث عنه... على ما أظنّ».

«آه».

«هل تعرفين ما حدث حين استقلتُ من وظيفتي؟ حينما تزوّجتُ وحملتُ بطفلي الأوّل؟ حسنًا. أتساءل أحيانًا إن كان ذلك هو القرار الأفضل. أقصد أنّها كانت وظيفةً لم أمانع التخلّي عنها، لذا فلم أندم على تركها. على شخصٍ ما أن يتولّى العناية بالأمور في المنزل. وبالتفكير المنطقيّ، وجدتُ أنّ من المنطقيّ أن أكون أنا الشخص الذي يتخلّى عن عمله، ليبقى في المنزل مع الأولاد. أعرف أنّه من المتأخّر قول شيءٍ كهذا... لكن فكرة أنّني لا أملك مالي الخاصّ، الذي أتصرّف فيه كما يحلو لي، هو أمرٌ مثيرٌ للإحباط. حسنًا، هذا متأخّرٌ جدًّا... يا إلهي، ليس هذا بالموضوع الذي يجدر بي الحديث عنه.

مكتبة ياسمين

اسفة».

نظرت نوريكو إليّ بطريقةٍ قلقة، وضحكت. هززتُ رأسي وقلت إنّني لا أمانع.

«من البديهيّ... عندنا طفلان الآن، وقد أصبحتُ أمًّا بالكامل، وزوجي أبٌ بالكامل. وهذا هو كلُّ شيء. هل تعرفين ما الذي أقصده؟ هذا يكفي، وكلُّ شيء، لكن هذا هو بالتعريف ما نحن عليه. يُخيفني التفكير فيما ستكون عليه الأمور بعد أن يكبر ولدانا. حين تغادر ابنتي المنزل، ما الذي سيبقى منّا؟ أحيانًا نجد نفسينا وحدنا، أنا وهو فحسب. أحيانًا. وعندما يحدث ذلك، لا نجد ما نتحدّث عنه. لا شيء على الإطلاق. كلُّ ما نتحدّث عنه هو طفلانا، أو ربّما شيئًا رأيناه في التلفاز، أو والدانا».

«نعم».

«... ثم الجنس».

بدا من الطريقة التي قالت بها نوريكو هذه الجملة وكأنّها تجد صعوبةً في نطقها.

«لم نفعل ذلك منذ حملت آخر مرّة. ولا مرّة. لا أصدّق أنّني أقول لكِ ذلك. على كلّ حال، أظنّ أنّنا... ربّما... لم نرِد أبدًا أن نمارس الجنس. وكأنّه اختفى من الوجود. على الأقلّ بيننا».

أومأت برأسي، من دون أن أرسل لها رسالةً بعينها.

«... في العالم، توجد كلُّ أنواع الزيجات الخالية من الجنس، على كلّ حال. مثلًا، أحدكم يريد، يريد أن يفعلها، لكنّ الآخر ليس في مزاجٍ ملائم. لا

مكتبة ياسمين

يزال هنا بصيصٌ من الأمل. أعرف أنّه من القاسي أن يتعرّض الإنسان للرفض، لكن لا يزال بالإمكان التفكير في الأمر. لا تزال هناك مساحةٌ لتحسين الأمور».

أومأتُ برأسي.

«لكن فيما بيننا، لم يعُد أيٌّ منّا يرغب في الآخر بهذه الطريقة، وهذه هي المشكلة الحقيقيّة. الجنس غير موجودٍ في بيتنا. ذكرتُ الأمر لعدّة أصدقاء، من خلال سؤالٍ عابرٍ عن رأيهم في الأزواج الذين يعانون من مشاكل في حياتهم الجنسيّة، قائلةً إنّها تبدو مشكلةً شائعةً للغاية، من دون أن أشير إلى نفسي. لكنّ ردود أفعالهم كانت دائمًا... نعم بالطبع، وكأنّ من الغريب أن يمارس المرء الجنس بمجرّد أن يكوّن أسرة. ستذهلين من كمّ الأشخاص الذين ينظرون إلى الأمر بهذه الطريقة في الواقع. وأظنّ أنّ هذا هو المكان الذي أقف فيه الآن. لا أفكّر في الأمر كثيرًا، أو أفكّر في أنّه طبيعيّ، أو أيّ شيءٍ من هذا. لكن حين أبدأ التفكير في الأمر، ففكرة عدم ممارسة الجنس مع أيّ شخصٍ مرّةً أخرى إلى الأبد، حتى نهاية حياتي... حتى أموت... ما الطبيعيّ في ذلك؟».

«نعم».

«ما رأيك؟ لو كنت في مكاني... ما الذي ستختارينه؟».

شعرتُ بالحيرة، فسألت: «أختار؟ بين ماذا وماذا؟».

مكتبة ياسمين

مالت نوريكو إلى الأمام، وقرّبت وجهها من وجهي، وقالت:

«أنتِ تفهمين قصدي... أن تعيشي حياتك من دون جنس، من دون إثارةٍ أو استمتاع، تمرّرين الأيّام بسلامٍ مثلما تفعل الأمُّ مع أطفالها. أمَ...»

توقّفت نوريكو عن الكلام، وانتظرتُ منها أن تُكمل.

«حسنًا... أظنُّ أنَّ هذا يلخِّص الحياة التي تنتظرني».

ضحكت نوريكو بحِدّة، وأكملت:

«أقصد أنّ هذه هي الحياة التي اخترتُها. أنا من طلبتُ ذلك. ربّما كان بإمكاننا، كزوجَين، أن نفعل أشياء تمنع حدوث ذلك. أن نحاول أكثر، أو شيئًا كهذا. لكنّنا لم نفعل».

هززتُ رأسي عدّة مرّات، مشيرةً إلى اتّفاقي مع هذه الفكرة.

«لكن، حسنًا، لو كنتُ لا أزال في وظيفةٍ ما، وربّما مع بعض المال في المصرف، فأظنّني كنتُ سأهجره في الغالب، حتى مع وجود طفلين. المشكلة هي أنّ الوظيفة الجزئيّة لن تكون كافيةً أبدًا مع وجوب رعاية الطفلين. لا توجد طريقةٌ للعيش. بالإضافة إلى نقطةٍ أخرى، وهي أنّ الأطفال ليس لهم ذنب، ولا يستحقّون ذلك».

«بصراحة، ليست لديّ أدنى فكرةٍ كيف تستطيع الأمّهات العزباوات فعل ذلك... العمل ورعاية أطفالهنّ».

مكتبة ياسمين

قلتُ تلك الفكرة بمجرّد أن خطرت في رأسي، ورأيت نوريكو وهي تتوتّر، ولو أنّ ذلك لم يستمرّ إلّا ثانية. عَبر بطاولتنا زوجان ومعهما طفل. تعثّر الطفل وسقط برأسه على الأرض، ثم بدأ البكاء وكأنّ النار قد مسّته. ألقت نوريكو نظرةً خاطفةً على العائلة، ثم أعادت نظرها إلى طاولتنا وأخذت نفَسًا عميقًا عبر أنفها، قبل أن تستكمل ما كانت تقول، من دون تعليقٍ على ما قلته قبل لحظات.

قالت: «زوجي يخونني».

اندهشت فعلًا وأنا أسأل: «حقًّا؟».

«لهذا لا يحدث أيّ شيءٍ في البيت».

مزّقت نوريكو القمّة الورقيّة لمظروف السكّر، ثم أفرغته في كوب القهوة نصف الممتلئ، ثم مزجتهما بعدّة تقليباتٍ من ملعقتها.

«هل يعرف زوجكِ... مم... أنّكِ تعرفين؟».

«ممم. من المؤكّد أنّه يعرف أنّني أعرف شيئًا ما، لكنّني لم أواجهه. أنا واثقةٌ من أنّني سأعثر على كلّ أنواع الأدلّة. لكن أظنّ أنّني لست من هذا النوع من الأشخاص. أعرف هذه المرأة، من تويتر. هل تتواجدين على تويتر؟ يكتب الناس هناك كلّ أنواع الهراء عديم المعنى. فكّرت بأنّني ربّما أستطيع العثور عليها، لذا بحثت. وها هي هناك. تستخدم اسمها الحقيقيَ. أستطيع الآن متابعة كلّ ما تفعله في يومها».

«حقًّا؟».

مكتبة ياسمين

«يتخلّى الناس عن حذرهم حقًا في ذلك المكان. جنون. لو قرأت تغريدات شخصٍ ما، ستتمكّنين من معرفة كلّ شيءٍ أردت معرفته في حياتك عن هذا الشخص. أين عاش والداه، كيف يبدو أطفاله، ماذا يفعل أصدقاؤه، أين سيذهب في الإجازة القادمة. كلّ شيء. أظنُّ أنّه لم يخطر في بالها حتى أنّني أقرأ تغريداتها يوميًا».

وافقتُها قائلةً: «نعم».

«على أيّ حال، لا جدوى من إجبار زوجي على الاعتراف بما يحدث. لن يغيّر هذا من الأمر شيئًا».

أومأتُ.

قالت نوريكو، وثمّة ابتسامةٌ في عينيها: «إلى جانب ذلك، فلستُ في موقعٍ يسمح لي بالكلام. هل حكيتُ لكِ أنّني ذهبتُ إلى لقاء لمّ الشمل؟ حسنًا. قابلتُ رجلًا هناك، وتكلّمنا، ثم حدثتِ الأمور فحسب. لم يكن غريبًا تمامًا، لكن نعم... شيءٌ أدّى إلى شيءٍ آخر، وحدثتِ الأمور بسرعة».

«مع شخصٍ كان في صفّنا؟».

«هل تذكرين يوشي؟ لم أتحدّث معه أبدًا في السابق. لكنّ رؤيته هناك، بعد هذا الوقت كلّه، جعل من السهل للغاية الحديث معه. غريبٌ للغاية، مثل لقاء شخصٍ جديد، لكنّه ليس كذلك بالضبط. لقاءات لمّ الشمل غريبةٌ بهذا المعنى».

«وهل عرف زوجك؟».

«ربّما عرف، وربّما لم يعرف. أراهن أنّ الموضوع لا

يهمّه كثيرًا، وهو يعرف أنّ مواجهة الحقائق لن تغيّر شيئًا، لذا يكون من الأفضل أن نتجاوزها. لكنّه شعر بشيءٍ ما بالتأكيد. وعلى مستوى ما، لا يبدو الأمر حقيقيًا في الأصل. أقصد أنّني لا أزال أقابل يوشي. الأمر ممتع. أوه، عنده أطفالٌ أيضًا. الأمور لا بأس بها عنده في المنزل، لكن عنده مشاكل من نوعٍ آخر، ونحن نتحدّث عن هذه الأشياء كذلك. لكن ليس هذا هو المهمَ... نحن نحظى بوقتٍ ممتعٍ حين نلتقي. لا أحبّه، ولا أرغب في أن أكون معه، أو أيّ شيءٍ كهذا. لكن مع الوقت، تصبح الأمور أصعب كلّما التقينا. في كلّ مرّةٍ أراه فيها، لا أعرف... يصبح الأمر أصعب... أعني أنّ الأمر جميل حين نكون معًا، لكن بعدها... لا أعرف كيف أشرح لكِ... تعبيرٌ مثل «ميتة من الداخل» دراميٌ أكثر من اللازم. أشعر بالخدَر فقط، وكأنّ جزءًا منّي يفقد كلّ أنواع المشاعر. لا أطيق البقاء وحدي. أعرف أنّني من يفعل ذلك، لكنّ ذلك يُحزنني للغاية. يصعب عليّ تحديد السبب، لكنّني أعرف أنّ الأمور لا يُفتَرَض أن تكون هكذا».

بقيت نوريكو صامتةً بعض الوقت، تنظر إلى الطاولة.

«وكلّما طال الأمر، شعرت بأنّ هذه ليست حياتي أصلًا. الزوجات الخائنات في كلّ مكان، من يشغل باله بأناسٍ مثلي؟ صحيح؟ ما الذي يفكّرون فيه؟ ما الذي يفعلونه؟ لكن عند مرحلةٍ معيّنة، بدأت أرى نفسي هكذا. على كلّ حال، الأمر عديم المعنى وشديد الغباء، لذا نلتقي من جديد. ثم أشعر بالسوء مما يحدث مرّةً أخرى».

مكتبة ياسمين

صمتت نوريكو مرّةً أخرى، وأبقت عينيها على الطاولة.

«... كما ترين، هذا هو الأمر. أنسى في نهاية المطاف كم يؤلمني ذلك، لذا أتّصل به، ونرى بعضنا، ثم يؤلمني الأمر، في دائرةٍ لا نهائيّة. أحيانًا أعود إلى المنزل وأرى زوجي جالسًا، متسمّرًا أمام التلفزيون، وأتساءل إن كان يشعر بالشيء نفسه، مثلي؛ بأنّ كلّ شيءٍ في حالةٍ من الفوضى، وأنّ الوضع مقرف. لكنّ هذه الفكرة بالذات تجلعني أبدأ البكاء. لا أريده أن يتأذّى، أريده أن يشعر بأنّه بخيرٍ فقط. لا أريد له أن يشعر بما أشعر به. هل تفهمين قصدي؟».

بقينا جالستَين في مكانينا لفترةٍ من الوقت، ننظر عبر النافذة. ثم قطعث نوريكو هذا الصمت:

«لا أصدّق أنّني أخبرتكِ بهذا كلّه. لم أرَكِ منذ سنوات. ربّما كان علينا أن نتحدّث في مواضيع ألطف، مثل، لا أعرف، الأشياء التي كنّا نتحدّث عنها في السابق».

فرَدتْ جسمها، وهزّت رأسها بخفّة، ثم قالت: «آسفة».

«لا بأس، صدقًا، هذه أشياء مهمّة».

«أقدّر لك ذلك. على كلّ حال، أنا متأكّدةٌ من أنّ هذا يبدو سيّئًا، لكنّني أعشق طفليَ. أفضل شيءٍ في الحياة. أشعر بأنّهما الشيء الذي يسمح لي بالاستمرار. بصدقٍ شديد».

مكتبة ياسمين

قلتُ: «نعم».

«لا أعرف كيف أصف الأمر. هو أشبه بأنّك لم تعودي موجودة، وكأنّ حياتكِ تختفي. كلُّ شيءٍ يدور حول الأطفال. لا يهمُّ أيّ شيءٍ آخر. أقصد ذلك. وهناك الكثير ممّا يمكن تعلّمه منهم كذلك».

أشرق وجه نوريكو وهي تسألني: «هل تفكّرين في الإنجاب مستقبلًا؟».

«أطفال؟».

قالت نوريكو بنبرة صوتٍ تحاول أن تكون مقنعة: «ينبغي عليكِ التفكير في ذلك. ينبغي عليكِ إنجاب الأطفال. ألا تفكّرين في الأمر حتى؟».

«لا».

قالت إنّ هذا مؤسف، وكأنّها تتحدّث إلى نفسها، بينما تُنهي كوب قهوتها. ستكونين أمًّا رائعة.

واصلتُ النظر عبر النافذة.

قالت نوريكو بعد فترة:

«... لم أُخبر أحدًا غيركِ عن... حالتنا. بل لم أذكر الأمر نهائيًا ليوشي. لم أقل كلمةً لأحد، ولا حتى أمّهات أصدقاء ابنيَ، ولا أصدقائي. أنتِ الشخص الأوّل».

«واو».

«أتساءل عمّا جعل من السهل عليّ إخباركِ بكلّ هذه الأشياء... ربّما لأنّك لم تعودي إحدى الشخصيّات الرئيسيّة في حياتي».

مكتبة ياسمين

نظرتْ نوريكو إليّ وابتسمت.

«لا أظنّني كنتُ سأقدر على قولِ أيّ شيءٍ لك لو أنّكِ كذلك».

لم يقل كلانا أيّ كلمةٍ لبعض الوقت. وبينما نجلس صامتتين، داهمني صخب المقهى دفعةً واحدة. أطفالٌ يبكون حول الطاولات المحيطة بنا. شخصٌ ما يضع هاتفًا على أذنه ويضحك بصوتٍ عالٍ. مجموعةٌ من شباب الجامعة يتحدّثون بلا توقُّف، وبطاقةٍ لا تنتهي. نادلةٌ تُعيد قراءة طلبٍ بصوتٍ مرتفع. الرنين المتواصل للجرس الإلكترونيّ الذي يضغط عليه الزبائن لطلب خدمةٍ ما. استمعتُ إلى هذه الأصوات التي تملأ المكان حولنا، وقرّرنا أنّ الوقت قد حان للرحيل. نهضنا حاملتين حقيبتَينا، ودفعتْ كلُّ واحدةٍ منّا فاتورتها عند المحاسب. وبينما كنّا على وشك نزول الدّرج، قالت نوريكو شيئًا بدا كأنّه قد خطَرَ في بالها للتوّ.

«مات ذاك الرجل».

استدرتُ لأنظر إلى نوريكو.

«سمعتُ بذلك في اجتماع لمّ الشمل. ذلك الرجل...».

ضمّت نوريكو شفتيها، في محاولةٍ منها لتذكُّر الاسم.

«ماذا كان اسمه؟.. مم... ماذا كان؟».

نظرتُ إلى وجه نوريكو، وأنا عاجزةٌ عن الكلام.

أعادتْ محفظتها إلى الحقيبة، ووقفتْ في مكانها،

مكتبة ياسمين

تضغط بأصابعها على جفنيها، وتقول هيّا، ماذا كان اسمه، مرّةً تلو الأخرى. استطعث سماع نبضي يضرب حول أذنيَ.

«تذكّرت!».

صرخث نوريكو، ونظرث في عينيّ والسعادة باديةً على وجهها.

«كوغا، كان اسمه كوغا. كوغا. لم أتحدّث إليه في حياتي، لكن ربّما تتذكّرينه، أليس كذلك؟ مات. بسبب سرطان الرئة. قبل ستّ سنواتٍ ربّما».

كوغا، قلث من بين أنفاسي المتقطّعة، لكنّني لم أتذكّر أيّ شيء. لا الاسم، ولا الوجه الذي يحمله صاحب الاسم. أطلقث كلّ الهواء الذي في رئتَي.

«واو».

«لا يُصدّق، صحيح؟ لا يهمُّ كم عمركِ، ما أن يصيب المرض رئتيكِ حتى ينتهي الأمر».

نزلنا الدّرج، ونظرث هي إلى الخلف عدّة مرّات، بينما تعطيني كلّ التفاصيل عن موت كوغا. كوغا من فصلنا القديم. كوغا الذي لم يكن له أيّ مكانٍ في ذاكرتي.

قالت نوريكو إنّ عليها مقابلة زوجها وابنتها هنا في هاراجوكو، ثم رفعث يدها وودّعتني. طلبث منها أن تعتني بنفسها. عندما ودّعنا بعضنا البعض، لم أستطع دفع الشعور الذي يخبرني بأنّه كان هناك شيءٌ ما ينبغي عليّ أن أقوله لها. لكن كلُّ ما استطعث فعله هو رفع يدي إلى صدري،

مكتبة ياسمين

وتحريكها حركةً بسيطة. راقبتُ نوريكو وهي تصغر في الحجم بينما تبتعد، ولم أستطع تصديق أنّ الشخص الذي أراقبه من الخلف هو الشخص نفسه الذي أمضيت بصحبته هذا الوقت كلّه، ونحن نأكل ونتحدّث. عند هذه اللحظة، لم أغدُ قادرةً على استدعاء شكل نوريكو في السابق، النوريكو التي عرفتُها في المدرسة الثانويّة. كلُّ ما بقي كان أثرًا خافتًا من صوتها القديم، واهنًا كأنّه يرتجف في الريح. عندما كنّا نسير، كانت نوريكو عن يميني دائمًا، في ساعات الفراغ التي كنّا نمضيها معًا قبل المدرسة وبعدها، نرتدي ملابس المدرسة نفسها. لكنّ هذا الصوت الرقيق يحجبه الآن وجه امرأةٍ ناضجة، تُكثر من التنهُّد ووضع طلاء شفاهٍ بُنّيّ. ذقنها الشحيمة تستقرُّ على ظاهر يدها. وكلُّ شيءٍ يتلاشى أكثر فأكثر في المسافة، مع كلّ غمضة، مع كلّ ثانية.

انتظرتُ حتى اختفت نوريكو بالكامل في زحام الناس الذين يعبرون الشارع طولًا وعرضًا قبل أن أبتعد، وكان ذلك حين رأيتُ شابًا يحاول إخراج درّاجته من صفّ الدراجات. أمسك المقود في النهاية، وأخرج الدرّاجة، مُصدِرًا أثناء ذلك الكثير من الضوضاء. ثم طقطق بلسانه حين رأى سلّته مملوءةً بكثيرٍ من العبوات البلاستيكيّة، كأنّ الناس عاملوها كسلّة مهملات. رمى العبوات الخالية في سلّة الدرّاجة الموجودة بجواره، الدرّاجة نفسها التي رأيتُها من الأعلى. حين لاحظ أنّني أنظر إليه، سألني إلامَ أنظر، وناداني بالقحبة القبيحة.

مكتبة ياسمين

سرتُ من هناك إلى شيبويا.

أشارت توقُّعات الطقس إلى أنّ الجوّ سيكون غائمًا، لكنّها أمطرت عليّ في الطريق. بعض الناس حولي سحبوا مظلّاتٍ قابلةً للطيّ من حقائبهم، فشعرتُ بأنّني قد سمعتُ خطأ، وأنّه كان يُفترض بجوّ اليوم أن يكون ممطرًا بالفعل. هطل المطر بقوّةٍ لعدّة دقائق، قبل أن يتحوّل إلى ما يشبه الرذاذ. كنتُ على وشك دخول المحطّة حين رأيتُ القطار وهو يتحرّك، لذا وقفتُ عند زاوية تقاطعٍ واسع، وراقبتُ أمواج البشر اللانهائيّة.

فكّرتُ: أنا وحيدةٌ تمامًا.

أنا وحدي منذ فترةٍ طويلة، وكنتُ مقتنعةً بأنّه لا يوجد في العالم ما يُشعرني بالوحدة أكثر ممّا أختبره. لكنّني انتبهتُ الآن كم أنا وحيدة. رغم هذا الزحام من البشر، وهذه الأماكن كلّها، والإمدادت غير المحدودة من الأصوات والألوان المحصورة في مكانٍ واحد، لم يكن هناك شيءٌ يمكنني الذهاب إليه ولمسه. لا شيء سيناديني باسمي. لم يكن هذا موجودًا من قبل، ولن يكون موجودًا أبدًا. ولن يتغيّر هذا الوضع مهما مضيتُ في هذا العالم. تحيطني مدينةٌ شائبة، أصبحت أكثر رماديّةً تحت المطر الضبابيّ. لم أستطع الحركة.

لا أعرف كم بقيتُ واقفةً على هذه الحال، لكنّني بدأتُ السّير في النهاية. ركبتُ قطارًا، ونزلتُ في المحطّة القريبة من المقهى الذي يذهب إليه ميتسوتسوكا دائمًا. لم يكن هناك مكانٌ آخر أذهب

مكتبة ياسمين

إليه؛ لا بيت ينتظرني لأعود إليه، لا شوارع يمكنني السّير فيها أكثر. اليوم هو الإثنين. شعرث بأنّ ذلك مطمئنٌ بشكلٍ ما، فميتسوتسوكا عنده صفٌ يدرّسه على الأغلب. لم أطِق أن يراني على هذه الحال، بلا شيءٍ أشربه، في حالةٍ من الفوضى العارمة. كلُّ ما رغبث فيه كان الوقوف في الخارج، والنظر إلى المقعدين اللذين نجلس عليهما أنا وهو دائمًا.

عبرثُ البوّابة الدوّارة المألوفة، وتوجّهث عبر الشارع إلى المقهى مباشرة، بينما أقول اسمه في رأسي: ميتسوتسوكا. لكنّني شعرث بألمٍ مفاجئٍ في حلقي. ضاق صدري إلى درجة أنّني توقّفث عن السّير. ميتسوتسوكا. استمرّ ذلك. ميتسوتسوكا. ميتسوتسوكا. أكرّر اسمه، وأسير ورأسي إلى الأسفل تحت رذاذ المطر. عندما وصلث إلى المقهى، نظرث ورأيث ميتسوتسوكا في الخارج.

«فويوكو؟».

ميتسوتسوكا. يحمل مظلّةً ويقف تحت المطر.

ألقتِ المظلّة الكحليّة نقاطًا من اللون الأزرق الفاتح على جبهته العريضة. كان ميتسوتسوكا. واقفةً في مكاني، غير قادرةٍ على الحديث أو حتى الحركة، نطق ميتسوتسوكا اسمي مرّةً أخرى: فويوكو. كان يُمسك مقبض المظلّة، ويقف على بُعد عدّة ياردات منّي. ينظر ميتسوتسوكا إليّ، وتبدو عليه بعض الدهشة. وقفث في مكاني، أبادله النظر. وفجأةً أغلقث عينيّ بقوّة، ضاغطة أنفي، وجفنيّ، وحاجبيّ، بأقصى قوّةٍ استطعث الوصول إليها.

مكتبة ياسمين

صررت أسناني، وأمسكت حزام حقيبتي بيديّ كلتيهما، مغلقة عينيّ بأقصى قوّة لديّ. توقّدت الحرارة حول أنفي، بينما أجاهد لأبقي عينيّ المرتجفتين مغلقتين. أحسست بأنّ أدنى حركةٍ ستطلق أنهارًا من الدموع. لم أستطع أخذ نفس، أو حتى إطلاق واحد.

«فويوكو، أنتِ مبتلّة تمامًا».

بدا صوت ميتسوتسوكا أقرب إليّ من قبل. أومأت مرّتين، من دون أن أفتح عينيّ. ورغم أنّني لم أستطِع رؤية ما يحدث، فقد تخيّلت ميتسوتسوكا الآن وهو يُمسك المظلّة فوقنا نحن الاثنين. شممت رائحته مخلوطةً بماء المطر، ووقفت أومئ المرّة تلو الأخرى، مثل بلهاء، من دون أن أقدر على أخذ خطوةٍ واحدة. لم يتحرّك ميتسوتسوكا هو الآخر. وقف حاملًا المظلّة فوقي فحسب.

وقفنا بصمتٍ تحت المطر الخفيف لمدّةٍ مُعتَبرةٍ من الوقت. رأيت أمامي أزرار سترة ميتسوتسوكا. مرّتِ السيّارات في مساراتها بجوارنا. الضوء الأحمر المعلّق فوق كتفه مُغبّش تحت المطر. اقترح ميتسوتسوكا بصوتٍ خفيضٍ أن نشرب مشروبًا دافئًا. وافقت بإيماءة، وتبعته إلى المقهى.

جلست في مقابل ميتسوتسوكا إلى طاولتنا المعتادة. أخرجت منشفةً صغيرةً من حقيبتي، وعرضت عليه استخدامها. أغرق المطر كتفه الأيسر، الذي ابتلّ بالماء حين حمل المظلّة فوقي. قال ميتسوتسوكا إنّه لا يحتاجها، وإنّني الشخص الغارق

مكتبة ياسمين

في الماء. مسح راحتي يديه باستخدام الفوطة المبلّلة، ثم حرّك يده على كتفه.

لم يقُل أيٌ منّا أيّة كلمة. بقينا صامتين، مثلما كنّا في الخارج تحت المطر تمامًا. جاءت قهوتنا. قلنا كلينا: «هذا لطيف». ثم رفعنا الكوبين إلى شفتينا، آخذين رشفاتٍ خفيضة. كانت هذه هي المرّة الأولى التي نُطلق فيها على شيءٍ صفة «لطيف»، خلال كلّ المرّات السابقة التي جلسنا فيها هنا، نشرب الشاي أو القهوة.

تردّدتُ لحظة، ثم قلت: «هذا لطيفٌ فعلًا. لم نقُل هذا أبدًا حسبما أظنّ».

«حقًّا؟».

«نعم».

«غريب».

سمعتُ هاتفي يرنُّ في قاع الحقيبة. أخرجتُه ونظرتُ إلى الشاشة. كانت هيجيري. أغلقتُ الشاشة، ثم أسقطتُه داخل الحقيبة. أمكنني سماع الرنين المكتوم يتكرّر مرّةً تلو الأخرى، حتى صمت في النهاية.

قال ميتسوتسوكا: «ممم. هناك شيءٌ مختلفٌ فيك اليوم».

أبديتُ ردّ فعلٍ مقتضبًا، ونظرتُ إلى الأسفل.

«هل ذهبت إلى مكانٍ ما قبل أن تأتي إلى هنا؟».

«نعم».

مكتبة ياسمين

«فعلت ذلك؟».

«نعم».

نظرتْ إلى الخرز الموزّع على صدري، وهو يلتقط الضوء.

«يُعجبني ما تلبسينه».

«فعلًا؟».

«نعم».

تركَنا ذلك في فترةٍ جديدةٍ من الصمت. لم يَعُد هناك أيّ زبونٍ آخر في المقهى، لكنّني استطعتُ سماع أحدهم وهو يعطس بصوتٍ عالٍ في الخلفيّة. وفي اللحظة نفسها تقريبًا، سمعتُ صوتًا يُرغي في الخارج، وكأنّه ينسكب في كلّ مكانٍ في الوقت نفسه. نظرتُ من النافذة لأجد أنّ ما كان قبل لحظاتٍ ضبابًا عاديًا أصبح الآن أمطارًا غزيرة، وسلسلةً لا حصر لها من الضربات البيضاء على الإسفلت».

قلتُ: «إنّها تُمطر بغزارة. انظر إلى رشقات المطر على الرصيف».

«يُفترَض أن تُمطر طيلة الليل».

«لم أكن أعرف».

«هذا ما يقولونه في التلفزيون».

«ميتسوتسوكا».

«نعم».

«هل تحبّ الحديث معي؟».

مكتبة ياسمين

غيّر ميتسوتسوكا وضعيّة جلوسه على الكرسيّ.

قال بصوتٍ مبتهج: «أحبُّ الحديث معك دائمًا».

«ما الذي تحبّه في الحديث معي؟».

بدا متحيّرًا بعض الشيء وهو يكرّر: «ما الذي أحبّه؟ ما الذي أحبّه؟ هذا سؤالٌ صعب».

أخذ رشفةً من كوب قهوته، وفكّر في الأمر لثانية، ثم قال:

«آسف. لكن لا أظنّني قادرًا على الإجابة عن هذا السؤال فور طرحه».

«هل حدث وشعرتَ بأنّك لا تحبُّ الحديث معي؟».

«لا. أبدًا. الحديث معكِ لطيفٌ دائمًا».

قلت: «نعم... لكنّني أشرب طيلة الوقت. وإن لم أشرب، بل إن لم أشرب كثيرًا، فإنّني أعجز عن الحديث بصورةٍ طبيعيّة. لكنّني لم أشرب شيئًا اليوم... في كلّ المرّات التي التقينا فيها هنا وتحدّثنا، على مدار الشهور الفائتة... كنتُ فيها... أنت تعرف...».

لم أعرف كيف أكمل كلامي عند هذه النقطة. لم أقدر على قول أيّ شيءٍ آخر.

قال ميتسوتسوكا بعد توقّف: «نعم. أعرف».

في اللحظة التي سمعتُ فيها هذه الجملة، شعرتُ بوجنتيّ تحترقان من الخارج. ومن دون أن أقصد، وجدتُ نفسي أنظر إلى ميتسوتسوكا.

«... لاحظتُ بالطبع. أعرف أنّك فعلت».

مكتبة ياسمين

«نعم».

«وربّما شممت رائحته أيضًا».

«لا. لم يكن بإمكاني شمُّ أيّ شيء».

سألته: «... لماذا لم تقُل أيّ شيء؟ ألا تظنّه أمرًا غريبًا أن تقضي وقتك مع سكرانةٍ بهذا الشكل؟ لماذا لم... تقُل شيئًا».

توقّف ميتسوتسوكا للحظات، قبل أن يجيب:

«لكلِّ إنسانٍ أسبابه».

ضغط بإصبعه على الندبة التي تجاور جفنه، ثم دعك جلدها لفترةٍ طويلة. لم أنطق، واكتفيت بالنظر إلى وجهه. علا صوت المطر أكثر من ذي قبل. ومن وقتٍ إلى آخر كانت السماء تدوّي بالرعد، ثم يلمع البرق. ظهر مالك المقهى قادمًا من الخلف. «ما الذي يحدث؟»، سأل وكأنّه يتحدّث إلى نفسه. ثم سار بجوار طاولتنا وضغط وجهه على الباب الزجاجيّ، ليحصل على رؤيةٍ أفضل للشارع.

«... لا يهمُّني كيف تكونين حين تأتين إلى المقهى يا فويوكو. أنا أستمتع بصحبتكِ حقًّا».

لكنّني... حاولت الإجابة، لكنّني لم أستطع إكمال الجملة.

تجمّع صوت المطر المتصاعد باطّراد في رئتيّ، مغرقًا الأزيز في حلقي قبل أن تخرج الكلمات. بدأت الغرق، وبصقت الفقاقيع وأنا أسحب حقيبتي، ثم أضعها على كتفي، وأقف بهدوء. لم تكن عندي أيّة فكرةٍ عمّا أفعله. ولم تكن عندي أيّة فكرةٍ عمّا

مكتبة ياسمين

أريده. من دون أن أنظر إلى ميتسوتسوكا، انحنيث وغادرتُ الطاولة، متّجهةً إلى الباب. ثماني خطواتٍ فحسب هي كلُّ ما تطلّبه الأمر. وبمجرّد أن أصبحث في الخارج، في عاصفةٍ بهذا الحجم، لم يستطع عقلي العثور على المكان الذي يأتي منه الصوت. في هذه البوّابة المفضية إلى الليل، فقد جسدي معالمه، ولم أغدُ قادرةً على فتح عينيَّ. انسكبث مياه المطر من قاع حقيبتي، من نهايات شعري، من كوعيّ وفكّيَ، مغرقةً حذائي الرياضيّ وأنا أمشي بخطواتٍ متعاقبة، بدث وكأنّه لا نهاية لها أبدًا. وقبل أن أصل إلى الناصية، أغمضث عينيّ بأقصى ما استطعت، وأطلعث زفرةً إلى الخارج. عددث بعدها حتى خمسة، وكأنّني أدعو، ثم استدرث ببطء. لكن لم يكن هناك أحد.

مكتبة ياسمين

ـ 10 ـ

بدأت أقضي معظم وقت اليوم في السرير. حينما أعمل، أستطيع التركيز على الكلمات التي أراها أمامي، لكن ليس لفترةٍ طويلة. اتّصلت بهيجيري لأطلب منها أن تخفّف ما تُرسله إليّ من أعمال، مخبرةً إيّاها بأنّني أشعر بالتوعّك. قالت إنّه لا بأس، لكن ما الذي يحدث؟ ما هي المشكلة؟ قلت لا شيء، صداعٌ نصفيٌّ لم أستطع التغلّب عليه فحسب، وأنّ الطبيب لم يجد سببًا. كلُّ ما أريده هو تقليل الأشياء قليلًا، للشهور القليلة المقبلة فحسب. قالت بالطبع. طبعًا. يبدو السبب في ذلك هو التوتُّر. استريحي قليلًا، وأخبريني إن كان بإمكاني المساعدة بأيّ شيء. سأطلب النصيحة من أصدقائي الذين يعانون من الصداع النصفيّ. في الأسبوع التالي، أرسلت لي هيجيري مشروعًا لا يتطلّب أيّ بحثٍ تقريبًا. شيءٌ يمكنني فعله من دون أيّ إرهاق.

بعد صراعٍ طويلٍ للتركيز لمدّة ساعتين وراء المكتب، أفقد بالكامل الرغبة في الاستمرار، وأعود إلى السرير متمدّدةً تحت الأغطية، ممضيةً بقيّة اليوم وسط غشاوة. يمرُّ العالم بي من دون أيّة كلمة، وجزء السماء الصغير الذي يمكنني رؤيته في الخارج، عبر النافذة، يمرُّ بدورةٍ من الألوان. أحدّق بلا هدفٍ في زُرقة الشفق، وأشعر بأنّه لغزٌ غير مفهوم. وبالتدريج، أفقد قُدرتي على تمييزه عن نظيره وقت الفجر، حتى أصبحت في النهاية غير قادرةٍ على تحديد الفترة التي أمرُّ بها من اليوم.

مكتبة ياسمين

من مكاني على السرير، فتحث عينيّ ورأيث كعب الكتاب الذي أعطاني إيّاه ميتسوتسوكا. أمسكتُه وحزكث أطراف أصابعي على العنوان، ثم قلّبت صفحاته. آلمني قلبي حين لاحظث أنّه، في مرحلةٍ ما، قرأ ميتسوتسوكا الكلمات نفسها التي أقرأها الآن، أو قلّب الصفحات بالطريقة نفسها. وضعث الكتاب وأغلقث عينيَ. سمعث مقطوعة التهويدة وهي تبدأ من تلقاء ذاتها في رأسي، متوهّجةً خلف جفوني. هززث رأسي في محاولةٍ للإفلات منها، متنهّدةً مرّةً تلو الأخرى. بعد أن قابلث ميتسوتسوكا في ذلك اليوم الممطر، توقّفث عن الاستماع إلى التهويدة نهائيًا، وتوقّفث عن الشرب كذلك.

حينما أشعر بالنعاس أنام، وحين أفتح عينيّ أنهض، سامحةً للجوع بتقرير اللحظة التي سأتوجّه فيها إلى الثلّاجة أو خزانة المطبخ، لآكل بعضًا من الأشياء التي خزّنتها. وحينما انتهى ما خزّنته في البيت، بدأث أخرج إلى محلّ البقالة لشراء بعض الوجبات الخفيفة، النوع نفسه من الطعام السريع، الذي لا يهمّ إن أكلته أم لا. وحتى في هذه الحالة، استمرّيث في وضع هذا الطعام الذي لا قيمة له في جسدي الذي لا قيمة له، ما جعل كلّ شيءٍ يبدو أقلّ قيمةً ممّا هو عليه في الأصل. كلُّ وجبة، إذا كان بالإمكان أن نطلق عليها تسمية وجبةٍ أصلًا، كانت أشبه بانبعاجٍ في وجودي. لا يمكنني استدعاء أيّة طاقةٍ لإعداد أبسط الأكلات. يُرهقني شيءٌ في منتهى البساطة، مثل غلي الماء.

حين بدأ الاستلقاء في السرير يُضايقني، نهضث

مكتبة ياسمين

من دون أن أرتدي ملابسي، وجلست على الكرسي، أحدّق عبر النافذة، وأتساءل ما الذي أدخلني في هذه الحالة الذهنيّة المروّعة. لماذا أشعر بهذا السوء طيلة الوقت؟ كيف تركت الأمور تسوء إلى درجة أنّني أصبحت عاجزةً عن أداء العمل، أو أداء أيّ شيءٍ آخر؟ ما الذي يحدث؟ هل لأنّني لم أكن أقابل ميتسوتسوكا؟ شعرت بأنّ هذا قد يكون أحد الأسباب. لكنّني كنت أعرف كذلك أنّني إذا أردت أن أقابله فعلًا، فكلُّ ما عليّ فعله هو ركوب القطار يوم الخميس، أو يوم السبت، والذهاب إلى المقهى، وسأراه هناك. كنت أعرف أنّه سيكون طيّبًا معي، مثلما يعاملني دائمًا، من دون أن يتضايق في الطريقة الفظّة التي عاملته بها في آخر مرّةٍ رأيته فيها، أو يفكّر في ذلك حتى. لكنّني لم أستطِع رؤيته، لأنّ رؤيته كانت تؤلمني. مقابلته بهذه الطريقة كانت تؤلمني جدًا. لماذا يحدث لي ذلك؟ لأنّني... ثم تختفي الكلمات. كلُّ ما استطعت فعله كان إطلاق تنهيدة.

أنا معجبةٌ بميتسوتسوكا. أظنّني أعجبت به منذ المرّة الأولى التي رأيته فيها. لكنّ التعبير عن ذلك بكلماتٍ جعلني أشعر بالسوء، إلى درجةٍ لم أغد معها قادرةً على الجلوس على الكرسيّ، وكان عليّ أن أضع رأسي على المكتب. وضعت وجهي على ذراعيّ، أغلقت عينيّ، وقلت بصوتٍ هادئ: «أنا معجبةٌ بميتسوتسوكا». صوتي المتلعثم المتحشرج علق للحظة في أذني، قبل أن يختفي تمامًا. نهضت، وألقيت بنفسي على السرير، وضغطت وجهي على

مكتبة ياسمين

المخدّة، مطلقةً كلّ الهواء العالق في رئتيّ. ثم رفعتُ رأسي، وانقلبتُ على ظهري، وحاولتُ أن أقولها مرّةً أخرى. «أنا معجبةٌ بميتسوتسوكا». نبض الدم في أذنيّ، وآلمتني راحتا يديّ، وشعرتُ وكأنّ حلقي على وشك الانقسام في أيّة ثانية. نبع من أعماق كياني شيءٌ يشبه الغثيان، وتوجّب عليّ أن أُغلق عينيّ، آملةً فيما يشبه الدعاء أن يختفي هذا الشعور.

ربّما أردتُ أن يسمع ميتسوتسوكا هذه الكلمات، أن يعرف بماذا أشعر. ربّما أردتُه أن يعرف، لكنّني لم أكن قادرةً على إخباره، ولا قول ذلك له، ولا الكشف عن مشاعري، ولهذا السبب شعرتُ بهذا السوء. لكن لو عثرتُ على طريقةٍ أخبره فيها بشعوري، فما الذي سأقوله بالضبط؟ «أنا معجبةٌ بكَ يا ميتسوتسوكا. أنا معجبةٌ بك». و؟ ما الذي سيحدث بعدها؟ ما الذي يمكن أن يحدث بيننا؟ لو أنّني أخبرته بأنّني معجبةٌ به، فأراهن أنّه كان ليومئ بطريقته نفسها، ثم يبتسم. ستستمرُّ لقاءاتنا في المقهى، مثلما نفعل الآن تمامًا، وسيخبرني عن الأشياء نفسها، مثلما يفعل عادةً. ثم ماذا؟ هذه المشاعر، هذه المشاعر المقرفة، ما الذي سيحدث لها؟

اتّصلت بي هيجيري عدّة مرّات، قلقةً بشأن ما أفعله. لم يكن عندي من الثقة ما يسمح لي بالحديث، لذا لم أردّ أبدًا. في البداية، كانت تترك رسائل على البريد الصوتيّ، لكن بعد عشرٍ منها، أو ما يقارب ذلك، فقدت الأمل. وبمرور الوقت، قلّت اتّصالاتها تدريجيًا.

مكتبة ياسمين

مرّت ثلاثة أسابيع منذ أن توقّفت عن مقابلة ميتسوتسوكا.

شهر تشرين الأوّل/أكتوبر على وشك الانتهاء. في ذهابي إلى محلّ البقالة وعودتي منه، شعرتُ بهواء الخريف وهو يثقل ويبرد، يومًا بعد يوم.

لم يأتِ شيءٌ من ناحية ميتسوتسوكا؛ لا اتّصالًا، لا رسالةً إلكترونيّة، ولا أيّ شيء. ليس الأمر أنّني كنت أتوقّع أيّ شيء، لكنّ إمساك هاتفٍ لا يرنّ أبدًا، وصندوق رسائل ليس فيه أيُّ رسالة، كان أمرًا يصعب عليّ احتماله. وحين انتهى شحن الهاتف، لم أكلّف نفسي عناء إعادة شحنه حتى. وضعته في الدُرج وحسب.

أرسلت لي هيجيري عدّة رسائل إلكترونيّة في محاولةٍ للترفيه عنّي، قائلةً إنّها تشعر بالقلق، وإنّها ترغب في الكلام معي. تركت هذه الرسائل تأتي وتذهب، غير قادرةٍ على الردّ. لكن بعد أن وصل العدد إلى أربعٍ أو خمس، اعتذرتُ عن عدم الردّ على الهاتف وإقلاقها بهذا الشكل. أخبرتُها بأنّ الصداع النصفيّ لم يتوقّف بعد، وأنّني أعرف أنّ هذا أكثر من اللازم، لكنّني كنت آمل لو أمكنني استكمال العمل بهذه الوتيرة لفترة. أضفتُ أنّ بطاريّة هاتفي تعطّلت على ما يبدو، لكن بإمكانها الوصول إليّ عبر البريد الإلكترونيّ إن استجدّ أيُّ أمرٍ طارئ.

كانت علبة الورق المقوّى التي أرسلتها لي هيجيري تستقرُّ مفتوحةً في ركن الحجرة، التي أهملتُ كنسها لفترةٍ طويلة. نظرتُ إلى داخل العلبة فور وصولها،

مكتبة ياسمين

وأخرجت الكارديغان الرماديَ، الذي كانت قد طوته فوق الأشياء الأخرى، التي لم ألمسها تقريبًا.

نهضت من السرير، جلست على الأرض وفخذاي يواجهان البلاط البارد، وتفحّصت محتويات العلبة، مبعثرةً إيّاها حولي في الغرفة. كانت العلبة ممتلئةً عن آخرها بملابس قرّرت هيجيري أنّها لم تعد ترغب فيها، معظمها ملفوفٌ بغلافٍ بلاستيكيّ شفّافٍ رقيقٍ من محلّ تنظيفٍ جافّ، مُثبّتٌ عليها بطاقاتٌ صفراء تشير إلى أنّها قد غُسِلَت.

لم أكن أفهم أيّ شيءٍ عن الموضة، لكنّني استطعت تمييز أنّ كلّ قطعةٍ من قطع الثياب هذه، الموضوعة في هذا الصندوق، هي من أفضل الأنواع. فحصت البطاقات، ووجدت كثيرًا من الماركات التجاريّة التي سمعت بها، بينما جعلتني التصميمات وملمس الأقمشة أتأكّد من أنّ هذه الملابس مختلفةٌ تمامًا عن أيّ شيءٍ اقتنيته من قبل.

من بين القطع مجموعةٌ من القمصان الجميلة المكويّة، لها ياقاتٌ صغيرة، موضوعةٌ بعنايةٍ فوق تنانير ذات ألوانٍ برّاقةٍ وأشكالٍ غريبة. الكنزات الثلاث كُنّ من الكشمير. هناك معطفٌ ناعمٌ مصنوعٌ من قماشٍ قطنيَ، وفستانٌ كحليٌ نسيجه من مادّةٍ خشنة الملمس، وكارديغان أسود. لم يبدُ أنّ أيّ قطعةٍ من هذه القطع قد ارتداها أحدٌ من قبل.

قبل قاع الصندوق بقليل، رأيت معطفًا من صوف الأنغورا جمليّ اللون، ملفوفًا عليه وشاحٌ أسود

مكتبة ياسمين

بإحكام. كانت هناك علبةٌ تحت المعطف، فتحتُها لأجد زوجين من الأحذية ذات الكعب. تذكّرتُ أنّنا تحدّثنا ذات مرّةٍ أنّنا ننتعل أحذيةً بالمقاس ذاته. إلى جانب المعطف جرابٌ مصنوعٌ من نسيجٍ حريريَ، ملفوفٌ على هيئة كرة. فككتُ الخيوط ونظرتُ داخله. كان طقم ملابس داخليّةٍ من قطعتين، علويّةٍ وسفليّة. طقمٌ جديد، لا يزال يحمل علامته التجاريّة.

نظرتُ بعينين خاويتين إلى ملابس هيجيري المنتشرة على الأرض.

وقفتُ بعد فترة، ونزعتُ مجموعةً من الشمّاعات الخالية من الماسورة القابلة للتعديل، التي كنتُ قد ركّبتها في خزانة الفراش كحاملٍ موقّتٍ للملابس، وبدأتُ تعليق كلّ شيءٍ عليها، قطعةً قطعة. لكنّ الشمّاعات السلكيّة كانت أضعف من اللازم، وبدا واضحًا لي أنّها ستسقط. نزعتُ كلّ ما استطعتُ نزعه من ملابسي القديمة، واستخدمتُ هذه الشمّاعات في تعليق الملابس الجديدة التي أرسلتْها لي هيجيري.

تحتلُّ ملابس هيجيري الآن غالبيّة الحامل، أمّا ملابسي الأخرى فقد أصبحت تبدو قديمةً وباهتةً بالمقارنة معها. إنّها باهتةٌ فعلًا على الأغلب، فهي مجرّد مجموعةٍ من الملابس الرخيصة التي ارتديتُها منذ فترةٍ طويلة، إلى درجة أنّني لم أعُد أتذكّر متى اشتريتُها أصلًا. النظر إليها يُصيب المرء بالحزن. نعم هناك قمصان، وهناك تنانير، لكنّ ملابسي وملابس

مكتبة ياسمين

هيجيري تختلف عن بعضها البعض جوهريًا، فيصبح من الصعب على المرء أن يصفهما مستخدمًا الكلمات نفسها.

خلعتُ سترتي وملابسي الداخليّة، ثم سرتُ نحو المرآة الموضوعة بالقرب من الباب. عدتُ بعدها إلى حُجرتي وأخرجتُ طقم الملابس الداخليّة الذي أرسلته لي هيجيري من جرابه. أمسكتُ سترةً حمراء منفوشة، وتنُّورة صوفٍ تصل إلى الرُّكبة، وزوجًا من الأحذية ذات الكعب، ثم عدتُ إلى المرآة، حيث نظرتُ إلى نفسي عارية، أحضن هذه الملابس كلّها. كان جسدي يبعث على الاكتئاب، أسوأ من ملابسي حتى. هززتُ رأسي وابتعدت. أدخلتُ ذراعي بين شرائط حمّالة الصدر التي أرسلتها هيجيري، ولاحظتُ الزخرفة المزركشة، ثم لبستُ الجزء السفليّ من اللباس الداخليّ الذي يحمل اللون نفسه، وارتديتُ السترة المنفوشة. ثم أغلقتُ سحّاب التنُّورة، ووضعتُ قدميّ في الحذاء ذي الكعب، ووقفتُ طويلةً مفرودة الظهر. كانت هذه هي المرّة الأولى في حياتي التي أرتدي فيها تنُّورة، وشعرتُ بها ناعمةً على جلدي، والمرّة الأولى أيضًا التي أرتدي فيها سترةً حمراء اللون، والمرّة الأولى كذلك التي أرتدي فيها زوج أحذيةٍ ذي كعبٍ بهذا الطول.

عدتُ إلى الحُجرة، وجرّبتُ المعطف جمليّ اللون. كان خفيفًا للغاية، يختلف عن أيّ معطفٍ ارتديتُه من قبل. وحينما وضعتُ يديّ في جيوبه، عثرتْ أصابعي على بطاقةٍ لمطعمٍ يحمل اسم «نيه ليسيه باه». وضعتُ البطاقة في الدُّرج، وذهبتُ

مكتبة ياسمين

إلى الخزانة التي تواجه خزانة الملابس، وفتّشت فيها. سحبت الكنزات التي لم أرتدها منذ سنوات، والسترات ذوات القبّعات، والقمصان المجعّدة، والسترات البالية، وباقي المحتويات، جامعةً إيّاها في كرةٍ ألقيتها في صندوق الورق المقوّى الذي أصبح خاليًا. في خلفيّة الخزانة، وجدت سراويل وقمصان اشتريتها في أيّام مراهقتي، مطويّة حتى أصبحت مستوية. بل وجدت ملابس الرياضة من مدرستي الإعداديّة، التي احتفظت بها وأنا أقول لنفسي إنّ بإمكاني ارتداءها في المنزل كملابس نومٍ ربّما. امتلأ أنفي برائحة الملابس التي لم ألبسها منذ سنين طويلة، مشوبةً بقوام ذكرياتٍ ومساحات طبيعةٍ لا هيئة لها. وجدت أيضًا الكنزة التي أعطتني إيّاها نوريكو في المدرسة الثانويّة. فردتُها على حجري، وأمضيت لحظةً وأنا أتأمّل رقعة القطّة عند الحافّة، قبل أن أقرّر في النهاية أن ألقي بها في الصندوق. أمّا عن ملابس هيجيري التي لم أجد مكانًا أعلّقها فيه، فقد طويتها بعنايةٍ ووضعتها داخل خزانة الملابس. حين قاربت على الانتهاء، شعرت بجسمي يثقل، وكأنّ الحجرة نفسها بدأت تنكمش من دون صوت، ساحبةً إيّاي إلى الأسفل. عدت إلى السرير وأنا أرتدي ملابس هيجيري.

جاء تشرين الثاني/نوفمبر ثم ذهب، يومًا تلو الآخر، من دون أن أتحدّث إلى إنسان. من وقتٍ إلى آخر، كانت الريح القادمة من أعماق الخريف تضرب نافذتي بقعقعةٍ جافّة. كنت أمضي عدّة ساعاتٍ من كلّ يومٍ مع مخطوطات الكتب؛ أقلّب في المصادر،

مكتبة ياسمين

أو أذهب إلى المكتبة العامّة إن تطلّب الأمر ذلك.

لم يحاول أحدٌ الحديث معي، ولم أحاول أن أتحدّث مع أحد. حين كنتُ أناول أمينة المكتبة بطاقتي أو كتابي، كان يبدو أنّها لا تراني أبدًا، وكأنّني لم أوجد من قبل.

بدأ نومي يطول لساعاتٍ وساعات، وكنت أرى كلّ أنواع الأحلام في الليل. كان أغلبها طبقاتٍ من الأحلام التي تتلاشى بمجرّد الاستيقاظ، لكن كان هناك أحلامٌ أخرى تدور حول ميتسوتسوكا.

الحلم نفسه دائمًا. أجلس مقابل ميتسوتسوكا، على طاولتنا في المقهى، نتحدّث كما نفعل دائمًا. من دون أدنى تردُّد، أرى نفسي وأنا أقول لميتسوتسوكا أشياء لم أكن أتخيّل أن أقولها له في حياتي الحقيقيّة. تضايقني أشياء بسيطة، أو أقول أشياء أعرف أنّها ستضايقه. أرفض أن أسامحه حتى يصحّح الوضع. أنظر حولي، وأضحك فحسب. نتحدّث بوضوحٍ عن مشاعرنا تجاه بعضنا البعض، وكأنّنا حبيبَين. نستمتع برفقة بعضنا البعض لا أكثر. أرسم لميتسوتسوكا الصورة نفسها في كلّ مرّة: بيتٌ صغير. يحرّك ميتسوتسوكا قلمه الجافّ على صفحة ورقٍ جديدة. أقول إنّني أريد أن أعيش معك في بيتٍ كهذا البيت. لا يوجد أيّ شيءٍ مميّزٍ في هذا البيت على الإطلاق. مساحةٌ مربّعةٌ لا أكثر، بإمكانك أن تجدها في أيّ مكان، لكنّني أحسّنها عن طريق إضافة نوافذ وباب. ثم أشرح بحماسٍ نوع الستائر المحدّد الذي سنضعه هنا، ويجب على السطح أن

مكتبة ياسمين

يكون هكذا، وسنضع أصيص زهور بياض ثلجٍ هنا عند الباب.

يقول لي ميتسوتسوكا إنّ هذا رائع، ويأخذ رشفةً من فنجان قهوته. يبدو هذا رائعًا. أقول له بعدها إنّنا لن ننام في سرير، سننام على حصيرة! وهي حصيرةٌ صغيرةٌ كذلك. أشرح له، مرّةً تلو الأخرى، لذا سيتوجّب علينا أن نحضن بعضنا البعض. يقول ميتسوتسوكا إنّ هذا يبدو رائعًا، ثم يهزُّ رأسه ويسألني أين سيكون المنزل. لكن بمجرّد أن يبدأ حديثه أشعر بالحزن، ولا أستطيع تقديم إجابةٍ حقيقيّة. أقول إنّ هذا لا يهمّ، دعك من هذا، علينا النوم. دعنا ندخل تحت الغطاء ونحضن بعضنا البعض. ثم أمسك ذراعه وأسحبه إلى الأسفل.

نستلقي أنا وميتسوتسوكا على الحصيرة البيضاء الصغيرة، نحضن بعضنا البعض، وكأنّنا نفعل ذلك في كلّ ليلة. يدور رأسي من فرط السعادة بقوّةٍ تجعلني أشعر بأنّني لا أستطيع السيطرة على ذلك الشعور في داخلي، مذهولةً من أنّ ملامسة الجلد للجلد تجعل الإنسان يشعر بهذا كلّه،، وكيف أنّ امتصاص حرارة الجسد، ليس عن طريق الأصابع، بل عن طريق كامل مساحة البطن أو الظهر، قادرٌ على جعل المرء يشعر وكأنّه يُشارك كلّ ما يمكن له أن يشاركه. كلُّ لمسةٍ من ميتسوتسوكا ترسل موجةً جديدةً تخترق السائل الدافئ المغموس فيه جسدانا. ولأكثر من مرّة، أكاد أشعر بفقدان الإدراك بالكامل. أشعر بالدهشة من كمّ الطمأنينة والانتعاش اللذين يمكن أن أشعر بهما من النظر في

مكتبة ياسمين

عينيّ شخصٍ أشعر نحوه بهذا الشعور. أن أكون بقربه إلى هذه الدرجة، وكأنّني أخلق من جديد، من أعمق أجزائي. أحرّك كفّيّ المفتوحتين على ظهر ميتسوتسوكا. أكاد أرتجف ممّا يحدث في داخلي. أمسّد المكان نفسه، مرّةً تلو الأخرى. ثم ألاحظ فجأةً أنّ الشخص الذي ينام على الحصيرة ويحضن ميتسوتسوكا ليس أنا، بل هيجيري. أشاهد يدي ميتسوتسوكا وهما تداعبان نعومة وركيها، وألاحظ أنّ كلّ هذه السعادة التي شعرتُ بها للتوّ لم تكن لي على الإطلاق، بل هي مُلكٌ لهيجيري. غير واعيةٍ أين أنا، كلُّ ما أستطيع رؤيته الآن هو وجه هيجيري يلمع بشدّة، إلى درجة أنّني أصبح عاجزةً عن النظر بعيدًا، بينما كلُّ ما أستطيع سماعه هو تنهُّدات ميتسوتسوكا. تنهُّداتٌ متألّمةٌ وكأنّه يُصارع شيئًا ما، تغلّفه أنفاس هيجيري، ساحبةً إيّاه إلى نعومةٍ ليس لديه أيّ أملٍ بالفكاك منها، تُخمِد كلّ شيءٍ في الأفق.

في أحد الصباحات التي تلَت حلمًا يشبه هذا الحلم، بقيتُ مستلقيةً في السرير، أرمش في مواجهة العالم الذي يقف أمام عينيَ. لا يهمُّ كم أحدّق، لا شيء يتحرّك، وكأنّ هناك غلافًا ممدودًا فوق الحُجرة. لم يكن هناك صوت، ولا رائحة. تقلّبتُ على حوافّ النوم الخفيف. وضعتُ يدي داخل السترة، كما أفعل كلّما حلمتُ حلمًا مماثلًا، محاولةً أن أمسّد صدري بالطريقة نفسها التي خُيّل إليّ أنّ ميتسوتسوكا يلمسني فيها قبل لحظاتٍ قليلة، لأعطي ذلك الشعور شكلًا مادّيًا. قرصتُ حلمتي برفقٍ بأطراف أصابعي. تركتُ اليد التي كانت

مكتبة ياسمين

مستقرّةً على بطني تنزلق أبعد، بينما أزيد الضغط أكثر، ثم تركتُها عند المنطقة الناعمة بين رجليَ. لكنّني لم أكن أملك أيّة فكرةٍ عمّا أفعله بعد ذلك. لم أعرف إطلاقًا ما الذي يمكنني أن أفعله لأعود إلى المكان الذي كنت فيه قبل دقيقة. ما الذي يتطلّبه الأمر لأشعر بما شعرت به من قبل مرّةً أخرى؟

مع كلّ ثانيةٍ تمرَ، كنتُ أفقد اتّصالي بالمشاعر التي عشتُها في الحلم، بينما ملامح الأشياء التي أراها من حولي تتّضح مع الوقت، جالبةً إلى رأسي بهدوءٍ إدراكًا بأنّني كنت أحلم طيلة هذا الوقت. كنت أحلم فحسب، في شقّتي، حيث أعيش، وحيث تمضي حياتي في هذا المكان عديم المعنى، عالمي الأوّل والوحيد. ليس لحياتي مكانٌ آخر، ولستُ في مكانٍ آخر. كلُّ شيءٍ قلتُه لميتسوتسوكا عن التسلُّل إلى تحت الغطاء، وضمّ بعضنا البعض، كان مجرّد حلم، محصورٍ في عالم الأحلام، حيث بدأ كلُّ شيءٍ وانتهى. المكان الذي تشاركتُ العيش فيه أنا وميتسوتسوكا كان مجرّد حلم، ليس له وجودٌ في العالم الحقيقيّ. لا يهمُّ أين أنظر أو كيف، عرفتُ أنّني لن أعثر أبدًا على الوقت الذي قضيناه معًا.

اختفى كلُّ ما تبقّى من ميتسوتسوكا سريعًا، مهما كان هذا الشيء. وحين حاولتُ أن أفكّر في ميتسوتسوكا الذي عرفتُه، داهمتني مرّةً أخرى فكرة أنّني، من الناحية العمليّة، لا أعرف عنه أيّ شيء. لا أعرف ما الذي يأكله عادةً، وكيف يمضي وقته، ومع من يمضيه، وما هي الأشياء التي تهمُّه، وما الذي يفكّر فيه على امتداد اليوم، ومتى ينام، وأين يقرأ.

مكتبة ياسمين

ما هو نوع الأشخاص الذين يتحدّث معهم؟ على ماذا يضحك؟ ما الأشياء التي تُغضبه أو تُحزنه؟ أو ما الذي يفكّر فيه حين يستعدُّ للنوم؟ أيّ نوعٍ من الناس يعجبه؟ أيّ نوعٍ من النساء وقع في حبّهنّ في الماضي؟ وكيف حدث ذلك؟ لو كنتُ امرأةً جميلة، هل كان ليفعل معي في الحقيقة تلك الأشياء التي فعلها معي في الحلم؟ كيف تبدو أحلامه؟ أخبرني بأنّه يحبّ الكلام معي، لكن ماذا لو كان يحبّ الكلام فحسب؟ ما الذي يُحزنه؟ ما الذي يُسعده؟ أين هو في هذه اللحظة تحديدًا؟ بِمَ يفكّر؟ ماذا يفعل؟ هل هو بخير؟ ربّما هو سعيدٌ لأنّه لم يَعُد يقابلني. هل يأخذ من وقته، ولو ثانيةً واحدة، ليفكّر فيَّ؟

نمتُ على بطني في مواجهة المرتبة. سحبتُ الغطاء فوق رأسي، وأغلقتُ عينيّ بقوّة، منتظرةً أن تمرّ الدوّامة التي في حلقي بسلام. الأنفاس التي أطلقها ترطّب وجنتيّ وجفنيَ، حارّةً ومؤلمةً إلى أقصى درجة.

في منتصف شهر تشرين الثاني/نوفمبر، تراجعتِ الشمس بعيدًا في السماء أثناء النهار، وكانت الريح تعبق برائحةٍ تشي بقدوم الشتاء. في مساء أحد الأيّام، وبينما أحمل مسوّدةً انتهيتُ منها إلى محلّ البقالة، الذي يبعد عن البيت خمس عشرة دقيقة، لأشحنها عبر خدمة الطرود، شهدتُ حادثة.

في اللحظة التي عبرتُ فيها الناصية إلى الشارع الرئيسيّ، سمعتُ صوتًا يمكن وصفه بالمعدنيّ والانفجاريّ، يختلف عن أيّ شيءٍ سمعته من قبل.

مكتبة ياسمين

وعلى نحوٍ غريزيّ، استندث إلى أقرب مبنى. استغرقث بعض الوقت حتى فهمث ما حدث. وحين أدركث أنّني نجوث ممّا حدث، رأيث جسم رجلٍ على الطريق، يبعد عنّي قرابة عشرة أقدام.

كانت الطريق صامتة، وكأنّ انسيابيّة الوقت قد اضطربت، ثم توقّفت تمامًا في النهاية. تجمّد بعض المشاة في أماكنهم، يشاهدون الرجل الملقى على قارعة الطريق من دون أيّة حركة. لا أعرف كم وقفنا هكذا، لكنّ أصوات العربات التي تسير على الجهة المقابلة من الطريق كسرت توتُّر الهواء. وغدنا معًا، من دون أن يتّخذ أحدٌ منّا زمام المبادرة، ننظر إلى بعضنا البعض بحثًا عن مؤشّرٍ يُخبرنا بما علينا فعله.

امرأةٌ في منتصف عمرها قالت لي: «اتّصلي بالإسعاف». كانت ترتدي قبّعة شمسٍ سوداء.

بلعث ريقي وقلت: «مم... تلفوني ليس معي». بالكاد خرجتِ الكلمات منّي. جاءث فتاةٌ بشعرٍ طويلٍ من الاتّجاه الآخر، وقالت بصوتٍ يشوبه بعض الحماس إنّ هناك حادثًا، وهناك درّاجةٌ في منتصف الطريق في الأسفل. أومأث برأسي عدّة مرّات، وقلث لها إنّني سمعث الصوت، كان عاليًا جدًا. ثم رأيث رجلًا في بذلةٍ سوداء يسير في اتّجاهنا، بينما يتحدّث عبر الهاتف، ويشرح بصوتٍ هادئٍ أين نحن، وما الذي حدث بالضبط.

قال: «اتّصلث بالشرطة، وهناك سيّارة إسعافٍ في طريقها».

قال ثلاثتنا كلامًا يوحي بأنّنا سمعناه. هززنا

مكتبة ياسمين

رؤوسنا استجابةً للكلمات التي اختارها للتعبير. وبخلاف ذلك بقينا متجمّدين من الصدمة، نقف على مقربةٍ من بعضنا البعض حتى نكاد نتلامس، لكنّ أعيننا كلّها بقيت على الرجل الملقى وسط الشارع.

كان يرتدي ملابس عملٍ رماديّة اللون، وهناك شيءٌ يشبه الكتابة، ربّما هو شعار شركة، مطبوعٌ على ظهره، لكنّني لم أستطع تمييزه. ذراعاه وقدماه ممدودة. كان جسمه مثنيًا، ملقى على الطريق، وبدا كأنّه جزءٌ من حمولةٍ سقطت من شاحنةٍ ما، أكثر من كونه جسم إنسان. ميّزتُ حذاءً لا بُدّ أنّه انخلع حين وقع الحادث، ورأيتُ خوذته. على مسافةٍ خلفه، استطعتُ رؤية درّاجةٍ ناريّةٍ سوداء واقعةٍ على جنبها. لم أرَ سيّارةً أو درّاجةً ناريّةً واحدةً تمرُّ بجواره. يخفف السائقون على الجهة الأخرى من الطريق سرعة عرباتهم ليحظوا بنظرةٍ أفضل، ثم يكملون سيرهم وكأنّ شيئًا لم يحدث.

بدا الرجل شيئًا جامدًا لا حياة فيه. لم تبدر عنه أدنى حركةٍ أو ارتعاشة، من حيث كنتُ أقف على الأقلّ. لم أستطِع رؤية قطرة دمٍ واحدة. بدا مثل كيسٍ مُلقى على الإسفلت الرماديّ. رأسه مغطّى بالشعر، له جذعٌ وذراعان وساقان، وكان يرتدي ملابس. إنسانٌ، بغضّ النظر عن الطريقة التي نظرتُ بها إليه. لكن كلّما طالت فترة تحديقي، أصبح من الصعب عليّ أن أراه كشخص.

قالت المرأة الشابّة بقلق: «لا أرى أيّ دم»، وهي تضغط أصابعها على شفتيها. نظرتُ إلى أعلى

مكتبة ياسمين

الطريق وإلى أسفلها: «ألا ينبغي أن تكون سيّارة الإسعاف قد وصلت».

قال الرجل: «سيستغرق الأمر بعض الوقت».

سألتِ المرأة التي ترتدي قبّعة الشمس: «هل صدمته عربة؟».

كان صوتها هادئًا، كأنّها تتحدّث إلى نفسها. أكملت سؤالها:

«هل رأى أحدكم ما حدث؟».

قلت: «سمعث ما حدث، وحين نظرث كان على هذه الحال». ثم لاحظث خطّين سوداوين داكنين على أرض الطريق، لكنّني لم أكن متأكّدةً ما إذا كان ذلك ناتجًا عن كبح الإطارَين، أم عن جسم الدرّاجة الناريّة.

أظنّ أنّ كلّ واحدٍ منّا كان يتساءل في نفسه إن كان الرجل قد مات أم لا يزال حيًا، لكنّ أحدًا لم يلمّح إلى هذا التساؤل حتى. كنث أمسك المظروف الذي يضمُّ المسوّدة بيديّ كلتيهما، وأسمع نبضي يضرب في أذنيَ. هل هو ميّت؟ أم فقد الوعي فحسب؟ ليست عندي أيّة فكرة. كيف يصعب التحديد إلى هذه الدرجة؟ نظرنا إلى جسم الرجل من بعيد، وكأنّه قطعةٌ من الطين، أو قفّازٌ مُلقى، ولم يترك أحدٌ منّا مكانه على الرصيف ليذهب إلى الشارع ويُلقي نظرةً أقرب للتأكّد من حالته.

سمعث صوت صفّارات الإسعاف والشرطة تدوّي بالقرب من الناصية، صارخةً وهي تتوقّف بأصواتٍ

مكتبة ياسمين

متداخلة، كاتمةً الأصوات التي تصنعها أعيننا وأفواهنا. قرّر المزيد من الناس التوقُّف الآن، راغبين في معرفة ما الذي حدث. بدا وكأنّ حشدًا من الغرباء قد تكوّن من العدم.

ضممتُ المسوّدة إلى صدري، وأبعدتُ نفسي عن الحشد، ثم أخذتُ سلسلةً من الأنفاس العميقة. رأيتُ الرجل الذي يرتدي البذلة، والذي أجرى المكالمة، وهو يتحدّث مع أحد رجال الشرطة. كان شرطيٌّ آخر يدوّن الملاحظات، ويلمس أذنه بإصبعه أحيانًا، ثم يقول شيئًا ما عبر الراديو. لم أستطِع رؤية المرأة الشابّة أو المرأة التي ترتدي قبّعة الشمس في الجوار.

شعرتُ بأنّ وقتًا طويلًا قد انقضى منذ وصلتُ إلى هنا، لكنّني بقيتُ أنظر إليهم وهم يضعون الرجل داخل عربة الإسعاف في النهاية، ثم يتحرّكون. عندما ذهبوا، سِرتُ إلى محلّ البقالة، حيث ناولتُ المظروف إلى العامل هناك، ودفعتُ الرسوم.

بعد عودتي إلى البيت، غسلتُ يديّ بالصابون بعناية، وفعلتُ المِثل مع وجهي، ثم جلستُ على الأرض وراقبتُ عبور النهار إلى الليل. الخزانة، والأرض، والجدران، والأماكن الأخرى كلُّها التي يسقط عليها الضوء، بدأت تتحوّل إلى اللون الأزرق بالتدريج. نظرتُ إلى يديَ، إلى جلدي، وإلى حدود جسمي، وهي تكتسي كلُّها باللون الأزرق نفسه، مثلها مثل كلّ شيءٍ في هذه الحجرة. قلبتُ يديّ من وقتٍ إلى آخر، كوّرتهما في صورة قبضتين، أو فردتُ

مكتبة ياسمين

أصابعي تمامًا. هناك الكثير من التجاعيد، والكثير من المفاصل في أصابعي، وأوردةٌ ناتئةٌ من ظاهري يديَ.

جلستُ إلى المكتب، وأخذتُ مُشغّل الأقراص المدمجة من الدُرج، ووضعتُ السمّاعتين في أذنيَ، ثم ضغطتُ زرّ التشغيل. لا يزال القرص المدمج الذي أعطاني إيّاه ميتسوتسوكا في الداخل. رأيته وهو يدور. لكن قبل أن أسمع اللحن الأوّل، ضغطتُ زرّ الإيقاف، ونزعتُ السمّاعتين، وسحبتُ الشريط، ثم وضعتُ كلّ شيءٍ في الدُرج. في الدُرج نفسه، رأيتُ هاتفي المحمول الفارغ من الشحن. أخذتُهُ ووضعتُهُ في منتصف المكتب، ممسكةً إيّاه بيديّ كلتيهما، بينما أنظر إليه طويلًا. قلبته ليفتح، ثم أغلقته مرّةً أخرى. ثم فعلتُ الشيء نفسه مرّةً أخرى، ومرّرتُ أصابعي على الشاشة السوداء بصورةٍ متكرّرة. تركتْ أصابعي خطوطًا من البصمات عليه. لم أتحرّك لبعض الوقت. ثم خَطَرَ في بالي سؤال: ما الذي كنت أفعله حتى الآن؟

هل اخترتُ شيئًا؟ هل اتّخذتُ أيّ قرارٍ قادني إلى حيث أنا؟ بينما أفكّر في ذلك، نظرتُ إلى الهاتف المحمول في يدي. الوظيفة التي كنتُ فيها، المكان الذي أعيش فيه، حقيقة أنّني وحيدةٌ تمامًا، وليس لديّ من أتحدّث معه. هل هذا كلّه هو نتيجة قراراتٍ اتّخذتُها؟

سمعتُ نعيق غرابٍ في مكانٍ ما بعيد، واستدرتُ إلى النافذة. خطر لي أنّني في المكان الذي أنا فيه

مكتبة ياسمين

لأنّني لم أختر أيّ شيء.

قدمت إلى الجامعة التي اقترحها عليّ أستاذي، واستقرّيت في وظيفةٍ بعد التخرُّج، ثم تركتُها بسبب حاجتي إلى الهرب. استطعتُ العمل بصورةٍ جزّةٍ في هذه الوظيفة فقط لأنّ هيجيري أدّت الأعمال الروتينيّة كلّها من أجلي. لو أنّني اخترت شيئًا بنفسي، هل كان شيءٌ ما ليتغيّر؟ على الإطلاق. وهذا هو السبب في أنّني أجلس هنا الآن، وحدي تمامًا.

لكنّني سألت نفسي: ألم تفعلي أفضل ما عندكِ، بغضّ النظر عن الشيء الذي تواجهينه؟ ألم تقدّمي كلّ شيء، مهما كان ما يقف في طريقكِ؟ لا، للأسف. لم تكن الأمور هكذا بالنسبة لي. لقد زيّفتُ كلّ شيءٍ على امتداد الطريق. على امتداد كلّ هذه السنوات من فعل الأشياء التي يُطلب منّي فعلها، أقنعتُ نفسي بأنّني أفعل شيئًا له أهمّيّة، في محاولةٍ لخلق الأعذار لنفسي، كما أفعل الآن بالضبط. وعلى الدوام، كنت أتجاهل الحقيقة التي تقول إنّني لم أفعل شيئًا في حياتي، متستّرةً على ما يحدث فعلًا في الواقع. كنتُ خائفةً للغاية من أن أُجرَح بحقيقة أنّني لم أفعل شيئًا. كنتُ خائفةً من الفشل، من التعرّض للألم، إلى درجة أنّني لم أختر شيئًا. لم أفعل شيئًا.

تحوّلت أفكاري إلى ميتسوتسوكا.

فكّرتُ في المركز الثقافيّ حيث التقينا، وكيف شعرتُ بالوحدة حتى اليوم الذي التقيته فيه. وكيف

مكتبة ياسمين

أنني، حين فقدت حقيبتي، بقي ميتسوتسوكا معي ليؤنسني، بل ذهب معي إلى قسم الشرطة. فكّرتُ في القهوة، وفي الألف ينٍ التي أقرضني إياها. فكّرتُ كيف سِرنا عائدَين إلى المحطّة في ذلك اليوم الرائع، وفي الطريقة التي استدار بها عند الدّرج ثم عاد. فكّرتُ في المرّة الأولى التي قال فيها اسمي، في صوته، وفي طريقة نُطقه الاسم. في الرُّقع الباهتة في سترته البولو الكحليّة البالية. أطراف حقيبة كتفه المهترئة. كيف يميل بكتفه وظهره إلى الأسفل. كلُّ كلامنا عن الضوء. الأشياء التي علّمني إيّاها، متمهّلًا في شرحه ليتأكّد من فهمي. التهويدة ذات اللحن المصنوع من الضوء. استطعتُ تذكُّر كلّ الأشياء المتفرّقة التي رأيتُه يفعلها، أو سمعته يقولها، ورغم ذلك لم أكن قادرةً على تذكُّر جوهر محادثاتنا، أو كيف أمضينا الوقت.

عليّ أن أراه. هذه الفكرة جعلت رأسي يقفز. عليّ أن أرى ميتسوتسوكا، وإلّا سأفقد الشيء الوحيد الذي يعني لي شيئًا. كنوزي الوحيدة في هذا العالم كانت ذكرياتي حول ما شعرتُ به حين التقينا وتحدّثنا، لكنّها كانت تتلاشى، وعمّا قريبٍ ستختفي إلى الأبد. ستُفقد بلا عودة. لقد خاطرتُ بفقدان الشيء الوحيد الذي يعني لي شيئًا. الطريقة التي يتحدّث بها، والطريقة التي يمشي بها، كلُّ الأشياء التي تراكمت على امتداد الشهور القليلة التي أمضيناها معًا.

انتبهتُ فجأةً إلى أنّ الشمس قد غابت، وغرقت الغرفة في ظلامٍ تامّ. لو ركّزتُ نظري، لأمكنني

مكتبة ياسمين

بالكاد رؤية عقارب الساعة وهي تشير إلى الخامسة والنصف. وجدث الشاحن في الدُرج، وأوصلته من جهةٍ بالهاتف، ومن الجهة الأخرى بمقبس الكهرباء في المطبخ، ثم ضغطث زرّ التشغيل. أصدر الهاتف صوتًا وهو يعود إلى الحياة، وأضاءت شاشته بقوّةٍ جعلتني أضيّق عينيَ. جلسث على أرضيّة المطبخ في الظلام، لما بدا أنّه وقتٌ لا نهاية له.

ضغطث زرًا لأفتح قائمة الاتّصالات، ثم حرّكث يدي على الشاشة لأصل إلى ميتسوتسوكا. ميتسوتسوكا. ظهر اسمه في الضوء. أمسكث الهاتف بيدي اليسرى، وأغمضث عينيَ، ثم فتحتهما ببطءٍ من جديد. ضغطث زرّ الاتصال. بعد ثوانٍ قليلةٍ بدأ الرنين، بصوتٍ مرتفعٍ إلى درجة أنّ أنفاسي لحقث بمعدّل نبضي. مِلث إلى الأمام بأقصى ما استطعت، ثم وضعث الهاتف على أذني.

«ألو».

سمعث صوت ميتسوتسوكا.

لم أكن قادرةً على الردّ. ألو؟ سمعثه يقول مرّةً أخرى.

قلت: «ألو». لكنّ صوتي كان متحشرجًا إلى درجة أنّني شعرث بالقلق من أنّه ربّما لم يسمعني، لذا قلث ألو مرّةً أخرى.

قال: «مرحبًا».

«أنا أيري».

«مرحبًا».

مكتبة ياسمين

«أنا... أنا آيري... هل تسمعني؟».

قال ميتسوتسوكا: «فويكو»، مستخدمًا اسمي الأول.

«ميتسوتسوكا». قلتُ اسمه بهدوء، ويداي ترتعشان.

«كيف حالك؟».

«بخير. جيّد. كيف حالكِ؟».

«أوه، أنا بخير».

«يسعدني ذلك. يبدو أنّ وقتًا طويلًا قد مرّ».

«نعم بالفعل».

سكتنا. وبعد عدّة لحظاتٍ سمعتُ ميتسوتسوكا يسعل بصوتٍ مكتوم، ثم قال:

«ما الذي تفعلينه هذه الأيّام؟».

«أعمل من المنزل فحسب. ماذا عنكَ يا ميتسوتسوكا؟».

«أنا؟ أعمل أيضًا».

«حقًّا؟».

«نعم».

ثم جاءت دفعةٌ جديدةٌ من الصمت.

قال ميتسوتسوكا: «بالمناسبة»، ثم أكمل:

«على مدار الشهر الماضي، كلّه تقريبًا، لم أكن أستمع إلى أيّ شيءٍ إلّا شوبان».

«حقًّا؟».

مكتبة ياسمين

«وأصبت بنزلة برد، شديدةٍ في الحقيقة، واستمرّت لفترةٍ كذلك. لا بدّ أنني أتقدّم في السنّ».

«إذًا، لم تكن على ما يُرام في كلّ الأحوال، أليس كذلك؟».

«الآن، بعد أن قلتِ ذلك، لا. أظنّني لم أكن بخير».

«لكنّك تشعر بأنّك أفضل الآن؟».

قال: «نعم، أظنّ ذلك». ثم، وكأنّه قد تذكّر شيئًا للتوّ، أضاف أنّ السنة على وشك الانتهاء.

ضحكت قليلًا وأنا أقول:

«تبدو الآن مثل مدرّسٍ فعلًا».

«ربّما لأنّني مدرّس فعلًا».

«مفهوم».

«بعض الأماكن علّقت زينة عيد الميلاد بالفعل».

«إنّه ذلك الوقت من السنة».

«ربّما يضعونها في الليل، أليس كذلك؟».

«نعم. ربّما».

كانت هذه هي المرّة الأولى التي أسمع فيها صوته منذ وقتٍ طويل، لكنّ ميتسوتسوكا لم يبدُ عليه أيّ تغيير. يتكلّم بطريقةٍ توحي بأنّنا كنّا نتحدّث بالأمس في المقهى، وبأنّنا نستكمل حديثنا من حيث توقّفنا بالضبط.

شعرت بمزيجٍ من المشاعر التي لم أستطع فهمها، ما يشبه الحزن والراحة، ممزوجين بالمرارة وشيءٍ يشبه الغضب. وشعرت كأنّ جسمي ينتزع منّي،

مكتبة ياسمين

ويصغر مبتعدًا في كلّ ثانية. بعد شهرٍ ونصف الشهر، ها أنا أخيرًا أسمع صوت ميتسوتسوكا. أنا موجودةٌ في هذه اللحظة بالذات التي كنت أنتظرها. إلى أيّ درجةٍ رغبث في لقائه على مدار الشهر ونصف الشهر الماضي؟ وكم مرّةً فكّرث فيه؟ كان قلبي يخفق مع هذه المشاعر التي ظهرث فجأة، وسريعًا ما أصبحث غير قادرةٍ على الحديث.

قلث في النهاية: «... حسنًا، سأذهب الآن».

«حسنًا».

ركعث على أرضيّة المطبخ حالكة السواد. تركث رأسي معلّقةً وجلست ثابتةً تمامًا، الهاتف بين كتفي وأذني اللزجة بفعل العرق والنّفس. محرّك الثلّاجة يعمل مُصدرًا صوته المعتاد، وكنت قد بدأث أتساءل إن كان ميتسوتسوكا لا يزال هناك، على الطرف الآخر من الخطّ. ربّما أغلق الهاتف بالفعل. أغلقث عينيّ في الظلام، وأمسكث الهاتف، ثم سألته شيئًا بصوتٍ خفيض:

«ميتسوتسوكا، هل أنت متزوّج؟».

بعد فترةٍ من الصمت قال لا. عيناي لا تزالان مغمضتين. أخذث نفسًا عميقًا، تاركةً للهواء أن يملأ صدري. ثم كتمته لفترة، قبل أن أطلقه كلّه.

«هل فكّرت في النوم معي من قبل؟».

كنث أعرف أنّ ميتسوتسوكا لا يزال هنا. عيناي مغمضتان، أستمع إلى صوت نبضي في أذني، وأعدُّ الضربات. لم يقُل ميتسوتسوكا شيئًا. لم أكن متأكّدةً

مكتبة ياسمين

إن كان قد سمعني، أو أنه ببساطةِ يتظاهر بأنه لم يسمعني. في الحالتين كلتيهما، كان عليّ أن أسأله مرّةً أخرى. توجّب عليّ ذلك.

هل فكّرتَ في النوم معي من قبل؟

نعم.

رفعتُ رأسي لأنظر في الظلام.

فعلت ذلك. خرجت منّي تلك الكلمات وكأنّني أتحدّث مع نفسي.

قال بصوتٍ خفيض: نعم.

دفعتُ الكلمات كي تخرج في النهاية: وأنا أيضًا، وقد مضى على ذلك حتى الآن فترةٌ طويلة. وشعرتُ بعدها بأنّني سأنهار.

يداي تضغطان على حلقي النابض. استلقيتُ على أرضيّة المطبخ.

بدءًا من هذه اللحظة، لم تكن لديّ فكرةٌ عمّا قلناه، أو كيف انتهتِ المحادثة، وكأنّني أتتبّع حلم شخصٍ آخر بأصابعي. أعرف أنّه كان هناك المزيد من لحظات الصمت الطويلة، وأنّ ميتسوتسوكا ضحك قليلًا، وأنا ضحكتُ نوعًا ما كذلك. وضعنا خطّةً للّقاء بعد أسبوعين، في العاشر من كانون الأوّل/ديسمبر، يوم عيد ميلاد ميتسوتسوكا. الحديث مع ميتسوتسوكا جعلني أشعر كأنّني عدتُ إلى الحلم الذي شاهدته مرّاتٍ كثيرة، على مدار الشهر ونصف الشهر الماضي. وبعد أن أغلقنا الخطّ، أمضيتُ عدّة دقائق في الظلام الدافئ، مستندةً

مكتبة ياسمين

إلى حائط المطبخ. شعرت بنفسي عالقةً في ضبابٍ خفيف. عدّلت وضعيّة رأسي، وتمكّنت من النهوض والترنّح وصولاً إلى السرير، حيث تركت كلّ شيءٍ يخرج مرّةً واحدة، وتهاويت على المرتبة. انتشرت في كلّ ركنٍ من الغرفة مشاعر إثارةٍ هادئةٌ مُسكرة، وابتلعتني بالكامل. ولفترةٍ من الوقت، لم أغد قادرةً على الحركة. لا أعرف كم مضى، لكن في لحظةٍ ما سحبت الأغطية، وأنزلت ذراعيّ وساقيّ تحتها، دافئين في مواجهة برودتها. تركت يدًا تستقرّ على فخذي، وسحبت الأخرى إلى عنقي. كان الدم يجري فيّ، يُدفئ جسدي. ثم ضممت الهاتف إلى صدري بيديّ كلتيهما، ضاغطةً إيّاه بكلّ ما استطعت من قوّة، وأنا أُعِيد في رأسي كلّ ما قاله لي ميتسوتسوكا للتوّ، مئات المرّات، ثم أغلقت عينيّ.

مكتبة ياسمين

ـ 11 ـ

مع كلّ حركةٍ من معطف ميتسوتسوكا، كنتُ أشمُّ رائحةً زكيّةً تنبعث من نسيجه، رغم أنّني احتجتُ بعض الوقت لإدراك أنّها رائحة المطر لا أكثر.

قلتُ: «إنّه الشتاء».

«هو الشتاء بالطبع».

الطريق التي تحفُّها التلال بين محطة شيناغاواوالمطعم كانت محفوفةً بأشجارٍ تلمع بأضواء الميلاد، وكنّا نتوقّف من وقتٍ إلى آخر لنلقي نظرةً عليها.

«الناس كلُّهم تقريبًا أصبحوا يستخدمون هذه الأضواء الزرقاء، لكنّني أحبُّ الأضواء القديمة عتيقة الطراز تلك».

«الأضواء الصفراء تعطي المرء إحساسًا بالدفء، أليس كذلك؟».

«واللمبة مصمّمةٌ كي تستمرّ لفترةٍ طويلة. لم يعُد أحدٌ يصنعها مثلما كان يحدث في الماضي».

«الضوء الأزرق يجعلني أشعر بالبرودة جدًّا».

قابلتُ ميتسوتسوكا في المحطّة، بعد شهرين من عدم رؤية وجهه. انحنيتُ، وكان عليّ أن أنظر إلى الناحية الأخرى، غير قادرةٍ على النظر إليه مباشرة. ها هي، أشرتُ بإصبعي إلى الخريطة التي طبعتُها في البيت. من دون أن تلتقي عينانا، توجّهنا بنظرينا إلى الطريق. ثم خُضنا عددًا من المواضيع التافهة بينما نسير متجاورين حتى نهاية الشارع،

مكتبة ياسمين

حيث حلّ الليل. ما نوع الكتب التي كنت تعملين عليها؟ إنّني أدقّق مجموعةً من المقالات واللقاءات الصحفيّة. فعلًا؟ نعم. كيف حال المدرسة؟ تفصلنا أسابيع قليلةٌ عن عطلة الشتاء، لكن لا تزال عندنا امتحانات الدور الثاني. فعلًا؟ نعم. سرنا معًا، خطوةً بخطوة، وبدا أنّ باطنَي قدمَي كلٍّ منّا تُركّز على فترات الصمت في محاداثاتنا غير المترابطة. كانت هذه هي المرّة الأولى في حياتي التي ارتدي فيها حذاءً بكعب، ولم أكن أعرف كيف أسير به من دون أن أؤلم قدمَيّ. كنتُ في مزاجٍ رائقٍ وأنا أسير إلى جوار ميتسوتسوكا. أرتدي طقم الملابس الداخليّة متطابق الألوان، مع كنزةٍ من الكشمير الرقيق أخضر اللون، وتنورةٍ كحليّة اللون من الصوف الناعم، وأضع فوق ذلك كلّه المعطف الجمَليّ. لم تكن عندي معرفةٌ بالعطور، لذا اضطررتُ لقراءة مقالٍ عن أماكن وضعه على الجسم. وكلّما تحرّكت، كنتُ انتبه إلى نفحةٍ من شذا تنبعث من وركَيّ.

يقع المطعم الذي قصدناه في منزلٍ مرمَّمٍ واسع، وسط حيٍّ سكنيّ. حين فتحتْ الباب الخشبيّ العملاق، جاءت امرأةٌ لها شعرٌ طويل، تلبس فستانًا طويلًا أسود اللون، وانحنت لترحّب بنا. بصوتٍ هادئٍ سألتني عن اسمي. قلتُ لها آيري. ابتسمت لنا ابتسامةً خلّابة. كنّا ننتظركما، تفضّلا من هنا. سارت أمامنا بسرعةٍ إلى نهاية البهو.

تحت السقف المرتفع اثنتا عشرة طاولة، أو نحو ذلك، موضوعةً على مسافةٍ معتبرةٍ من بعضها البعض في المطعم، يجلس إليها أزواجٌ يشربون

مكتبة ياسمين

النبيذ. عدّة ثريّاتٍ مختلفةٍ معلّقةٍ في أماكن عدّةٍ من الحجرة، وعددٌ لا حصر له من زجاجها المشكّل على هيئة قطرة دمعٍ يلمع بكلّ لونٍ من ألوان قوس قزح. سيراميك عجيبٌ عليه تفاصيل دقيقةٌ يُبطّن الأرفف العتيقة، بينما يضيف الفنُّ التجريديُّ ذو الألوان الزاهية تباينًا شديد الجمال. الأرض الخشبيّة لُمّعت حتى أصبحت تبرق. تبعنا المرأة إلى حيث طاولتنا، بينما أراقب خطواتي لأتأكّد من أنّ كعب حذائي لن ينزل بين ألواح الخشب.

فتحت بابًا قليل الثخانة في الخلف، وقادتنا إلى حُجرتنا الخاصّة، حيث كانت الشموع مضاءة، تلمع في كلّ مكان. خُطِفَت أنفاسي. ثلاثة شمعداناتٍ معدنيّةٍ مستقرّةٍ على قطعة قماشٍ بيضاء مفرودةٍ على طاولتنا، بينما الرفوف الموزّعة بسيمتريّةٍ على الجدران تحمل كلّ أنواع الشموع؛ سميكةً ورفيعة، بيضاء وصفراء باهتة، وزرقاء، كلّ واحدةٍ منها تحترق بلهبٍ يميل إلى اللون البرتقاليّ، يرتجف وكأنّه يهمس.

أجلستني على المقعد الأبعد، وجلس ميتسوتسوكا على المقعد المواجه لي. عادتِ المرأة وهي تحمل قائمة طعامٍ موضوعةً في جرابٍ من الجلد الأسود. كنتُ قد طلبتُ عشاءً كاملًا لشخصين حين أجريتُ الحجز، لذا سألتُها عمّا إذا كان بإمكاننا أن نحصل على ما طلبتُه عبر الهاتف. ابتسمت مؤكّدةً لي أنّ كلّ شيءٍ على ما يرام، وسألتنا ماذا نريد أن نشرب. عندما عرفتُ أنّ المشروبات ليست متضمّنةً في سعر الوجبة، شعرتُ بحرارةٍ وراء أذنيّ. تمعّنتُ

مكتبة ياسمين

لبعض الوقت في أسماء المشروبات الموضوعة في القائمة، وفي أسعارها، ولم أعرف ما الذي يجب عليّ أن أطلبه، لكنّها أشارت إلى نوعٍ من النبيذ، وقالت إنّه سيتناسب مع وجبتنا. لم أعرف إذا ما كان السعر غاليًا بالنسبة لزجاجة نبيذ، لكن حين نظرتُ إلى الأسعار في القائمة اكتشفتُ أنّه السعر الأرخص. أومأتُ وطلبتُ زجاجةً واحدة. قالت إنّها ستعود على الفور، ثم غادرتِ الغرفة.

جلستُ أنا وميتسوتسوكا، ويدا كلٍّ منّا تستقرّان في حِجره، ننظر هنا وهناك في الحُجرة. ومن وقتٍ إلى آخر، نأخذ جرعة ماءٍ هادئةً من كأسَي المياه أمامنا، قبل أن ننظر من جديدٍ إلى الشموع المعلّقة على الجدران. قلتُ إنّ المكان جميل، وأومأ ميتسوتسوكا موافقًا. بالطبع هو كذلك. لكنّني بمجرّد أن قلتُ إنّ المكان جميل، حتى شعرتُ بأنّه لم يعُد عندي شيءٌ لأقوله، واستدرتُ لأراقب اللهب المتراقص. سمعتُ نقرةً على الباب، ثم عادتِ المرأة وهي تحمل النبيذ الذي طلبناه. وضعتِ الكأسين الكبيرتين باستخدام أطراف أصابعها. راقبناها وهي ترفع الزجاجة بيدٍ خبيرة، ثم تسكب لكلّ واحدٍ منّا في كأسه.

قلتُ بصوتٍ خفيض، بعد أن غادرت المرأة الحُجرة: «كلُّ سنةٍ وأنت بخير».

ضحك ميتسوتسوكا وقال: «لكنّ عيد ميلادي لم يأتِ بعد. عيدُ ميلادك أنت اقترب أيضًا. ربّما كان علينا أن نرتّب هذا الأمر بحيث يكون احتفالًا بنا

مكتبة ياسمين

نحن الاثنين».

قلت وأنا أضحك: «لا. اليوم سنحتفل بك أنت». حقيقة أنّ ميتسوتسوكا تذكّر عيد ميلادي جعلتني شديدة السعادة، وكدت أشعر بأنني سأبتسم حقًا هذه المرّة.

«كان اليوم هو اليوم الوحيد المتاح. أتمنّى لو أنّني عثرت على حجزٍ في عيد ميلادك الحقيقيّ».

قلّب ميتسوتسوكا نظره في الحجرة وقال: «لا. هذا رائع».

قلت وأنا أنحني: «على كلّ حال، كلُّ سنةٍ وأنت بخير».

«ماذا قد يكون أجمل من حفلة ما قبل عيد الميلاد؟».

«ما قبل عيد الميلاد؟».

«نعم. لأنّنا نحتفل به قبل موعده».

قلت وأنا معجبةً بهذه الفكرة: «هل هذا شيءٌ يفعله الناس؟ لم أكن أعرف ذلك».

«لا. لا أظنُّ أنّ الناس يفعلون ذلك. إنّه شيءٌ اخترعتُه أنا».

بدا ميتسوتسوكا متوتّرًا وهو يتحدّث. مسح جبهته بباطن يده، ولاحظت أنّه يعرق قليلًا.

«حسنًا، كلُّ ما قبل عيد الميلاد وأنت بخير». وضحكتْ قليلًا بينما أرفع كأسي بضع سنتيمتراتٍ عن الطاولة.

مكتبة ياسمين

«هذا هو أجمل ما قبل عيد ميلاد يمكنني تذكُّره».

لامسنا كأسينا ببعضهما البعض، ورنّ الصوت في الهواء. التقت عينانا لجزءٍ ضئيلٍ من الثانية، قبل أن ينظر كلٌّ منّا في اتّجاه، ويشرب النبيذ في صمت.

في كلّ مرّةٍ تُحضر المرأة لنا فيها طبقًا منمّقًا، من المحار السوتيه، أو سلطة سوريمي، كانت تقدّم لنا وصفًا دقيقًا للطريقة التي أعدّ بها الطبق، والأماكن التي جُلِبَت منها عناصره. لكن نظرًا إلى أنّني كنت أبذل كلّ ذرّة مجهودٍ أمتلكها للإجابة عليها، والإيماء وأنا أنظر إلى الطعام، فإنّني لم أتذكّر شيئًا ممّا قالته في نهاية المطاف.

همس ميتسوتسوكا وهو يقضم زيتونةً جاءت مع الخبز: «لم آكل هذا الشيء من قبل».

سألته: «ما رأيك؟».

قال وهو يحرّك فمه: «لا أتمكّن من الإمساك بالطعم فعلًا، وإن كنت أظنّ أنّ الطعم هو شيءٌ نخلقه في أدمغتنا في النهاية، لذا فربّما أنا غير قادرٍ على تحديد المكان الذي ينبغي عليّ أن أضعه فيه».

«أظنّها المرّة الثانية التي أتناول فيها الزيتون».

«ليس حامضًا بالضبط... لكنّه غريبٌ نوعًا ما. أظنّ أنّني قد فهمته الآن».

أومأ ميتسوتسوكا بحسم، وأزال أثر الزيتون ببعض النبيذ. لم أستطع تحديد ما إذا كنت أشعر بالسعادة أو الجنون. أرجعت رأسي إلى الخلف، وبدأت أضحك من دون أن أصدر صوتًا.

مكتبة ياسمين

كانت هذه هي المرّة الأولى التي أرى فيها ميتسوتسوكا يشرب الكحول أو يتناول الطعام. لم أكن أعرف ما الذي عليّ أن أنظر إليه وأنا أراه يمسك الخبز، ويقطّع لقمة، ثم يضعها في فمه. في كلّ مرّةٍ يحدث فيها ذلك، كنتُ أمسك السكّين والشوكة الموضوعتين أمامي، ثم أقطّع أيّ شيءٍ في طبقي.

انتهينا من النبيذ سريعًا، وجاءت المرأة لتأخذ أطباقنا. طلبتُ زجاجةً أخرى من النوع نفسه. جئتُ مستعدّةً بخمسين ألف ينٍّ في محفظتي، وأخبرتُ نفسي بأنّه من المستحيل أن تزيد الفاتورة عن ذلك. وبغضّ النظر عن هذا كلّه أصلًا، نحن نحتفل، واليوم على حسابي.

عندما عادتِ المرأة بمجموعةٍ جديدةٍ من الأطباق، ثم غادرتِ الحجرة من جديد، جلسنا في صمتٍ كامل، ويدا كلٍّ منّا مستقرّتان على مفرش المائدة. تُلقي الشموع ظلالًا متعدّدةً على الجدران، مرتجفةً في دفعاتٍ عدّة. كنّا نحن الاثنان فقط، وحدنا، محاطَين بألسنة لهبٍ صغيرة.

قال ميتسوتسوكا عندما التقت عينانا: «تبدين مذهلةً اليوم». سألته إن كان يظنّ ذلك حقًّا، وأنا أنظر إلى الأسفل، وإحدى يديّ تستقرّ على حلقي.

تركتُ شعري يطول لمدّة عام، ولم أكن أفعل أيّ شيءٍ للاهتمام به على الإطلاق. لكن في هذه الليلة، وقبل أن أقابل ميتسوتسوكا، قرّرتُ أن أقلّمه بعض الشيء، وذهبتُ إلى مُزيّنٍ بالقرب من المحطّة.

قلت له: «بقدر عقلة إصبع، أو شيئًا كهذا».

مكتبة ياسمين

أجلستني العاملة، التي كان شعرها مصفّفًا على الطريقة المالطيّة، على أحد الكرسيّين في المكان، ثم غسلت شعري بعناية، قبل أن ترطّبه مستخدمةً بخاخًا.

بدا عليها الإعجاب وهي تمشّطه، وقالت لي: «شعرك جميل، لا أرى في العادة شعرًا بهذا الانسدال والصحّة».

لم يقل لي أحدٌ هذه الكلمات من قبل. لم أعرف كيف أردَ، لذا هززتُ رأسي بخفّةٍ بينما أنظر في المرآة.

سألتني المرأة: «هل جعّدته من قبل؟»، بينما ترفع خصلةً من الشعر لترى النهايات بصورةٍ أوضح.

«لا. أبدًا».

«حقًّا؟ خمّنتُ ذلك». قرصت خصلةً من شعري بأصابعها، ثم قصّت جزءًا منه.

«هل عندكِ موعدٌ الليلة؟».

بدا على نبرة صوتها الاهتمام. قلتُ لا بصورةٍ تلقائيّة، ثم اضطربتُ وقلتُ في الحقيقة نعم. قالت حقًّا؟ وهي تتحرّك برشاقةٍ خلفي على كرسيّها ذي العجلات، وتبدأ بفحص طول شعري. قالت وهي تضحك إنّني شابّةٌ جميلة، وعليّ أن أستمتع بذلك.

قالت وهي تنظر في المرآة إلى عينيّ: «طريقة لبسك جميلةٌ كذلك. تبدين وكأنّك قد خرجت للتوّ من مجلّة».

هززتُ رأسي وأنا أقول: «هذا ليس صحيحًا».

مكتبة ياسمين

«لكنّه كذلك. أعرف الثياب الجيّدة حين أراها. وانظري كم أنت رشيقة».

هززت رأسي مرّة أخرى وأنا أقول: «لستُ كذلك».

«بالطبع أنتِ كذلك. هل هناك مكانٌ معيّنٌ تشترين منه هذه الملابس؟».

«نعم، أظنُّ ذلك».

لم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى كانت قد انتهت ممّا تفعله بالمقصّ. انتقلت سريعًا بعدها إلى مجفّف الشعر. استخدمته بعنايةٍ حتى أصبح شعري لامعًا. بدا لي وكأنّني أضع شعرًا مستعارًا. عندما هززتُ رأسي، تبعته أقواس الضوء في شعري. شعرتُ وكأنّني قد اكتشفتُ شيئًا عظيمًا. فكّرتُ في أنّ شعري كان بإمكانه أن يبدو بهذا الشكل دائمًا لو أنّني كنت أجفّفه بطريقةٍ صحيحة. مجرّد النظر إليه جعل وجهي يسترخي مبتسمًا.

تفحّصتِ المرأة وجهي داخل المرآة، ثم سألتني: «ماذا عن مساحيق التجميل؟». ليست عندي أيّة فكرة. بدأتُ التلعثم، ثم قلتُ لها نعم. آه. بعد الشعر. قالت رائع. على حسابنا. وبما أنّ لديكِ موعدًا اليوم، فسأجعله شديد التميّز. ربّتت على كتفي، ثم ذهبت إلى درجٍ في الخلف، وعادت وهي تُمسك حقيبة مكياجٍ كبيرة، مطبوعًا عليها رسومات زهور.

تنهّدت المرأة وقالت: «انظري كم هي جميلةٌ بشرتك! لا تحتاجين إلى بودرة أساسٍ حتى».

لم أستطع قول ما هو أكثر من شكرًا. مرّرت

مكتبة ياسمين

الإسفنجة وأصابعها على أنحاء وجهي المختلفة. علّقت على فتور عينيّ، وقالت إنّ اللون الأزرق ربّما يساعد في ذلك، حتى لو كان الوقت هو الشتاء. ثم وضعت ظلّ عيونٍ كحليّ اللون على جفوني. قالت المرأة إنّ وضع ظلّ عينٍ سيكون أمرًا صعبًا في حالة جفونٍ مفردةٍ مثل جفوني. ستصبح الأمور فوضى لزجة كلّما رمشت. الأمر نفسه كذلك بالنسبة لي، فلنبرز عينيكِ الفاترتين ببعض الخطوط على جفنيكِ السفليّين. قالت ذلك بينما تحرّك قلم كحلٍ رفيعًا على امتداد الحدود التي تفصل بين كرة عيني وجفني السفلي، وهي تثبّت العين. بعدها استخدمتِ القلم نفسه في تتبّع الحدود الخارجيّة لحاجبي، مرّةً تلو الأخرى. بعد ذلك، وضعت قليلًا من أحمر شفاه، ذي رائحةٍ قويّةٍ لسعت أنفي، وكانت تستدير إلى المرآة عدّة مرّاتٍ لتومئ لي راضية. في النهاية ضمّت شفتيها، مشيرةً إليّ كي أفعل المِثل. كانت طبقة أحمر الشفاه ثخينة، إلى درجة أنّ شفتيّ التصقتا. امسحي الآن، قالت لي المرأة وهي تناولني منديلًا. عندما ضغطت شفتيّ على المنديل، تركتا أثرًا قويًا باللون الورديّ الغامق، كأنّه رسم سمكة. استغرقتِ العمليّة كلّها دقائق قليلة. قالت المرأة في النهاية: مكياج بسيط. الأساسيّات لا غير. أعطتني مرآة يد، رأيت فيها نسخةً منّي لم أرها من قبل قطّ.

بدا عليها الحماس المفرط وهي تقول لي: «أكثر جمالًا بالمكياج».

هززت رأسي وأنا أحدّق إلى نفسي في المرآة،

مكتبة ياسمين

وقلت: «شكرًا»، وشعرتُ بالقلق للحظاتٍ من أنّه ربّما يكون مبالغًا فيه أكثر من اللازم. لكن حين ألقيتُ نظرةً أقرب، بدا حاجباي وعيناي أوضح، وبدوتُ شخصًا قويّ الإرادة إجمالًا. حينما أدرتُ رأسي لأنظر إلى نفسي من زوايا أخرى، لاحظتُ كم يبدو شكلي مختلفًا، وخفضتُ المرآة الصغيرة لأنظر إلى انعكاسي في المرآة الضخمة المثبتّة على الحائط. بدأ شعورٌ ما يحتدم في داخلي. ولو كان عليّ أن أعطي لهذا الشعور اسمًا، لأطلقتُ عليه الدُّوار.

سألتُ ميتسوتسوكا: «مذهلة؟». توهّجتِ الشموع ذات اللون البرتقاليّ المائل إلى البنّيّ على الطاولة فجأة، ملقيةً بمزيدٍ من الضوء على خدّ ميتسوتسوكا الأيسر.

كرّر: «مذهلة»، مع ابتسامة. كدتُ أسأله عمّا يعنيه بتلك الكلمة، لكنّني أخذتُ جرعةً من النبيذ لأُغرِق هذا السؤال.

ابتسم قائلًا: «هناك شيءٌ مختلفٌ فيكِ، تبدين مختلفةً قليلًا عن العادة».

سألتُ وعدوى الابتسام تنتقل إليّ: «فعلًا؟».

سألني ميتسوتسوكا، وكأنّه يهمس تقريبًا: «هل جئتِ إلى هنا من قبل؟».

«هذه هي المرّة الأولى. لكن عندي صديقةٌ قالت لي إنّه مطعمٌ ممتاز، لذا حجزتُ فيه».

ضيّق ميتسوتسوكا عينيه وهو يجول ببصره في أنحاء المكان: «اسمه غريبٌ بعض الشيء، أليس

مكتبة ياسمين

كذلك؟ ماذا كان اسمه؟ نو رايـ...».

ضحكث وأنا أقول: «Ne laissez pas... إنه يبدو غريبًا بعض الشيء بالفعل».

كان النبيذ جيّدًا. في كلّ مرّةٍ تلتقي فيها عينانا، ثم ننظر بعيدًا بعد ذلك، كنّا نشرب جرعةً جديدة. تحت تأثير الكحول، استطعث أن أشعر بهذه الأشياء الخفيّة كلِّها التي توجد بيني وبين ميتسوتسوكا؛ الهواء، والمسافة، والذكريات، وهي تتحوّل برقّةٍ إلى كتلةٍ عميقة. شربنا كثيرًا بعض الشيء، وعندما جاءت المرأة لتأخذ الأطباق، سألتها عن معنى اسم المطعم.

ابتسمث وهي تقول: «إنّه بالفرنسيّة، ويعني: لا ترحل».

بين أصوات احتكاك الشوك والسكاكين بالأطباق، أمكننا سماع انفجارات الضحك من أشخاصٍ يجلسون خلف الباب، في القاعة الرئيسيّة للمطعم. جعلتنا أصواتهم ننظر إلى بعضنا البعض. وعندما تلتقي عينانا، نبتسم شبه ابتسامةٍ وننظر إلى أطباقنا، أو نمسك كأسينا. عينانا على بعضنا البعض، نأكل قطعًا من الخضار، أو نقضم من اللحم الذي قطعناه إلى شرائح رفيعة من دون أن نستخدم السكّين، مستمتعين بالسائل الذي ينزُّ مغطّيًا مساحة لسانينا بكاملها. نمضغ ونمضغ حتى تفقد القطع تماسكها، ونصبح متأكّدين أنّها لن تصبح أطرى من ذلك، عندها نترك الطعام ينزلق بنعومةٍ عبر حلقينا.

طبقكما الأخير، قالت المرأة وهي تضع أمامنا وعاء

مكتبة ياسمين

من السيراميك الأزرق اللامع. ألقينا نظرةً على ما في داخل الوعاء. كان شيئًا أقرب إلى الحساء البنّيّ، يخلو من أيّ محتوياتٍ يمكن تمييزها. قالت: تفضّلا بالتذوّق، وهي تشير إلى الحساء. أمسكنا ملعقتينا الجديدتين، ولمسنا بهما سطح الحساء. طريقة وصول الملعقتين إلى قاع الوعاء كشفت عن مرقٍ له ملمسٌ حريريّ. وعندما قلبناها بملعقتينا، رأينا لُقمًا مستديرةً تظهر من قاع الطبق. قالت المرأة تفضّلا بالتذوّق، وفعلنا ذلك، رافعَين الملعقتين إلى شفتينا.

شرحت لنا المرأة، ويداها مضمومتان أمام بطنها: «حساء تربة الأرض».

سأل ميتسوتسوكا: «تربة؟». ألقيتُ نظرةً أخرى على ما في داخل الوعاء، ثم سألتُ إن كانت هذه التربة قابلةً للأكل.

«عندما تُطهى بالطريقة الصحيحة يصبح من الآمن أكلها. نغليها عدّة ساعات، إلى أن تُقتَل البكتيريا كلُّها، ثم ننزع الشوائب بعنايةٍ ونمرّرها عبر مصفاة، ثم نُنهي ذلك كلّه بإضافة الجيلاتين».

أنهتِ المرأة كلامها، ثم انحنت ومشت. غدنا إلى حساء التربة. إذًا، التكتّلات التي تصعد إلى الأعلى من قعر الوعاء هي تراب. رفعتُ بعضًا منها بالملعقة وتذوّقتها. ما ملأ فمي، أصدر صوتًا حادًا في مواجهة أسناني. تناول ميتسوتسوكا بعضًا منه أيضًا. ومن دون أيّة كلمة، راقبنا بعضنا البعض ونحن نمضغ مستكشفين.

ركّزتُ نظري على اللهب المرتعش في عيني

مكتبة ياسمين

ميتسوتسوكا.

قال ميتسوتسوكا: «أرجوك، دعيني أدفع أنا». كنّا واقفين عند الزاوية، على بُعد دقائق من المطعم. هززت رأسي وضحكت، مذكّرةً إيّاه بأنّنا حضرنا إلى هنا لنحتفل بعيد ميلاده. بدا ميتسوتسوكا غير مقتنع، لكنّني استدرت وبدأت المشي. وبعد لحظة، سمعت وقع خطوات قدميه وهما تتبعاني.

قلت له: «كان هذا نبيذًا جيّدًا». كانت هذه هي المرّة الأولى التي أشرب فيها مع ميتسوتسوكا، وكان انتشار الكحول يُلقي شعورًا لطيفًا في جسدي. ومع مرور الوقت، شعرت بيديّ وقدميّ وهي تصبح أخفّ فأخف. يُصدِر كعباي إيقاعًا لطيفًا. كنت سعيدةً لأنّ معطفي خفيفٌ للغاية، وتذكّرت كيف بدا وجهي هذا المساء في صالون التجميل، وكيف أثنى عليّ ميتسوتسوكا، وقال إنّي أبدو مذهلة. أطواق الضوء في رأسي. التفتّ إلى ميتسوتسوكا وتوقّفت، ثم نظرت إلى عينيه.

قال: «هناك روايةٌ عن فتاةٍ تأكل التراب».

سألته: «رواية؟».

«نعم. روايةٌ طويلةٌ حقًّا. نسيت اسمها. على كلّ حال، كانت تلك الفتاة تأكل التراب، الكثير منه، لكنّها تُخفي ذلك عن أمّها، فهي تعرف أنّ ذلك خطأ، لكنّها لا تستطيع التوقّف».

«لماذا تفعل ذلك إذًا؟»

بقي ميتسوتسوكا صامتًا، وكأنّ شيئًا قد

مكتبة ياسمين

خطر له للتوّ. وللحظةٍ بقي واقفًا في مكانه. «ميتسوتسوكا؟».

ضحك وقال: «آسف. ما الذي كنتِ تقولينه؟».

«لا شيء. هل كلُّ شيءٍ على ما يُرام؟».

قال إنّ كلّ شيءٍ بخير، وهو يضحك بعض الشيء.

«أظنّني تذكّرتُ شيئًا، شيئًا لم أفكّر فيه منذ وقتٍ طويلٍ للغاية».

نظرتُ إلى جانب وجهه.

«الأمر يتعلّق بأبي». كان يتحدّث بصوتٍ أخفض بقليلٍ من عادته.

«أبوكَ؟».

«حسنًا. حدث هذا منذ وقتٍ طويلٍ للغاية، ومن المحتمل أنّني أخلط بينه وبين شخصٍ آخر».

هزّ رأسه، وأكمل: «لم يأكل أبي التراب أبدًا... كان هذا في الأيّام القديمة، لكنّه اعتاد تناول الرزّ النيء طيلة الوقت. كنتُ قد نسيتُ ذلك تمامًا، حتى هذه اللحظة».

«رزٌّ نيء؟ غير مطبوخ؟».

قال ميتسوتسوكا: «نعم. كان يحتفظ دائمًا بحفنةٍ من الرزّ في جيوب المعطف الذي يرتديه. يأخذ بعضًا منه ويمضغه مثل علكة، أو شيءٍ من هذا القبيل. كان هذا يُغضب أمّي كثيرًا، وكانت تطلب منه دائمًا أن يتوقّف عن فعل ذلك، موضحةً أنّها عادةٌ مقرفة. لكنّ العادات المماثلة يصعب التوقُّف عنها. إنّها من

مكتبة ياسمين

نوع الأشياء التي لا يدرك المرء أنّه يفعلها أصلًا. كان أبي يُدرّس في المدرسة الثانويّة، وممّا سمعتُ عنه أنّه كان يفعل ذلك حتى داخل الفصل. شعرتْ أمّي بالخجل، وكرهتْ فعله لذلك. كانا يتشاجران كثيرًا بشأن ذلك. لكن حين أنظر إلى الأمر الآن، فقد كان ذلك، نوعًا ما، فعلًا مسالمًا بطريقته الخاصّة».

أومأتُ برأسي عدّة مرّات، وأنا أنظر إلى وجه ميتسوتسوكا بعناية.

«هجرتنا أمّي حين كنتُ ما أزال في المدرسة. ولفترةٍ طويلةٍ عشتُ أنا وأبي في البيت، حتى الأيّام الأخيرة من حياته. كنتُ أراه يأكل الرزّ النيء طول الوقت، لكنّني نسيتُ ذلك بطريقةٍ ما، وكأنّه لم يحدث أبدًا». ضحك ميتسوتسوكا، ثم أكمل:

«أظنّنا قادرين على نسيان أيّ شيءٍ تقريبًا... لا أعرف لماذا أخبركِ بهذا. أنا آسف. ما الذي كنّا نتحدّث عنه؟».

قلتُ بصوتٍ منخفض، وأنا أنظر إلى عينيه: «أوه... عن تلك الفتاة، في الرواية. لماذا كانت تأكل التراب؟».

«لا أظنّنا نعرف أبدًا. نسيتُ التفاصيل. أنا واثقٌ من أنّني لم أكن لأتذكّر شيئًا من ذلك على الإطلاق لولا تناولنا حساء التراب الليلة».

سرنا بتمهّلٍ في طريقنا إلى المحطّة.

فردتُ أصابعي وأرجحتُ ذراعيَ، وسرتُ وكأنّني أسبح في الهواء. بدأتْ تهويدة شوبان تُعزف في

مكتبة ياسمين

رأسي، وحاولت أن أدندن اللحن. هل تعرف ما هذه الأغنية؟ بالطبع، إنّها التهويدة. صح. أنت مغنّيةٌ رائعةٌ يا فويوكو. لا، لستُ كذلك. لا أمل فيَّ. فعلًا؟ تبدين رائعةً بالنسبة لي. حقًّا؟ هل تستطيع الغناء يا ميتسوتسوكا؟ لا أمل فيّ أنا الآخر. أظنُّ أنّه لا أمل في كلينا إذًا.

نظرتُ إلى ميتسوتسوكا، خلفه ببضع خطواتٍ لكن إلى الجانب، أدندن بقيّة التهويدة. قال لي ميتسوتسوكا أن أنتبه إلى خطواتي، وبدا قلقًا وهو يمدُّ يده.

هبّتِ الريح على الشارع، وانتبهتُ سريعًا إلى أنّنا نسير أسفل شجرةٍ لا أعرف نوعها، محدّقَين في أوراقها التي لا يمكن حصرها وهي ترتجف في حركاتٍ موحّدة. نعيق غرابٍ في مكانٍ قريب، وحوافُّ الليل تسترخي بسكونٍ كامل. نحن الاثنان فحسب، في ظلال الليل.

قلتُ وأنا أجذّف في الهواء: «الريح قويّةٌ اليوم. انظر إلى هذه الظلال، هل رأيتَ ظلالًا كهذه في الليل؟».

قال ميتسوتسوكا: «إنّها شديدةٌ للغاية»، قبل أن تهبّ الريح من جديد، مُطيّرةً شعر ميتسوتسوكا على أذنيه وجبهته.

نظرتُ إلى وجهه وسألته: «ميتسوتسوكا، ألا يوجد شيءٌ هنا حقًّا؟».

«هنا؟ أين؟».

مكتبة ياسمين

قلت: «هنا»، ثم أشرت بيدي إلى المسافة التي تفصل بين جسمينا.

قال ميتسوتسوكا: «هناك الكثير. جرّبي تحريك يديكِ بقوّة، هل يمكنكِ الشعور بذلك؟».

قلت: «نعم. أظنّني أشعر»، بينما أؤرجح يديّ في الهواء.

«هل رأيت؟ أليس بإمكانكِ الشعور بحركة الهواء؟». حرّك ميتسوتسوكا يديه في الهواء على شكل دائرة.

«نعم».

«أنتِ تلمسين الجزيئات».

قلت في نفسي: «جزيئات...».

«هذا صحيح، جزيئات».

لفترةٍ من الوقت، حرّكت يديّ إلى الأعلى والأسفل، ومن جانبٍ إلى آخر، وفعل ميتسوتسوكا كذلك أيضًا. بدت عليه الجدّيّة وهو يقوم بذلك، إلى درجة أنّني بدأت أضحك. ضحك ميتسوتسوكا كذلك.

صمتنا بعد أن انتهينا، وهبّتِ الريح من جديد. تحت ظِلّ بعينه تلاقت عينانا، ونظرنا إلى بعضنا البعض.

ناديته باسمه، ميتسوتسوكا. نظر إليّ، من دون أن يردّ. لم يأخذ أيٌ منّا المبادرة، لكن تلامست يدانا. انضغط ظاهر أصابعنا معًا. لم يتحرّك أيٌ منّا. يمرُّ الليل عبر الأشجار فوقنا، تاركًا نمطًا خفيفًا فوق وجنتيه. سألته بصوتٍ ناعمٍ هل يمكنني أن ألمس

مكتبة ياسمين

الضوء؟ أن أدرس شكله؟ أجاب بالهدوء نفسه أنّ بإمكاني ذلك بطريقةِ ما، ولا يمكنني بطريقةِ أخرى. كان بإمكاني سماع صوت أنفاسه وكأنّها على بُعد إنشاتٍ قليلةٍ من أذني. ميتسوتسوكا، هل يمكنني أن ألمسك؟ رفعتْ يده وضغطتْ على أصابعه. هل تلمسينني الآن؟ الأمر نفسه مع الضوء. تركني ميتسوتسوكا أمسك بأصابعه. اللمس هو حالةٌ يصعب تعريفها، إذ يعني، من ناحيةٍ معيّنة، أنّه ليس بإمكانكَ الاقتراب أكثر من ذلك. نظرتُ إلى أصابع ميتسوتسوكا التي أمسكها بقوّة. ها هو ذا، وها أنا ذي. الشخص نفسه الذي كانت الوحدة تشلُه في البيت، يلمس ميتسوتسوكا الآن. جعلتني هذه الفكرة أشعر بالتنميل في رأسي، وبالضيق في صدري. قلتُ بهدوء: إنّني ألمسك، وإن كان ذلك يعني أنّه ليس بإمكاني الاقتراب أكثر من ذلك فلا مشكلة لديَ، لأنّني ألمسك. عندما نظرتُ إلى الأعلى، كان وجهه أمامي مباشرة. ظلمة عينيه رطبة، تحمل أثرًا من الضوء. رفعتُ يدي الأخرى، وبلطفٍ لمستُ الندبة الموجودة بالقرب من عينه. ميتسوتسوكا، أنا أحبّك. انسكبتِ الكلمات من قلبي، أقوى بكثيرٍ ممّا كانت عليه في أيّةِ مرّةٍ جرّبتها فيها وأنا في البيت، من دون وجوده هناك، حين كنتُ أستيقظ من النوم صاحيةً من أحلامي، لأرى كلّ شيءٍ يتلاشى. أنا أحبّك. لم يمض وقتٌ طويلٌ على خروج هذه الكلمات منّي، حتى بدأت الدموع تتكوّن في عينيَ، وكأنّ المساحة بين عينيّ ورموشي قد تمدّدت. انهمرت الدموع على خدّيّ وصولًا إلى ذقني، حيث

تجمّعت لتخلق تيّار دمعٍ سقط في الليل. لم أرمش حتى. تسارعت الدموع على خدّيّ كأنّها حيواناتٌ ليليّة، كأنّها تهرب من شيءٍ ما، تهرب منّي أنا، في تيّارٍ لا يُظهِر أيّة إشارةٍ إلى التوقُّف. تحوّل وجهي إلى حالةٍ من الفوضى الكاملة. بكيث وبكيت، ولأوّل مرّةٍ منذ فترةٍ طويلةٍ لم أغد قادرةً على العثور على ذاكرةٍ من أيّ شكل، وإن كنث أعرف متى حدث هذا أو ذاك. تمنّيث لو أنّني استطعث البكاء بهذه القوّة. معرفةٌ تحوّلث إلى دموع، وإلى المزيد منها. دموعٌ كثيرةٌ إلى درجة أنّه لم يَعُد بإمكاني التفكير في إيقافها. لكن كان عليّ أن أذكّر نفسي بأنّني لست في أيّ ذكرى من أيّ نوع، وإنّما واقفةٌ هنا، أمام ميتسوتسوكا، أرى انعكاسي في عينيه، حيث بإمكاني رؤية أنّني أبكي. تركني ميتسوتسوكا أضغط على أصابعه، من دون أن يقول شيئًا. وقف ساكنًا من أجلي. كانت هذه هي المرّة الأولى التي عرفث فيها معنى أن تبكي وثمّة شخصٌ معكَ يرعاك.

لم يقُل ميتسوتسوكا أيّة كلمة. وقف هناك فحسب، وبدا أنّه ينتظر بصبرٍ أن تنتهي دموعي. سمعث سيّارةً تمرّ، ليس بعيدًا عنّا. استخدمث يديّ، وبدأث أمسح الدموع التي تتساقط عن خدّيّ. ثم دعكث عينيّ، وغطّيث وجهي، وبدأث البكاء من جديد. رفع ميتسوتسوكا يده الحُرّة وأراحها على قمّة رأسي. ظننث أنّني أشعر بحرارة يده وهي تخترق جلدي. على هذا الوضع، سألث ميتسوتسوكا إن كان بإمكانه قضاء يوم عيد ميلادي معي، بصوتٍ يكاد البكاء

مكتبة ياسمين

يخنقه. هل ستمضي الليلة معي؟ وهل ستستمع إلى هذه الأغنية معي؟ نحن الاثنان فقط؟

كانت الدموع لا تزال تنهمر. وعندما تحرّكت يده عن قمّة رأسي نظرت إلى الأعلى، ورأيت أنّه كان ينظر إليّ، ويهزُّ رأسه مرّةً تلو الأخرى. بدا كأنّه يبتسم نوعًا ما. عندما رأيته هكذا، دفنت وجهي في راحتيَ، وبدأت النحيب بصوتٍ عالٍ.

تذكّرت بُنية الحلم الذي رأيته ذات مرّة. أسير عائدةً إلى المحطّة، أركب قطارًا مزدحمًا، أعبر البوّابة، وأجد نفسي خارج محطّتي المحليّة.

كانت الريح قويّة، لذا أغلقت أزرار معطفي. وبمرور الوقت، تعمّق شعور البرد الذي لم أولِه اهتمامًا في السابق، ليتحوّل إلى قشعريرة. لكنّني كنت نائمةً في ذلك الحلم المراوغ، وجسمي الممدود يطفو في وهج الذاكرة.

وجدت مشغّل الأقراص في الحقيبة. وضعت السمّاعتين وضغطت زرّ التشغيل. بعد لحظةٍ من الصمت، ظهر الصوت المألوف للبيانو، وأطلقت تنهيدةً طويلةً عند سماعه. ارتعش الضوء الأبيض في مصابيح الإنارة، وعكست نوافذ البيوت الهادئة رائحة الليل الباردة، وخشخشت الأشجار مع الرياح وكأنّها تحترق. لوّحت بذراعيّ عبر الهواء وكأنّني أسبح، مثلما كنت أفعل في البيت دائمًا. أتخبّط في السعادة التي شعرت بها تنسكب من اللحن. فكّرت في قضاء ليلة عيد ميلادي مع ميتسوتسوكا. قضاء الوقت معه في هذه الليلة المميّزة. ميتسوتسوكا.

مكتبة ياسمين

عندما قلتُ اسمه في رأسي، تخدّرت راحة يدي بأحاسيس تذكّرتُها، فأنّ صدري بالسعادة. يمتزج لحن البيانو مع جزيئاتٍ غير مرئيّةٍ حولي، متحوّلةً إلى ريحٍ تخترق شعري وجلدي، بينما يفتح طريقًا تشقُّها نعومته. تذكّرتُ كلّ شيءٍ حدث تلك الليلة، بكلّ درجات التفصيل. وضعتُ يدي على رأسي، وبدأتُ أغنّي بهدوءٍ أغنية التهويدة. كنتُ على وشك الوصول إلى شقّتي، حين رأيتُ ما يبدو أنّه شخصٌ يقف بالقرب من كابينة الهاتف عند الدّرج، يرتجف في الظلام. توقّفت، وأخرجتُ السمّاعتين من أذنيَّ، وثبتُّ عينيّ على هذه البقعة. كنتُ حريصةً على ألّا أتحرّك، وركّزتُ فرأيتُ شخصًا. كنت متأكّدةً هذه المرّة.

تأهّبتُ وتراجعتُ إلى الخلف، لكن بدا أنّه رآني بالفعل. وبعد لحظةٍ رأيته وهو يتحرّك باتّجاه ضوء الطريق.

كانت هيجيري.

مكتبة ياسمين

- 12 -

«هل أفزعتك؟».

خطت هيجيري نحوي عدّة خطوات. لم أصدّق أنْ أحدًا كان يتسلّل في الأنحاء، ناهيك عن أن يكون هذا الشخص هيجيري نفسها. لم أستطع النطق بكلمةٍ لعدّة لحظات. تراجعتُ إلى الخلف تلقائيًا، ورفعتُ السمّاعتين اللتين كانتا في يدي ووضعتهما في حقيبتي. وقفت هيجيري في الظلال، ونظرتْ إلى وجهي.

قالت: «ظننتكِ متوعّكة. لكنّكِ تبدين لي بأفضل حال».

تمكّنتُ أخيرًا من الكلام لأقول: «ما الذي تفعلينه هنا؟ ما الذي تفعلينه؟».

«قلتِ إنّكِ لا تشعرين بأنّك على ما يُرام، فجئتُ لأطمئنّ عليكِ».

بذلك وضع حقيبتي القماشيّة إلى الكتف الأخرى، ووقفتُ للحظةٍ من دون أن أنطق أيّة كلمة. نظرتُ إليّ هيجيري عبر الضوء الشاحب لمصباح الشارع. كانت ترتدي معطفًا أسود اللون له ياقة فروٍ بنّيّة، وسروالًا ضيّقًا، وحذاءً أسود ذا كعبين. بقينا واقفتين ننظر إلى بعضنا البعض لفترةٍ من الوقت، من دون أن تجرؤ إحدانا على الكلام. هبّت الريح على الشارع من جديد، وملأ صوت الأغصان المتحرّكة المسافة بيننا. لم تكن عندي أيّة رغبةٍ في الحركة، لكنّني كنت أعرف أنّه ليس بإمكاننا البقاء

مكتبة ياسمين

في الخارج إلى الأبد، لذا استجمعث شتات نفسي، وبدأت الحركة في اتّجاه مدخل العمارة.

«ألن تسأليننى كيف عرفث مكان سكنك؟».

سألتني هيجيري. تسقط الظلال على وجهها. هناك هالاتٌ سوداء تحت عينيها، وبدا وجهها شاحبًا بعض الشيء.

قلت بهدوء: «لديك عنواني»، ما جعل هيجيري تضحك بقوّةٍ كادت تُسقِطها أرضًا، ثم اختلّ توازنها وتعثّرث إلى الأمام. كان يصعب من حيث وقفتِ الجزم، لكنّها بدث سكرانةً قليلًا.

«تبدين لي في حالةٍ جيّدة. كيف حال الصداع النصفيّ الغامض ذاك؟ اختفى تمامًا؟».

«نعم. أفضل كثيرًا الآن. شكرًا».

«هاي. هل كنتِ تشربين؟».

ألقت عليّ هيجيري نظرةً بدا أنّها لن تنتهي أبدًا، ثم أكملت:

«رأيتكِ قادمةً إلى البيت من هذه الناحية، وكنتِ تؤدّين حركاتٍ تشبه الرقص».

«شربث قليلًا».

«هاه. كنت أظنُّ أنّكِ لا تستطيعين الشرب. هل حدث شيء؟».

لم أعرف كيف أشرح لها، لذا لم أقُل شيئًا.

قالت ببرود: «كان عليك أن تخبريني فعلًا بأنّك قد تحسّنت. أنت تعرفين كم نحن مشغولون في هذه

مكتبة ياسمين

الأيّام. تولّيث أنا أمر تغطية غيابك. أقلُّ شيءٍ كان بإمكانك فعله هو أن تخبريني بما يحدث، أو ما هي خططكِ».

«أنا آسفة».

«هل يصعب عليك فهم هذا؟».

هززث رأسي وأنا أقول: «لا. أنا أفهم ذلك».

سألتني هيجيري: «لماذا إذًا لم تقولي لي شيئًا؟».

بقيث صامتة. لم أعرف بماذا أردّ.

«على كلّ حال، أردث أن أطمئنّ عليكِ فحسب. ها! الجوُّ باردٌ هنا بعض الشيء، فلندخل البيت».

ضمّث هيجيري ذراعيها وارتجفت.

نظرتُ إليها، وبادلتني النظر. ثم ألقث عليّ نظرةً من الأعلى إلى الأسفل، وقالت: لحظة، هذه ملابسي. ثم أطلقث ما يشبه الضحكة، من دون أن تُصدِر صوتًا. لم أنتبه إلى ذلك نهائيًا. تبدو مختلفةً عليكِ. رائعة. ارتجفث مرّةً أخرى. هيّا، أشعر بالبرد. وارتجف جسمها كلُّه. من دون كلمةٍ أخرى بيننا، أكملث طريقي إلى المدخل، وصعدث الدّرج إلى الطابق الذي أسكن فيه. كعبا حذاءينا يضربان الدّرجات المعدنيّة بإيقاعين مختلفين.

«هل يمكنني الجلوس هنا؟».

قلث لها طبعًا، وذهبث إلى الثلّاجة لأُخرج عبوةً من الشاي وأجلبها إلى الحجرة. جلست هيجيري على السرير، ونظرث في الأنحاء مبتسمةً وهي تُطري على تنظيمي وترتيبي.

مكتبة ياسمين

لم يكن عندي ما أقوله، لكنّني سحبتُ الكرسيّ من وراء المكتب، وجلستُ على مسافةٍ آمنةٍ منها، وأنا لا أزال مرتدية المعطف. ثم نظرتُ إلى البطاقة الموضوعة على عبوة الشاي التي أمسكها، من دون أن أقرأ ما هو مدوّن عليها بالضبط.

«آه! أنت تضعين مساحيق تجميل؟».

بدا سؤالها مشحونًا بالفضول، ثم أكملت:

«كانت الدنيا مظلمة في الخارج فلم أنتبه. ما الذي يحدث؟ الشرب وأنتِ لا تشربين، الخروج بمكياجٍ كامل. فعلًا، بجدّ، ما الذي يحدث؟ ما موضوع المكياج هذا؟»

ضحكتُ باستمتاع.

«كانت عندي مناسبةٌ ما».

«أنا واثقةٌ من ذلك، لكن... أقصد. انظري إلى نفسكِ. انظري إلى وجهكِ. الأزرق خارجٌ عن السيطرة. وهذه الدوائر تحت عينيكِ، إنّها سوداء تمامًا. إنّها تحت أنفكِ أيضًا. فويوكو! هل جئتِ إلى المنزل هكذا؟». بدت هيجيري مذهولةً تمامًا. ضمّتِ المخدّة إلى صدرها، وألقت برأسها إلى الوراء وهي تضحك وتقول:

«ما الذي يحدث؟».

استمعتُ إلى صوت ضحكاتها، ولم أردّ. ثم مرّرتُ إصبعي تحت عيني. تركت هذه الحركة لطخةً سوداء على طرف إصبعي. دعكتُ الجلد مرّةً تلو الأخرى، لكنّ اللطخة لم تختفِ. فكّرتُ في تلك

الكلمة: مذهلة.

سألت هيجيري، بعدما توقّفت عن الضحك لبعض الوقت: «إذًا، ما الذي كنتِ تفعلينه؟».

«كنتُ أقابل شخصًا».

كان صوتي مبحوحًا بصورةٍ غريبة. سعلت، لكنّني لم أفلح في تنظيف حلقي من البلغم.

ابتسمت هيجيري وهي تسألني: «ومن هو هذا الذي كنتِ تقابلينه؟».

لم أرغب في الإجابة، لذا بقيتُ صامتة. سألتني إن كان الأمر سرًّا؟ ليس الأمر كذلك. كان هذا هو كلُّ ما استطعتُ قوله.

لم تترك هيجيري الموضوع. سألتني مرّةً أخرى: «هل هو رجل؟ هل تقابلين رجلًا؟ أليس كذلك؟».

لم أجِب.

«هيا، أخبريني فحسب. أقصد، كلُّ ما ترتدينه مُلكي، من رأسكِ إلى أخمص قدميكِ. أشعر بأنّني ساهمت في هذا بشكلٍ ما. وإلى جانب ذلك، فهذا هو العدل. عندما سألتني عن حياتي لم أخفِ عنكِ شيئًا، أليس كذلك؟».

زفرتُ عبر أنفي، وأنا أحدّق في عبوة الشاي.

«خرجتُ لأتناول الطعام. هذا هو كلُّ شيء».

«هل لديك رفيق؟».

«لا. ليس الأمر كذلك».

«ما الأمر إذًا؟ هل هو أحد أصدقائك؟».

مكتبة ياسمين

«ليس بالضبط».

«من هو إذًا؟».

لم أستطِع الردّ. بقيتُ صامتةً فحسب.

سألت هيجيري بلهجةٍ معاتبة: «لا تخبريني بأنّكما تلتقيان لممارسة الجنس فحسب. ها؟ هل أنا مخطئة؟».

«هل أنتِ سكرانة؟».

ألقت هيجيري بنفسها على السرير، وأطلقت ضحكةً عالية. ثم نهضت مرّةً أخرى، من دون أن تُجيب عن سؤالي.

بدت هيجيري متحيّرةً حقًّا وهي تسألني: «أقصد، إن لم يكن رفيقكِ، وهو ليس صديقًا، وليس شخصًا تنامين معه، فمن هو إذًا؟».

بعد فترةٍ طويلةٍ من الصمت أجبتُ: «أنا معجبةٌ به».

«ها؟».

سقط فكُّ هيجيري من الدهشة.

«هل هذا هو كلُّ شيء؟ معجبةٌ به؟».

لم أجِب.

«وماذا عنه؟ بِمَ يشعر نحوكِ؟ هل سألته؟ هذه هي النقطة الأهمّ».

من دون أن ترفع عينيها عنّي، فتحت غطاء عبوة الشاي، وأخذت جرعة. ثم أكملت: «هل قلت له شيئًا؟».

مكتبة ياسمين

لم أجب كذلك.

«هيا. لماذا لا تتحدثين معي؟ هذه حياتك العاطفيّة التي نتحدّث عنها هنا. هل تفهمين؟ هل تسمعينني أصلًا؟».

نظرت إلى الأسفل وقلت: «لا أريد التحدث عن الأمر فحسب».

أمالت هيجيري رأسها إلى الأسفل، وبدا عليها عدم الفهم. نظرت إليّ، ثم وضعت ساقًا على ساقٍ بطريقةٍ عصبيّة.

قالت هيجيري بصوتٍ بارد: «آه. بسبب صداعكِ؟ لكن لحظة، هذا أفضل، أليس كذلك؟ لا عليكِ... لكنّكِ أخبرته بمشاعركِ، صحيح؟ بأنّكِ معجبةٌ به؟».

بعد أن أدركت هيجيري أنّني لن أجاوب، ضحكت بحذرٍ وهي تقول:

«تتصرّفين بطريقتكِ المعتادة نفسها. أظنُّ أنّكِ لم تفعلي ذلك، لأنّكِ تحبّين الأمور بهذه الطريقة».

«أيّ طريقة؟».

«دعكِ من هذا، أنتِ تعرفين. أنتِ تحبّين فعل الأشياء بالطريقة السهلة».

كرّرت الكلمة: سهلة؟ سهلة؟

«أنت تعرفين، الطريقة السهلة. من دون تورّطٍ في حياة الناس، تحتفظين بكلّ شيءٍ لنفسك، لو أمكنك فعل كلّ شيءٍ بطريقتك».

«طريقتي؟».

مكتبة ياسمين

«تلعبين بحذرٍ دائمًا. لا أقول إنّ هذا أمرٌ سيئ، حسنًا؟ هذا هو ما أنت عليه فحسب. هذا كلُّ شيء. لستِ من نوع الأشخاص الذين يرغبون في اتّخاذ القرارات. أو ربّما لا يمكنكِ ذلك؟ قولي لي أنتِ. على كلّ حال، من الواضح أنّه يصعب عليك فتح قلبك لأحد، أن تفعلي شيئًا، أن تتورّطي. أقصد، ماذا لو فهموك خطأ؟ تصابين عندها بالإحباط، صحيح؟ سيؤلم الأمر بالطبع. لكن لو أنّني تفاديث هذا كلّه، وأخفيث كلّ شيء، فلن يكون هناك أيّ أذى على الأقلّ. أليست هذه الطريقة التي تحبّينها؟ لو سألتِني لَوصفتُ ذلك بالطريقة السهلة. أن يَمضي المرء في الحياة من دون أن يطلب شيئًا من أيّ شخص، أو يسمح للناس بأن يطلبوا منه شيئًا. يبدو ذلك سهلًا بالنسبة لي».

«هل الأمر كذلك حقًّا؟».

«وما أدراني؟ أنتِ من عليه معرفة ذلك. لستُ من هذا النوع من الأشخاص. أنا أؤدّي ما عليّ تأديته».

بدّلت من وضعيّة ساقيها، ثم وضعتِ المخدّة خلف ظهرها، واستلقت على جانبها مستندةً إلى كعبها.

«كما أثق بأنّكِ تعرفين، فعندما يعزل الإنسان نفسه عن العالم ليعيش حياةً هادئة، هناك إنسانٌ ما في مكانٍ ما سيتحمّل نتيجة ذلك. سيأخذ الضربة بدلًا منه».

«... أنت تعتقدين إذًا أنّ الأشخاص الذين يفعلون الأمور بهذه الطريقة السهلة، أو ما تطلقين عليها طريقةً سهلة، لا يؤدّون ما عليهم، مثلك؟».

مكتبة ياسمين

«لا أعرف. لكن من منظوري أنا، تبدو هذه طريقة مريحة، أن يمضي المرء في الحياة من دون أن يعبأ بشيء».

نظرتُ إلى أصابعي في صمت.

«ما تقولينه إذًا هو أنّه علينا كلّنا أن نؤدّي ما يتوجّب علينا تأديته. لكن، لحظة...».

سألتُها بصوتٍ خفيض: «أنتِ أدّيت ما عليّ بدلًا منّي؟».

انتظرت هيجيري لحظة، وكان صوتها مبتهجًا أكثر من اللازم وهي تقول: «فلننسَ ذلك كلّه. لا يهمّ. فلنتحدّث عن ذلك الحبّ الرائع. هل يبادلكِ الشعور أم لا؟».

اعترفتُ: «لا أعرف».

قالت هيجيري ساخطة: «حسنًا، اسأليه. أرأيتِ؟ كيف يمكنكِ الجلوس هكذا من دون فعل شيء؟».

قلتُ لها، من دون أن أجد فرصةً لأوقف فيها نفسي، إنّني أخبرته بالفعل عن مشاعري، لكنّني شعرتُ بعدها بسحابةٍ سوداء تخيّم عليّ. سكتت هيجيري، ونظرت إليّ وعيناها تلمعان:

«اللعنة! أخبرته؟ وماذا كان ردّه؟».

«لا شيء».

«لم يقل إنّه يبادلك الشعور؟».

«ليس الأمر كذلك».

«حسنًا، هل نمتما معًا؟».

مكتبة ياسمين

نظرتُ إلى وجه هيجيري وأنا أقول:

«ليس الأمر كذلك».

ابتسمت هيجيري ابتسامةً مصطنعةً وهي تقول: «إن كنتِ لم تنامي معه بعد، فعليك أن تجرّبي ذلك. يجعل هذا الأمور أوضح على الأقلّ. الأمور كلُّها. عليك أن تجرّبي ذلك. سيحرّك هذا الأمور. من الطبيعيّ تمامًا أن تأخذ المرأة زمام المبادرة في أمورٍ كهذه».

نظرت إليّ، ورفعت حاجبيها، وبدأت الضحك.

«ستتخلّصين من عبء شيءٍ ما على الأقلّ. ربّما ستبكين، أو تقذفين. كيف لملعقةٍ أو اثنتين من السوائل الجسديّة أن تُحدث هذا الفارق الكبير؟ لا منطق في هذا، أعرف ذلك، لكنّه شديد الأهمّيّة. من الجنون إدراك كم هو مهمّ. شيءٌ مجنونٌ إلى درجة أنّني أصبح غير قادرةٍ على التوقُّف عن الضحك».

نظرت إليّ هيجيري بطريقةٍ متوسّلة. بقيتُ صامتةً، لكنّني لم أنظر بعيدًا. ثم قلتُ من جديد إنّ الأمر ليس كذلك.

«... ها نحن من جديد. ليس الأمر كذلك. ما الذي يعنيه ذلك أصلًا؟ هل تريدين أن تقولي: لستُ هذا النوع من النساء؟».

قلتُ بصوتٍ خفيضٍ يصعب سماعه: «أنا... أنا معجبةٌ به فحسب. هذا كلُّ شيء. لا بدّ أنّك تظنّينني غبيّةً للغاية...».

توقّفتُ، ولم أعرف ما الذي عليّ أن أقوله بعد ذلك.

مكتبة ياسمين

ثم ضغطت عبوة الشاي على شفتيّ لأشرب. تنهّدت بعدها ونظرت إلى الأسفل، ثم قلت شيئًا. لا أعرف ماذا أقول. ربّما يصعب عليك فهم ذلك يا هيجيري، لكنّ الأمر لا يتعلّق بما أريد أن يحدث فعلًا، أو بما أريد أن أفعل... كان هذا كلّ ما استطعت قوله.

«ربّما لا يبادلك المشاعر. حسنًا، ألا تريدين النوم معه؟».

استنشقت هيجيري من أنفها بصوتٍ عالٍ يمكنني سماعه، ثم أكملت:

«أقصد، لو أنّكِ ترفضين فكرة النوم معه من الأصل، فانسي كلّ ما قلته. لكنّكِ أخبرته بمشاعركِ فعلًا، أليس كذلك؟ قلتِ له ذلك في وجهه. إذًا فأنتِ تريدين أن يحدث شيءٌ ما، بطريقةٍ ما. أعرف أنّ ذلك يعني شيئًا ما. اسمعي، لقد تحمّلتِ مسؤوليّة مشاعركِ وعبّرتِ عنها، ثم سقطتِ في أوج تألّقكِ، وعدتِ إلى البيت ووجهكِ في حالةٍ رهيبةٍ من الفوضى. هذا هائل. لقد فعلتِ شيئًا هائلًا. لكنّكِ تعودين الآن للاختباء في مكانكِ الآمن مرّةً أخرى، وتتركين كلّ شيءٍ له، وتقرّرين الغرق في مشاعركِ الخاصّة وكأنّكِ عدت إلى المدرسة الابتدائيّة. ومن أجل ماذا؟ كي تُضفي الطابع الرومانسيّ على رغباتك، وتظهري بشكلٍ أفضل أمام نفسك؟ كيف يُفلح ذلك في أيّ شيء؟ ما الذي تشعرين بالخوف منه؟ ما سيظنّه الناس؟ هل تريدين للرجال أن يظنّوا أنك تملكين شيئًا غاليًا تحمينه؟ أم ليس الرجال هم من تقلقين بشأنهم؟ هل هكذا تريدين

مكتبة ياسمين

أن تري نفسك؟ لا بدّ لي من أقول لك بصراحة: أنت تتصرّفين بطريقةٍ عجيبة».

«... أتمنّى أن تعرفي أنّه ليس من الضروريّ أن يرى البشر كلّهم الأمور بطريقتكِ نفسها دائمًا».

شعرتُ بالذهول من أنّ الكلمات خرجت منّي بهذا الشكل التلقائيّ. بدت هيجيري مدهوشةً بعض الشيء هي الأخرى، بالنظر إلى الطريقة التي كانت تنظر بها إليّ. تنهّدتُ، ثم أكملتُ وأنا أجاهد للعثور على الكلمات: «المشاعر أكثر تعقيدًا من هذا... وكذلك الأمر بالنسبة للعلاقات. كلُّ واحدٍ له أولوياتٌ مختلفة... هل تظنّينني بحاجةٍ إلى أن تُخبريني إذا ما كنتُ أفعل الأمر الصائب؟».

ضغطتُ على كلِّ مقطعٍ من كلامي. بدا وكأنّني أحاول إقناع نفسي.

عقدتْ هيجيري حاجبيها وهي تقول:

«ليس هذا ما أقوله... كلُّ ما أقوله هو أنّه... تحت هذا السطح، أنتِ تملكين الرغبات الأساسيّة نفسها، مثلنا جميعًا. ويُغضبني جدًّا أنّكِ مغمورةٌ بالكامل في هذه القصّة البلهاء التي نسجتِها، لأنّ الحقيقة أصعب من قدرتكِ على التعامل معها. عندما سألتكِ إذا ما كنت تريدين النوم معه، نظرت إليّ وكأنّني بلهاء. لماذا؟ لا أعرف لماذا تظنّين نفسك أفضل منّي، في حين أنّني متأكّدةٌ من أنّك ترتدين الان اللباس الداخليّ الذي أعطيتكِ إيّاه. هذا هو كلُّ ما أقوله. يمكنني رؤية ما تفعلين، وهو مقرف».

قلت: «لا يهمّ»، ثم أكملتُ بالقول إنّني لا أهتمُّ بأيّ

مكتبة ياسمين

من هذا، وهززتُ رأسي. لم تقل هيجيري شيئًا، لكنّها أضافت، وكأنّها تتحدّث إلى نفسها:

«أقسم لكِ إنّ مجرّد الوجود قُربك يُثير غضبي أحيانًا».

مرّتْ ثانية. أغلقتُ عينيّ، واستجمعتُ كلّ ذرّة قوّةٍ في داخلي. فكّرتُ في ميتسوتسوكا. فكّرتُ في وجهه، في الطريقة التي يبدو عليها وجهه حين يبتسم. حاولتُ العودة إلى المساحة التي تشاركناها حين كنّا معًا. فويوكو. صوته وهو ينطق اسمي، سترة البولو البالية التي يرتديها، والزوايا المهترئة لحقيبة كتفه، لون الجدران في المقهى، الحاجبان الساقطان، كلُّ الأشياء التي علّمني إيّاها عن الضوء. استجمعتُ كلّ ما استطعتُ العثور عليه داخل رأسي، بينما أحبس أنفاسي، وأحاول أن أبقِي مشاعري في داخلي، أُقيم حولها سورًا من ذراعيّ، لكنّ ذلك كان صعبًا. شعرتُ بأنّني سأنفجر باكية. تمنّيتُ لو أنّني لم أذهب إلى المطعم الفاخر، حيث شعرتُ بأنّني لا أنتمي إلى المكان، وحيث نسيتُ النبيذ، وتمنّيتُ لو أنّني قابلته في المقهى الذي نلتقي فيه دائمًا. كان يمكننا أن نتناول الساندويشات أو السباغيتي.

المقهى يخصّنا. المكان نفسه دائمًا، المقعدين نفسيهما في المقهى نفسه. لكنّنا كنّا سنحتفل، ثم نتحدّث في مواضيع تافهة، كما نفعل دائمًا، جالسين في مقابل بعضنا البعض إلى الطاولة. ولو كنّا نريد الشراب، لكان بإمكاننا أن نشتري شيئًا

مكتبة ياسمين

من محلّ البقالة ونشربه في الحديقة. ليست لديّ أدنى فكرةٍ عن السبب الذي يدعوني للتفكير في هذه الأمور. جلست في مكاني أنظر إلى الأسفل، عالقةً في كرسيّ، مستغرقةً في أفكاري تمامًا. لكنّ التفكير في هذه الأشياء، على كلّ حال، هو ما منع دموعي. أردتُ أن أتذكّر كيف بدا ميتسوتسوكا في تلك الليلة، حين كنّا نمضي الوقت معًا، قبل بضع ساعاتٍ من الآن. لكنّ شيئًا ما كان يعترض طريقي، محاصرًا ذاكرتي، مانعًا وصولي إليها. شيءٌ يغطّي وجه ميتسوتسوكا، يتغيّر تحت أضواء الشارع وظلمة الأشجار، مانعًا إيّاه من الوصول إلى مجال رؤيتي. حاولت أن أسترجع ما فقدت، ما شعرتُ به بأصابعي، رائحته، أو الطريقة التي نظرنا فيها إلى بعضنا البعض. لكن، بصورةٍ ما، كان ذلك كلُّه يتسرّب بعيدًا، شيئًا فشيئًا.

وضعتُ يديّ على قمّة رأسي، وبدأتُ البكاء. لم يكن في يديّ حرارةٌ لكي تقدّماها. هل يتذكّرني ميتسوتسوكا أصلًا؟ لم أستطِع طرد هذا السؤال الرهيب. عصرتُ عينيّ لأغلقهما، وأنا أمسح ذاكرتي في سعيٍ يائسٍ لأعثر على أيّ أثرٍ يرتبط بميتسوتسوكا بأيّ شكل. الرجل الذي عاد من الدّرج إلى رصيف المحطّة، الذي يبتسم ابتسامةً خجولًا، الذي سيتحدّث معي بكلّ صبرٍ عن الضوء لأيّ فترةٍ أريدها، وحينما أسأله عن ذلك. ميتسوتسوكا. أصبح من الصعب عليّ أن أتنفس. تسارعت هذه الأفكار في رأسي، واحدةً تلو الأخرى؛ الذكريات السعيدة كلّها، الطريقة التي يستمع بها إلى كلّ كلمةٍ مهما

مكتبة ياسمين

كانت تافهةً ثم يومئ بصبر، رؤيته من الخلف، الطريقة التي يسير بها، الطريقة التي يتحدّث بها، الملابس التي يرتديها، رائحة الشتاء. كلُّ شيء، لأنّني معجبةٌ به حقًا، رغم أنّني لا أعرف عنه أيّ شيء، ورغم أنّه لا يعرف عنّي أيّ شيء.وحتى لو كان هذا هو أقصى ما سيحدث، وسينتهي من دون أن تُكتب له الحياة، رغم أنّني أعرف كم سيكون الأمر جيّدًا إن اكتمل، كم سيكون جيّدًا بالفعل. أوقاتٌ جميلةٌ كثيرة، لم أعرف لكثرتها ماذا أفعل بها. وكلّما مرّتِ الأيّام وتراكمت، عرفتُ أنّني سأحترق بكلّ واحدةٍ من هذه الذكريات؛ الكرب، الهواجس، الندم، الامتنان. سيمرُّ كلُّ شيء، ولن يعود أبدًا. حضنتُ ركبتيّ وبكيت. قالت هيجيري بصوتٍ ناعم: اسمعي، لا يوجد ما تبكي بشأنه. اقتربتْ منّي، وبقلقٍ ربّتت على ذراعي. هززتُ رأسي في صمت. قلتُ لا، أو حاولتُ أن أقولها، لكنّ الكلمات لم تخرج منّي. بدتْ هيجيري في حيرةٍ من أمرها، وقالت لي إنّها آسفة. لم أستطِع الوصول إليكِ، شعرتُ بالقلق، ولم أكن أعرف إن كنتِ بخير. شعرتُ بالضيق، لكنّني لم آتِ إلى هنا لأجرح مشاعركِ. حسنًا؟ أنا آسفة. أنا آسفةٌ للغاية. كانت هيجيري تقول هذه الكلمات وهي تنزل إلى الأرض، وتربّتُ على ذراعي. لم أقصد أن أجرح مشاعرك. بدأتُ البكاء وهي تتكلّم. قلتُ: لا، لم تقولي أيّ شيءٍ خاطئ. أنا من يجب عليه الاعتذار. ربّتُ على ذراعها بدوري. قالت هيجيري لا، إنّها هي من تصرّف بلؤمٍ معي. قالت إنّها تفعل ذلك طيلة الوقت. أفعل ذلك طيلة الوقت. قلتُ أشياء فظيعة

مكتبة ياسمين

لك، أشياء لم يكن يجب أن أقولها، ولم أقصدها. بدأت البكاء بعنف، إلى درجةِ تلطّخ معها وجهها بالمساحيق. أنا أفهم. حسنًا؟ أنا أفهم. أومأت برأسي، وأنا مستمرّةٌ بالبكاء. قالت هيجيري وهي تبكي إنّني أظنّ في الغالب أنّها لا تعرف عنّي أيّ شيء، وبصراحةٍ لا بأس بذلك، لكنّني أريدك أن تعرفي أنّني أنظر إليكِ كصديقة. كانت هيجيري تقول ذلك بنبرةٍ خفيضة، حتى كدتُ لا أسمعها. وجهها المُجعّد مُغطّى بالدموع والمخاط. أومأت برأسي. قالت إنّها تريد أن تعرفني أكثر. أريد أن أعرفكِ. بكت. لكي أتمكّن من أن أصبح صديقتكِ أيضًا. نزلت عن الكرسيّ إلى الأرض، وضغطت على أصابع هيجيري، بينما أومئ برأسي من خلال الدموع.

مكتبة ياسمين

ـ 13 ـ

«كلُّ سنةٍ وأنت بخير».

بالوناتٌ متألّقة، واحدٌ ورديُّ اللون واثنان أحمران، طاروا بخفّةٍ حتى اقتربوا من السقف. الطاولة المنخفضة في حجرة المعيشة ستمتلئ بعد لحظاتٍ بتشكيلةٍ من الأطباق الجانبيّة، التي اشترتها هيجيري من سوق الحاجيات المنزليّة، ومعها قالب حلوى ودجاجٌ ملفوفٌ بورق فويل الألومنيوم. وضعنا ما يكفينا، ثم تركنا الباقي على الأرض، وصببنا بعض النبيذ في كأسين لنشرب نخبًا.

سألتني هيجيري: «سبعٌ وثلاثون سنة. هل تصدّقين ذلك؟».

قلت إنّ هذا لا يُعقل، ثم شربت بعض النبيذ. «انتظري، هل يُفترَض بنا أن نشرب؟». بعد أن أخذت جرعةً لاحظت ما نفعله، ثم نظرتُ إليها.

«لا بأس. ثقي بي، لن نسكر. الناس كلُّهم قلقون. أقصد أنّني بالكاد تذوّقته أصلًا».

وضعت كأسها على الأرض، ثم أخرجت عبوة بيرة خالية من الكحول من الثلّاجة، وصبّتها في كأسٍ جديدةٍ حتى الحافّة. شربت الكأس كلّها بجرعةٍ واحدة، وهي تُصدر صوت بلعٍ مرتفعًا، ثم قالت:

«يا إلهي، هذا أروع شيءٍ في العالم! لا يمكنني أن أتخيّل كيف كانت الشهور القليلة الماضية لتمرّ لولا هذه الأشياء! إنّه الشيء الوحيد الذي ساعدني على التعامل مع هذا الحمل السخيف».

مكتبة ياسمين

«لا أحد يوقفك. افعلي ما تشائين».

كانت هيجيري قد دخلت شهرها السابع بالفعل، وبدأ الحمل يظهر عليها بصورةٍ واضحة. وضعت الشوكة في عدّة شرائح من سلطة السالمون، ثم وضعتها كلّها في فمها، وأخبرتني بمرارةٍ أنّه بمجرّد أن ينتهي الغثيان الصباحيّ فلا حدود لشهيّتها. «جسمي في حالةٍ بائسة. مشكلةٌ تلو الأخرى... آه... انتظري».

تناولت هيجيري أغراضها، وسحبت منها حقيبةً بلاستيكيّة، في داخلها نموذجٌ مصغّرٌ من شجرة الميلاد، مصنوعٌ من اللبّاد. أفسحت لها مكانًا بين الأطباق، وقالت وهي تنظر إليّ، في انتظار موافقتي: «ما رأيكِ في هذا لجلب أجواء الميلاد».

«لطيف».

«انظري ما الذي يحدث حين تضغطين هذا».

ضغطت زرًّا في أسفل قاعدة الشجرة، فبدأتِ الأضواء تومض.

قالت هيجيري وهي تضحك: «آه. من الصعب التحديد ما إذا كانت تعمل بصورةٍ صحيحة، لكنّ الفكرة وصلت».

عندما حكينا لبعضنا البعض عن مستجدّات حياتنا، كنّا قد التهمنا غالبيّة الطعام بالفعل.

قالت هيجيري: «الوقت يمرّ سريعًا»، بينما تقضم آخر قطعة دجاجٍ بأسنانها الأماميّة، ثم تكمل:

«إنّه يطير في الواقع، مبعثرًا شعرك».

مكتبة ياسمين

«أعرف ما الذي تقصدينه. كلُّ شيءٍ يتحرك بسرعةٍ شديدة».

«أريد أن أقول... سيولد طفلي هذا قريبًا، بحلول شهر نيسان/أبريل، إن سار كلُّ شيءٍ كما هو مخطّط له. مرعب، أليس كذلك؟».

قبل عدّة شهور، حين أخبرتني هيجيري بأنّها حامل، كان لديّ الكثير من الأسئلة. ألن تتزوجي؟ قالت لي لا. لم يكن الرجل مهتمًا كما هو واضحٌ بالحصول على أطفال، لذا فقد شكرته على توضيحه هذا، وانفصلت عنه في لحظتها، وقرّرت أن تربّي الطفل وحدها.

«الوضع سيّئ الآن، لكنّني متحمّسةٌ للطفل. لا يقول الناس سوى إنّ الأمر سيكون صعبًا، لكنّ ذلك لا يزيدني إلّا حماسًا. لا يتوقّفون عن تذكيري بأنّ ذلك يبدو جيّدًا من الخارج فحسب، وأنّني لا أعرف ما الذي أُقحِم نفسي فيه. أعني... نعم، كما هو واضح، لم أُنجب حتى الآن».

ضحكت ثم أكملت:

«أريد أن أفعل الأشياء بطريقتي. لستُ في حاجةٍ إلى أن أخبرك بذلك. أعرف، لكنّني متحمّسةٌ فحسب، بكياني كلّه».

«كيف هي الأمور مع والدتك؟».

هزّت هيجيري رأسها وقالت: «لا أعرف، بصراحة. نحن لا نتحدّث الآن تقريبًا. في عالمها، المرأة غير المتزوّجة التي ستُنجب طفلًا تفعل ما هو أسوأ من

مكتبة ياسمين

القتل. بعد كلّ ما فعلتهُ لك، كيف انتهى بك الحال هكذا؟ تخيّلي أن تقولي شيئًا كهذا لابنتك، التي أصبحت في الأربعين تقريبًا بالمناسبة».

هززتُ كتفيّ وأنا أقول: «لا يُصدّق».

«أمرٌ مُحرج، لكن ربّما هذا أفضل. إنّها تحتاج إلى مسافةٍ بعيدًا عنّي، وأظنّ أنّني في حاجةٍ للهرب منها كذلك».

ربّتتْ هيجيري على بطنها.

ابتسمتْ وقالت: «أعرف يا صغيرتي. يبدو الأمر صعبًا، لكنّ العالم ليس بهذا السوء. حسنًا. والآن، أسرعي وتعالي إلى الدنيا».

سِرنا حتى المحطّة، جنبًا إلى جنب. وعند البوّابة ودّعتُها ملوّحةً لها، حتى اختفتْ بالكامل. وضعتُ يديّ في جيبَي المعطف، وسِرتُ عائدةً إلى شقّتي بينما أنظر في سماء الليل. نجمةٌ تلمع بضوءٍ خافتٍ بعيدًا، وبياض قمر الشتاء يبرق في السماء الخالية من السحب. سِرتُ في الشوارع السكنيّة المهجورة متّجهةً إلى الطريق الرئيسيّة، حيث شاهدتُ العربات المتلاحقة وهي تمضي. للّيل أضواءٌ مختلفةٌ عن بعضها البعض تمامًا. هنا، وهنا. عيناي تطاردها، لكنّ ذلك جعل ألم صدري يستمرّ.

قبل عامين، في ليلة عيد ميلادي، لم يأتِ ميتسوتسوكا.

انتظرتُ حتى الفجر، خارج المقهى الذي خطّطنا للّقاء فيه، لكنّ ميتسوتسوكا لم يأتِ أبدًا. في طريق

مكتبة ياسمين

عودتي إلى المحطّة، تحت سماءٍ شتويّةٍ نهاريّة، داكنة الزرقة بصورةٍ توحي بأنّ الشمس لن تُشرق أبدًا، شعرتُ بسكونٍ غريبٍ في قلبي.

بعد ذلك اليوم، عشتُ أيّامي من دون أن أفكّر في شيء. عدتُ للقيام بأعمالي بصورةٍ طبيعيّة. ومن حينٍ إلى آخر كنت أقابل هيجيري لنتحدّث عن العمل، أو عن أشياء لا علاقة لها بالعمل، مستعيدةً بصورةٍ تدريجيّةٍ الشخص الذي كنته قبل مقابلة ميتسوتسوكا. قد يوحي هذا بأنّ هناك فارقًا واضحًا بين ما قبل وما بعد، لكن كلُّ ما فعلته في الحقيقة كان التوقُّف عن الذهاب إلى المقهى. وعلى كلّ حال، احتجتُ وقتًا أكثر ممّا توقّعتُ بكثيرٍ لكي أنساه.

وحتى هذه الذكرى الرهيبة، التي كنتُ أشعر بأنّها على وشك تحطيم قلبي إن سمحتُ لها فحسب، ذكرى تلك الليلة، كانت تتغيّر ملامحها يومًا بعد يوم. وأصبح الوقت الذي يحتاجه قلبي ليهدأ، كلّما خطَرَتْ هذه الذكرى في بالي، أقلّ كلّ يوم، حتى تضاءلت الدوّامة التي في قلبي في النهاية. كان من الغريب عليّ أن أشهد تلك الذكريات المؤلمة بهذا الوضوح، والتي كنتُ أخالني قادرةً على لمسها لفرط قوّتها، وهي تتغيّر وتتحوّل بالكامل.

لم أتواصل مع ميتسوتسوكا بعد ذلك إلّا مرّةً واحدة، عبر رسالة.

حدث ذلك عند نهاية فصل الربيع. اعترف ميتسوتسوكا بأنّه كذب عليّ. كتب لي في الرسالة: فويوكو، لقد كذبتُ عليك في أمرٍ بالغ الأهمّيّة. أنا

مكتبة ياسمين

لستُ مدرّسًا في مدرسةٍ ثانويّة. بخطّ يدٍ تذكّرتُه جيّدًا، أخبرني بكلّ شيءٍ عن حياته الحقيقيّة التي عاشها فعلًا، منذ أن فقد وظيفته في مصنعٍ للمأكولات قبل عدّة سنوات. خلال الرسالة، أعتذر عدّة مرّات، وقال إنّ ذلك يؤلمه للغاية. قال أيضًا إنّه فكّر بأنّه من الأفضل ألّا نتقابل مرّةً أخرى.

قرأتُ الرسالة مئات المرّات، بل زرتُ المقهى في بعض المناسبات، لكنّني لم أره هناك أبدًا. شاعرةً بالحيرة، كتبتُ له رسالةً بدوري، من دون أن أشير حتى إلى مضمون الرسالة التي بعثها إليّ. رسالةً لطيفةً فحسب، لطيفةً وخفيفة. سألته عن الأحوال، وأخبرته عن الكتاب الذي أدقّقه حاليًا، وأشياء كهذه. لكنّني بعد أن انتهيت منها وطويتها، لاحظتُ أنّني لا أعرف عنوانه.

هكذا مرّ الربيع إذًا، وجاء الصيف. نهارٌ تلو الآخر يتحوّل إلى ليل، ثم يدخل الليل إلى النهار. ومن دون أن أنتبه، وجدتُ نفسي في الخريف، ثم عدتُ إلى الشتاء مرّةً أخرى. بعد ذلك بقليل، بدأتُ أخرج في جولات مشيٍ طويلةٍ طيلة الوقت، لا قُرب منتصف الليل في يوم عيد ميلادي فحسب، لكن في ليالٍ أخرى كذلك، وفي منتصف اليوم، وفي الصباح. أسير عبر الضوء، في كامل اتّساعه، مثل تلك الليلة الأولى قبل عدّة سنوات. وعندما أكون وسط الضوء القويّ للنهار، أو ضوء منتصف اليوم، أفكّر في أنّه منتصف الليل في ناحيةٍ أخرى من العالم، وأفكّر في الناس الذين يعيشون هناك، الذين يمضون لياليهم وحدهم، وحيدين في الظلام. وعندما تذهب

مكتبة ياسمين

أفكاري إلى ميتسوتسوكا أحبس أنفاسي، وأفكّر في الأوقات التي أمضيناها ونحن نتحدث معًا، وكم كنت معجبةً به. أحيانًا أبدأ البكاء بمجرّد أن أتذكّر كلّ شيء، لكنّني أنسى ببطءٍ من جديد.

عدتُ إلى المنزل، وغسلتُ الكوبين اللذين استخدمناهما. ثم كوّمتُ الفويل والأكياس البلاستيكيّة ورميتها في القمامة. بعدها، مسحتُ الطاولة بقطعة قماشٍ قديمة. ثم جلستُ في مكاني لبعض الوقت من دون أن أفكّر في شيء، حتى استولى عليّ شيءٌ ما، فذهبتُ وأخرجتُ مشغّل الأقراص المُدمجة من الدُرج. وضعتُ السمّاعتين في أذنيّ، وضغطتُ زرّ التشغيل. توالت عليّ الذكريات، وحبستُ أنفاسي بينما تنتشر في داخلي المشاعر القديمة نفسها. أحكمتُ إغلاق عينيّ في مواجهة هجمة الذكريات تلك، وشعرتُ بالألم يجول في صدري مرّةً بعد مرّة، وأخبرتُ نفسي بأنّ هذه المرّة ستكون المرّة الأخيرة التي أستمع فيها إلى هذه المقطوعة. لكنّ الألم كان قد ابتعد بالفعل. كان ألمًا يعيش في الذاكرة فحسب، يضعف يومًا بعد آخر. ألمٌ أنساه، وعمّا قريبٍ سأفقده تمامًا. أغلقتُ عينيّ، وتخيّلتُ نفسي أقبض على الأصوات كلّها بأطراف أصابعي، وكأنّني أترك علاماتٍ على الوقت والذاكرة نفسيهما. وبمجرّد أن تبعث الطريق المضيئة، التي تشبه الحلم، إلى حيث تنتهي، واختفى الصوت الأخير، فتحتُ عينيّ ببطء.

حاولتُ إحراز بعض التقدّم في مخطوط الرواية التي أعمل عليها، لكنّ شعورًا بالنعاس ضربني فجأةً

مكتبة ياسمين

من حيث لا أدري، فارتديت بيجامتي وذهبت إلى السرير. أغمضت عينيّ، وتركت نفسي أنجرف إلى الظلمة. لكن حين كنت أشعر بنفسي أقترب من الوقوع في النوم، شقّ الضباب شيءٌ ما. تقلّبت، وسحبت الغطاء، لكن ظلّ بإمكاني الشعور بوجود شيءٍ ما ينظر إليّ. أضأت المصباح الذي يجاور سريري، وجلست بعينين مفتوحتين، من دون أن أفعل شيئًا للحظة. ما الذي يضايقني؟ ما الذي يحدث؟ حدّقت في السقف، من دون أن أتحرك. ولبعض الوقت بقيت على هذا الوضع من دون حراك، لكنّني في النهاية استسلمت، وكنت على وشك إطفاء الضوء حين داهمني الأمر. عرفت ما الذي كان عالقًا في رأسي. عبارة. ذهبت إلى المكتب، وأمسكت المفكّرة الجديدة والقلم الرصاص، اللذين كانا على طرف سطحه. ثم قلبت الغلاف، واستلقيت على ظهري. ثبت كعب المفكّرة براحة يدي، وأخذت القلم إلى أوّل صفحةٍ فارغة، وكتبت: «كلُّ العشّاق في اللّيل». ظهرتِ الجملة من العدم. عبر الضوء الخافت في الحجرة، نظرت إلى تلك الكلمات، التي تشكّلت بأغرب طريقةٍ ممكنة. شعرت بالكلمات جديدةً عليّ من ناحيةٍ ما، شيئًا لم أره أو أسمع به من قبل، ورغم ذلك فقد شعرت بأنّني ربّما أكون قد قرأت هذه الكلمات في مكانٍ ما، في أغنيةٍ أو عنوان فيلم، ما يعني أنها ظهرت من مكانٍ ما في داخلي. يصعب عليّ الجزم. عندما نظرت إلى خطّي تحت الضوء، لاحظت أنّ هذه هي المرّة الأولى التي أكتب فيها شيئًا من دون هدفٍ واضح، ليس تعليقًا ما على

مكتبة ياسمين

مخطوط كتاب، لكنّها كلماتي أنا على ورقةٍ خالية. لم أعرف ما الذي يجب عليّ فعله بهذه الكلمات، ولا سبب وجودها، أو ما الذي تعنيه. لكنّني حدّقت فيها، وشعرت بها تصل إلى قلبي، حيث استقرّت. عندما انتهيت، أغلقت المفكّرة وأطفأت النور، فانتشرت ظلمةٌ ضحلةٌ خلف جفوني. الآن، وقد ذهب الضوء، أغمضت عينيّ بهدوء، وأنا أعرف أنّه لن يمضي إلّا وقتٌ قليلٌ حتى يعود في الصباح.

النهاية

مكتبة ياسمين

عن المؤلّفة:

ميكو كاواكامي هي مؤلّفة الكتاب الأكثر مبيعًا «أثداء وبويضات» Breasts and Eggs، الذي اختارته جريدة «نيويورك تايمز» في العام 2020 ليكون كتاب العام البارز، ورواية «الجنة» Heaven، أحد أفضل كتب العام 2021 في قائمة مجلة «تايم».

وُلِدت كاواكامي في أوساكا، وعُرِفت للمرّة الأولى كشاعرةٍ في العام 2006، ثم نشرت في العام 2007 روايتها القصيرة الأولى، «الإيغو، أسناني، والعالم» My Ego, My Teeth, and the world، وهي تشتهر بأسلوبها الشعريّ، وتأمُّلاتها الدقيقة عن الجسد الأنثويّ، إلى جانب انشغالها العميق بفكرة الأخلاق والمجتمع المعاصر.

تُرجِمَت روايات كاواكامي إلى أكثر من 20 لغة، وهي متوفِّرةٌ في جميع أنحاء العالم، وقد حصلت على جوائز أوكوتاغاوا وتانيزاكي وموراساكي شيكيبو.

تعيش كاواكامي في طوكيو.

(1) تختلف مهامُ النشر والتحرير، وتخصُّصاته المختلفة، من مكانٍ إلى اخر. لكنّ الكاتبة تقصد في الغالب ما يُطلق عليه الـ Proofreading.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

مكتبة ياسمين